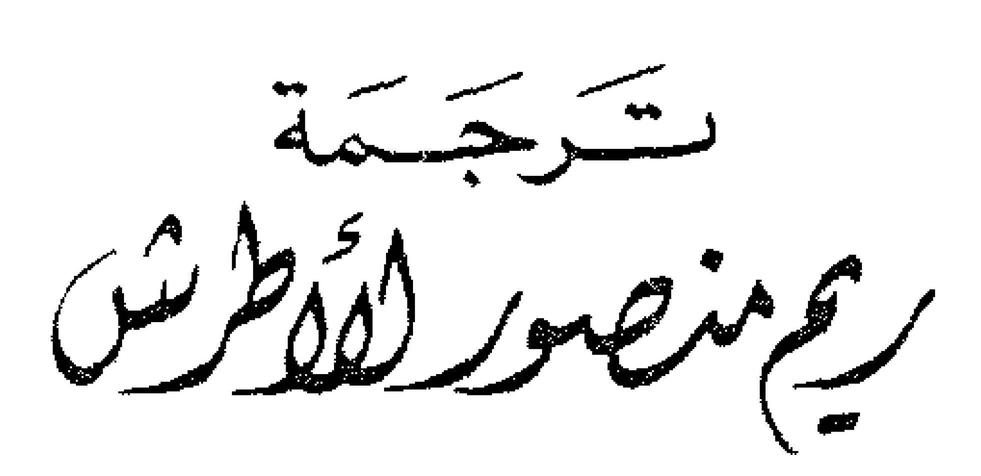
مسرح

نَاتَالِي سَارُّوت

الصَّمت

ومسرحيّاتٌ أُخرى

ترجمة



مسرح

نَاتَالِي سَارُّوت

الصَّمت

وَمَسرَحِيَّاتٌ أُخرَى

ترجمة

ريم منصور الأطرش

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٩

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية:

Le Silence

لوحة الغلاف: «ليل نجومي» لِ ڤان كوخ.

الصمـت ومسـرحيـات أخرى = Le silence / ناتالي ساروت؛ ترجمة ريم منصور الأطرش. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩. - ٢٠٠ ص؛ ٢٤ سم.

١- ٨٤٢ ف س ا ر ص ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي

٤- ساروت ٥- الأطرش مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ١٧٢٥/ ٩/ ١٩٩٩

عازفة صمتنا *

منذ زمن، اهتمّت الأديبة ساروّت بالمسرح الذي يُظْهِرُ للناس ويُسْمِعُهم ما كان مقروءاً أو مفهوماً فقط ؛ وقد أخرج مسرحيتها (الصمت) جان - لويس بارّو ولعبت فيها مادلين رينو دوراً في العام ١٩٦٧ . ولكن كيف انتقلت ناتالي ساروّت من نوع أدبي إلى آخر ؟ الروايات الأكثر شيوعاً في الكتابة والتحليل و«ماقبل الحوار» و«ماتحت الأحاديث» وتأويل الكلمات على المسرح، وليس الكلمات ذاتها، ألن يختفي كل هذا كما تُكْمِدُ الشمس الأقمشة الحريرية ؟ أو على العكس من ذلك، أيحتوي المسرح على حقيقة العمل الأدبي، ذلك لأن عصفور الربّة «مينرڤا» مضطر لمواجهة النهار ؟ وهكذا في مسرحية «الصمت»، يقترف الرجل خطيئة ما. وكما يحدث دائماً، تُقْتَرفُ خطيئة في اللغة والمحادثة وتكبر بشكل مفْرِط لتصبح جريمة. في مسرحية « يتّا» تتشكّل المضايقة والأزمة والأحداث المأساوية بسبب شخصية تضيف الحرف الصوتي «ا» للأسماء المنتهية بـ «ية» («مثاليتّا» إلخ)، وهي هجنة عصبية مزعجة. ولا يمكن استيعاب تلك الهجنة إلاّ من خلال الصور؛ و« كما لو أن » هو التعبير - المفتاح : إذ لا يمكن مواجهة الواقع بما يخبئه وجهاً لوجه. وسرعان ما يصبح الخطر مميتاً كما في « أفلام الرعب والروايات البوليسية » : إذ تستعير الصور مفردات الجنون والموت. وحالما يبدأ الكلام، يتحسّر المرء على الصمت ؛ أو يلجأ إلى « الكليشيهات» : فتلفظ شخصيات ناتالي ساروّت تفاهات بقدر ما تلفظها

* من مقدمة الأستاذ جان- إيڤ تاديه للأعمال الكاملة للأديبة الفرنسية ناتالي ساروّت المنشورة في دار غاليمار بباريس في العام ١٩٩٦ .

شخصيات فلوبير المستعدّ دائماً لقلبها رأساً على عقب : « السكوت ليس علامة الرضى » .
ولكنّ المسرح لا يدمّر التحركات السرّية للنفْس البشرية ، أولاً لأن جسد الممثلين يعبّر عن الانفعال ولأن الإخراج المسرحي ينوّه بانتقال الاضطراب من كائن إلى آخر .

ولكنّ المسرح هو أيضاً مكان للكوميديا . حينها فقط تعسكر الكاتبة الساخرة شخصيّاتها الدمى التي تتلفظ بجمل جاهزة ملتقطة من المجتمع الأدبي أو البورجوازي (وهما مجتمعان غير متناقضيّن) ، ذلك المجتمع الذي لم تستخدمه الكاتبة إلاّ لأنها كانت تعرفه بشكل أفضل من الآخرين : « أتعلم يا جان - بيير أنّ ما تفعله هنا مؤثّر جداً » . إن استخدام الجملة الواردة على لسان أحدهم قريب من استخدام الكليشيه .

فهي مشوّهة ومتحولّة ومبتذلة . كالنكتة أو الحكاية الطريفة التي لم تعد موجودة هنا لإضحاك الناس ولكنها على العكس من ذلك تسلّي الناس : « حرب الكلمات» هي حرب للإضحاك ، وناتالي ساروّت واحدة من أكبر الكتّاب الهزليين الفرنسيين . في الواقع تطرح السخرية خطاباً آخر تزدريه الكاتبة . ويلعب الصمت في المسرحية التي تحمل هذا العنوان دوراً هزلياً أيضاً : فإن رفض أحد الممثلين الإجابة على الأسئلة ، يتسبّب في إضحاك الجمهور ، ويختلّ كل شيء ؛ حين يجيب أخيراً ، تعود الحياة إلى مجراها الطبيعي : فيمكن للمسرحية أن تتوقف وتنتهي اللعبة ، فيضحك الناس بانفعال كبير من أجل القليل القليل .

الصمت

امرأة ١ : بلى، احكِ. . . كان ذلك رائعاً. . . فحكايتك جميلة. . .

رجل ١ : لا، أرجوك. . .

امرأة ١ : بلى. . . حدثنا أيضاً عن هذا. كانت رائعة، تلك البيوت الصغيرة. . . يُخيَّل لي أنني أراها. . . بنوافذها التي تعلوها مظلات صغيرة من الخشب المشغول. . . تشبه التخاريم الملوّنة بكل الألوان. . . وذلك السياج حول الجنائن حيث الياسمين والأكاسيا تعبق في المساء. . .

رجل ١ : لا، تلك حماقة. . . لم أعرف ما أصابني. . .

رجل ٢ : على الإطلاق، كان ساحراً. . . كيف عبّرت عنه؟ . . . كل تلك الطفولة أسيرة في هذه. . . في كثير. . . في هذه العذوبة. . . كانت رائعة، الطريقة التي تحدثت بها عن ذلك. . . كيف كانت؟ . . . أودّ أن أتذكرها. . .

رجل ١ : أوه لا، اسمعوا. . . أنتم تخجلونني. . . لنتحدث عن شيء آخر، إن سمحتم. . . كان هذا مضحكاً. . لم أعرف أي شيطان دفعني. . . أُصبِح مُضحكاً حين أنساق وراء هذا الاندفاع. . . هذه الغنائية التي تتملكني أحياناً. . . إنها حماقة، صبيانية. . . لم أعد أدري ما أقول. . .

(أصوات مختلفة)

امرأة ٣ : على العكس، كان هذا مثيراً . . .

امرأة ١ : كان جدّ . . .

رجل ١ : لا، تَوَقَّفوا، أرجوكم. أوه لا، لا تسخروا مني . . .

رجل ٢ : نحن نسخر؟ ولكن مَنْ منّا يسخر؟ . . . أنا أيضاً تأثرتُ بذلك . . . تمنيتُ لو أراها . . . سأذهب إلى هناك . . . فقد مضى زمن طويل . . .

امرأة ٣ : نعم، أنا أيضاً . . . إنها . . . هناك . . . لقد عرفتَ كيف تنقل . . . إنها حقاً . . .

رجل ١ : لا، لا، كفى، توقفوا . . .

امرأة ٣ : إنها من شعرٍ . . .

رجل ١ ، (بحنق بارد وخائب) : آه. حسناً. انتهى الأمر. كان لابد من حصول هذا. تستطيعون أن تُسَرّوا. لقد حدث ما أردتموه. كل ما كنت أريد تجنبّه. (يئن) . . . لم أكن أريد بأي ثمن . . . ولكنْ (حانقاً) أنتم إذاً عميان. أنتم إذاً طُرش. أنتم عديمو الإحساس تماماً. (ينوح) مع ذلك فقد فعلتُ ما استطعتُ، أنذرتكم، حاولت منعكم، ولكن لامفرّ، فلقد تابعتم . . . كالوحوش . . . حسناً. لتُسَرّوا الآن.

امرأة ٣ : ولكن ماذا حدث؟ ماذا قلتُ؟ ولكننا مسرورون ممّ؟

رجل ١ ، (ببرود) : لاشيء. لم تقولي شيئاً. لم أقل شيئاً. هيا الآن. افعَلوا مايحلو لكم. تمرّغوا. اصرخوا. على كل حال، فات الأوان. فالشرّ قد وقع. حين أفكرُ . . . (يئنّ من جديد) بأنه كان من الممكن أن يحدث دون أن يفطن له أحد . . . لقد ارتكبتُ هفوةً، بالتأكيد . . . غلطة . . . ولكن مازال بإمكاننا إصلاح كل شيء . . .

كان يكفي تمرير الأمر، انسيابه . . . فبذلك أتدارك أمري، كدت أفعل ذلك . . . ولكنكم دائماً تتصرفون دون رويّة . تريدون تكحيلها فتعمونها . انتهى الأمر الآن . تابعوا . تستطيعون فعل أي شيء .

امرأة ١ : ولكنْ فعل ماذا ؟ فعل ماذا !

رجل ١ ، (مقلّداً إياها) : ماذا ؟ ماذا! ولكن ألا تشعرون بما أشعلتم بما زعزعتم . . . أوه (باكياً)، كل ما كنت أخشاه . . .

امرأة ١ : ولكن ماهو ؟ ماذا كنت تخشى ؟

امرأة ٢ : ولكن ماذا، أُشْعِلَ ؟

امرأة ٣ : ولكنك تعلم، أنك تقلقني . . .

رجل ١ : آه، أنا أقلقك . . . إنه أنا . . .

امرأة ٣ : بالطبع أنت . ومَنْ سواك ؟

رجل ١ ، (ساخطاً) : أنا، أنا، أنا مُقلق ! أنا مجنون ! بالطبع . الشيء ذاته دائماً . ولكن أنتم، حين يكون الأمر واضحاً للعيان . . . ولكنكم لن تجعلوني أصدق . . . أنتم تشعرون به مثلي . . . ولكنكم تتظاهرون فقط . . . تجدون أنه من الخبث أن تتصرفوا كما لو أن . . .

رجل ٢ : ولكن بحق السماء، كما لو أنّ ماذا ؟ لا، بالتأكيد، صحيح، فنحن جميعاً حمقى وأغبياء مساكين . . .

رجل ١ : أوه، أرجوكم، لاتحاولوا خداعي، لاتتظاهروا بالبراءة . فأيُّ شخص عاقل يشعر بذلك مباشرة . . . نحن . . . . كالرائحة الفائحة . . . كما لو أن . . .

(تُسْمَعُ ضحكة خافتة)

أسمعتم ؟ أسمعتموه ؟ لم يستطع أن يتمالك نفسه. فانفلت منه الزمام.

امرأة ١ : إنه جان- بيير الذي ضحك. اعترفْ بأن ضحكنا سوف يكون أقل منه. إنه حقاً أمر مضحك للغاية. إنه هو الذي يُفْلِتُ الزمام، على ما يبدو.

امرأة ٢ : جان - بيير... ولكن من غير المعقول، ليس هو من تتحدثون عنه !

امرأة ٣ : جان - بيير هادئ جداً، لطيف للغاية...

رجل ١ : عمّن تريدين أن نتكلم ؟ عمّن غيره، إنّي أسألك... ولكنك تريدين إثارتي مرة أخرى...

رجل ٢ ، (بصوت هادئ) : جان بيير. آه، هي طيبة. ممتازة. يتعلّق الأمر به إذاً.

رجل ١ : لا. بإمبراطور الصين. (متضاحكاً). بملكة سبأ. بشاه بلاد فارس...

امرأة ١ : أهنئك إذاً يا جان - بيير، ياصديقي. فأنت تفعل الكثير... خفيةً... أوه، الخبيث الكتوم... أتعي ماذا تفجّر، وأنت جالس هناك، بلا مبالاة ؟

امرأة ٢ : إنه أنتَ إذاً، يا جان - بيير المسكين، السبب في كل هذا الجنون.

امرأة ٣ : أووه، الخبيث... يجب التنديد به... أوه، الفظاعة... الرجل المرعب المخيف. جان - بيير، ولد متواضع وعاقل للغاية... انظروا ماذا فعلتم، في أي حال وضعتم صديقنا المسكين.

رجل ٢ : جان - بيير - الرعب. هكذا سأناديك. قاطع الطريق المريب. انظروا إليه. ولكن وشرفي، إنه يهددنا ! مسدسه في يده !

(ضحكات)

امرأة ١ : حسناً، يا جان - بيير، ألستَ راضياً؟ لم تكون تشك في هذا، أليس كذلك؟ . . .

رجل ١ : سامحهم، إنهم لايعرفون ماذا يفعلون، لاتأبه بهم . . . ما كان عليّ أبداً، فهذا واضح . . . أنا أول من انتبه إلى هذا. ولكن عليك أن تفهم . . .

امرأة ٢ ، (منفجرة من الضحك) : أتسمع يا جان - بيير، عليك أن تفهم . . . أن تفهم كل شيء (بصوت متحذلق كاذب)، يجب أن تسامح كل شيء يا جان - بيير، لا تنسَ هذا.

(أصوات عديدة وضحكات)

- نعم، أتسمع، كن متسامحاً . . .

- نحن نتضرّع إليك . . .

- أشفُق يا جان- بيير، فنحن نتوسل إليك . . .

رجل ١ : (بجدية بالغة) : لا تودّ سوى طمأنتنا، أليس كذلك؟ أنا متأكد من هذا . . . كنت ستفعله لو كان بإمكانك . . . ومع ذلك فالأمر لايتطلب إلاّ القليل. كلمة فقط. كلمة صغيرة منك وسوف نشعر بالخلاص. كلهم مطمئنون. هادئون. لأنهم كلهم مثلي، أتعلم! ولكنهم فقط لا يجرؤون على إظهار شيء، فلم يعتادوا على ذلك . . . إنهم خائفون . . . لايسمحون لأنفسهم بذلك أبدا، أتفهم . . . إنهم يلعبون اللعبة، كما يقولون، يعتقدون أنهم مجبرون على التظاهر بذلك . . . كلمة واحدة. ملاحظة صغيرة تافهة للغاية. أيّ شيء يحلّ المسألة، أؤكد لك. ولكنّ الأمر

على ما يبدو أقوى منك، أليس كذلك ؟ أأنت « محاط بجدار صمتك » ؟ أليس هكذا يقال ؟ . . . يودّ المرء الخروج منه ولكنه لايستطيع، هيه ؟ شيء ما يمنعك . . . كما في الأحلام . . . إنني أفهمك، أعرف ذلك . . .

امرأة ٢ ، (ساخطة) : لا ، ولكن ماذا يجب أن نفهم ؟ ربما أنا أيضاً خوّافة، مكبوتة جداً، ولكن ما أجرؤ عليه مثلاً هو أن أقول لك بأن تترك هذا الصبي وشأنه . فهو صبور . . . لو كنتُ مكانه . . .

امرأة ٣ : إنه خجول جداً، هذا كل ما في الأمر .

رجل ١ ، (بنَهَمٍ) : نعم، نعم، خجول . إنه خجول . نعم، هو ذاك، لقد قلته ياسيدتي . حسناً . يجب ألاّ نبحث عن سبب آخر . لماذا سنُشْغِلُ بالنا ؟ حسناً، إنه الخجل . لنَقُلْ ذلك . يجب تكراره . إنه خجول . هذا الرائع، كم يعطي الاطمئنان ! . نبحث، نتناقش، نضطرب، وفجأة كل شيء يعود إلى مكانه الطبيعي . ماذا حصل ؟ لاشيء البتّة . أو بالاحرى حصل شيء، أمر طفيف، مألوف ما أمكن . كم ارتحنا . . . إنه الخجل إذاً .

رجل ٢ ، (بصوت أجش) : أوه لا ، أما أنا فأرفض . لن نقبل هذا . لن يكون مضحكاً . لقد دخلتُ في اللعبة، وأصبحتْ تسلّيني . أنا أرفض هنا، (بنبرة صبيانية) أن أكتفي بهذه المظاهر التافهة، بهذا التبسيط الخامل . . . لا ، لا ، لنكن صادقين . . . ألم يكن هناك شيء ؟ تهديد غريب ؟ خطر مميت ؟ آه ولكني أنا، وكما تعرفون، أعبد أفلام الرعب والروايات البوليسية . لن نكتفي بهذا . الخجل ! أُفٍّ إذاً . أُفٍّ من هذه الصيغ الجاهزة . هناك مَنْ يضحك منّا . ما للخجل ولهذا ؟ أنت تحاول تهدئتنا . إلاّ أن غريزة الحفظ لديّ أنا أيضاً

مستيقظة . لنَر . لنمسك بهذا الغموض من أساسه ، أو بالأحرى لنعد إلى أصله . فمن ملاحظة حول المظلات الصغيرة التي تشبه التخاريم الملوّنة والجنائن الصغيرة الملأى بالياسمين . . . من هنا ابتدأ كل شيء . لن يخدعني أحد ، فأنا لا أنسى بمثل تلك السهولة . . . هذا ما حرّك شرارة تصعيد الأمور والفوران والاختناق وصراخ الاستنجاد . وها نحن نريد تغطية كل هذا بالخجل . . . كغطاء نرمي به على شعلة النيران . . . ولكن فات الأوان ، فكل شيء يحترق ، ألا تشتم رائحة النار في الهشيم ؟ . . .

رجل ١ : (يئنّ) ، الرحمة . لا تستمع إليه . إنه مجنون . لا يعرف ماذا يقول . كلمة واحدة فقط . كلمة صفح . أعرف تماماً بما كنتَ تفكر . عرفته حين قيل ، كان عليّ الامتناع ولكن لم أستطع . صمتك . . . كدُوارٍ . . . كنتُ مجذوباً . . . إنه شيطان . . . كما يُوَسْوَسُ لنا خلال القداس لنلفظ كلمات تدنّس المقدّسات . . . لقد دفعني صمتك بكل ثقله . . . توغلتُ بعيداً ، وكنتُ مغالياً . . .

امرأة ٢ : لقد غالى ، أتسمع ؟ ولكن يا جان - بيير ، قل شيئاً . بدأتُ أخاف أنا أيضاً . بدأتَ تثير أعصابي .

امرأة ٣ : لا ، اتركوه . هذا يكفي . لقد طالت هذه اللعبة . لننتقل إلى شيء آخر لو سمحتم ! لم يعد الأمر مضحكاً .
مازلتَ لم تحدثنا عن السبيل الأفضل للسفر إليه ، للتوغل فيه ، في بلد أحلامك ؟

رجل ١ ، (فَزِعاً) : لا أعرف . . . أوه ، لا أعرف شيئاً . . . أوه ، شيء آخر بسرعة . . . أوه ، إنه يتراكم الآن ، أوه ، كم يتضخم ! . . . أوه ، تخفى عليّ أمور . . . الكثير من قلّة الحياء . . . فظاظة كهذه . . .

أترى، لقد عوقبتُ كفايةً. لأنني لم أمتلك أنا أيضاً تلك الصفة. هذه هي غلطتي، فلقد نقصني الحياء. هذا ما يثير تقززكَ، أليس كذلك؟ هذا ما لاتسامحهُ أبداً. لقد فعلتُ خزياً، نعم إنه لكذلك . . . وأنتَ لا تتحمله. أنت نقي جداً، كنقاء الملاك. أترى التفاهات التي تجعلني أنطق بها. أنا أضحوكة. لم أعد أدري ما أقول. حالما أكون معك أتشدّق. . . ولكني أفهم جيداً وأنت تعلم ذلك. لقد انزعجتَ من أجلي. لأنك فهمتَ كل شيء. أشعر بذلك دوماً: أنت تفهم كل شيء. عندما تصمتُ هكذا وتنظر إلينا ونحن نتمازح كالصبية الصغار الحمقى، لا يفوتك شيء. . . لقد انزعجتَ من أجلي. ذلك لأنني مصرّ على هذا الأمر، حقاً، على هذا، على المظلات ذات التخاريم المطلية. . . وهكذا، حصلتُ على خلاصي. . . ولكن بأي طريقة؟ . . . بأي شكل؟ . . . أي ثمن بخس. . . ؟ أي «كلمات» هيه؟ أليس كذلك، كان كذلك؟ هيه ؟ كان كذلك ؟ (في هذه الأثناء يتحدث الآخرون: ضجيج بعيد، تتناهى بعض الكلمات. . .)

- إنه عصبي جداً. . .

- كان أبوه. . .

- بالنسبة لي، الانفصال. . . الكولّيج. . .

- جدتي. . .

(ثم تعود الكلمات لتظهر أكثر وأكثر. . .)

- كلمات سيئة.

- ها هو يعتذر أمام جان - بيير. . .

- جان - بيير العالِم الفذّ. . .

- أتعرف القصة . . . هبْه إذاً كتاباً . . . أوه لا ، لديه واحد . . . ها ها ها (ضحكات) .

رجل ١ ، (يواصل كلامه) : أوه ، كم هم أغبياء . لايفهمون شيئاً .
ليس المرء بحاجة لقراءات واسِعة لكي يصبح شديد الحساسية ، لكي يكون كفؤاً . . . إنها هبة ، موهبة . إما أن تكون فينا أو لا تكون . هم ، يمكنهم قراءة مكتبات بكاملها . . . أما أنتَ ، لقد شعرتُ دائماً بذلك . . . الكلمات بالنسبة لك . . . لم تقل أبداً كلاماً مسطّحاً . لاشيء غامض البتّة ، ولا ادعّاء . بالتأكيد ، عليك أن تستخدم كلمات من وقت لآخر . يجب عليك ذلك . لكي تعيش ، كحد أدنى . أنت تعرف الكلمة أفضل منهم ، فهي خطيرة .

رجل ٢ : أعتذر لتدخّلي في هذه المناجاة ، ولكسر هذا الجو المتعاطف ، ولقطع حبل هذه الأسرار (ضحكات) ، ولكن يبدو لي أنه إن كان هناك شيء يجب عدم قوله لجان - بيير ، فهو . . . هذا الذي قيل ، بأن الكلمة خطيرة . المسكين سيصمت على إثر ذلك إلى الأبد . . . إن كان هناك مَنْ يعرف بأن الصمت من ذَهَب ، فهو جان - بيير . . . إنه يعتقد بذلك أكثر من اللازم . . .

رجل ١ : أترى إلى ما سيصلون . . . أترى . . . إلا أني لا أظن ذلك ، ولكن لاحظ ، في هذه اللحظة ، إنها أمور لامناص من قولها دائماً . . .
فعندما يتحدثون عن الخجل . . . يكفي أن يبدؤوا بالنكش في الداخل ، كما يحدث الآن . . . أوه ، ليس أبداً للبحث في العمق ، كما تعلم . ولكن أخيراً ، سوف يجدون بالتأكيد . . . الغرور بدايةً . ومن هنا الوصول للقول إنك معقَّد . . . أعترف لك أنني أنا أيضاً . . . أحياناً . . . حين تعاند . . . ولكن كما ترى ، ففي

أعماقي، أنا لا أعتقد ذلك. . . أنت معقَّد! يا للجنون. . . أنتَ الذي. . .

امرأة ٤ ، (صوت شاب، خافت) : أنتَ مخطئ، أنتَ تعلم أنك لن تستطيع أبداً التغلب هكذا. لقد راودني هذا للحظة أنا أيضاً. . . حسناً، أستطيع أن أؤكده لك. هو شيء واحد: عدم الانتباه.

رجل ١ : عدم الانتباه؟ أنت طيبة. . .

امرأة ٤ : نعم، أعرف (بصوت أكثر انخفاضاً)، إنه يعتمد على ذلك. . . بأنّك لن تتوصل إلى هذا أبداً. إنه متأكد منه تماماً. . . فهو يسيطر عليك من هنا. ويتسلّى. في حين أنّك. . . إليك ما يجب فعله، اسمع: «أنتَ تعلم أنني قابلتُ بونقال. وسألني إن كنتُ أراك. . . حمّلني سلاماته الصدوقة إليك. . . رأيته وقد تغيّر كثيراً، لقد هَرِمَ. زوجته، على العكس، مازالت جميلة جداً. . . » (بصوت منخفض). هيّا، أكمل.

رجل ١ ، (بصوت مضطرب) : نعم، إنها جميلة جداً. . . ولكن لو عرفتها. . . لا (متباكياً)، لا أستطيع. . . أنت تطلب مني زيادة عن اللازم، هذا مستحيل. تريدني أن أركض وأنا لا أستطيع جرّ نفسي، إنه حملُ مئة طنّ. . . أنا مسحوق، أختنق. . . (صارخاً). ولكن تكلّمْ أخيراً، قلْ شيئاً. إذا كنتَ تعتقد بأننا، بأن هذا يسلّينا. فنحن نبذل مجهوداً، لسنا هامشيين، نحن نهدر كرامتنا، نعم، عطفاً ولطفاً، كي نخلق تواصلاً، نعم، نعم، تستطيع احتقاري وتدميري، اخنقني، سأصرخ بذلك حتى آخر أنفاسي: تواصُل. . . نحن نضحي بأنفسنا. . . نوافق على قول الحماقات. . . لا نهتم بالرأي. . .

امرأة ٣ : ولكنه الآن يمثّل الغضب أمامه . أقسم إنه يشتمه . . . هذا مضحك جداً . . .

امرأة ١ : بدأت أجدُجان - بيير قوياً جداً ، فأنا لن أستطيع التحمّل والمقاومة .

رجل ٢ : أفتح الرهان . سيجيب . لن يجيب .

رجل ١ ، (بصوت باهت) : من العبث المراهنة . لن يجيب . السيّد يحتقرنا . فثرثرتنا وزقزقتنا وأدبنا السيء وشعرنا الرديء ، إنه أبداً لايريد النزول إلى هذا المستوى . ولكن ، أنا ياسيدي العزيز سأقول لك ماذا أفكر في العمق ، كل أفكاري . هم محقّون . أنتَ خجول . لمَ المحاباة ؟ ما هذه التعقيدات ؟ رأيُنا يخيفك . فماذا لو تفوّهتَ بحماقة ما ؟ لأنه من الممكن أن يحدث هذا ، هيه ؟ حماقة كبيرة ككل الناس . وإذاً (مزقزقاً بصوت أنثوي) يا للفظاعة . . . ماذا سيقولون ؟ بالنسبة لي ، تصورّْ ، أن يُعْرَف عن المرء بأنه مسكين أو غبي ، أوه ، قد يكون ذلك غير مُحْتَمَل . . . بينما هكذا ، حين أعتلي عرشي ، لايهتم الآخرون إلاّ بي . . .

امرأة ٣ : ولكن أنت تعلم ، أنه بالنسبة لي ، فإن الأشخاص الصامتين لايؤثّرون بي . فأقول لنفسي ببساطة ، ربما ما من شيء لديهم ليقولوه .

امرأة ٤ : حسناً ، بالنسبة لي ، لا ؛ أعترف ، الناس الصامتون . . . حين كنت في الخامسة عشرة من عمري ، وقعتُ في حب سيد . . . من بعيد بالتأكيد ، كنتُ في الخامسة عشرة من عمري ، كان صديقاً لوالدي ، ويدّخن غليونه بصمت . . . كنتُ أجده . . . شخصاً لايُقاوَم أبداً !

امرأة ٣ : أنا أيضاً ، في تلك السن . . . ولكن منذ ذلك الحين ، أؤكد لكم أنه قد مرّ عليّ ذلك ومضى . . .

رجل ١ : أترى، تعتقدانك أحمق. نتيجة جميلة. ولكن من المُرَجَّح أنك تهزأ بذلك. بالتأكيد فالأمر سيّان عندك ؛ وإلاّ لكنتَ بذلتَ مجهوداً. (بليونة). إنك تهزأ بذلك، كنتُ ظالماً، سامحني. أنا، على العكس، أتدري، أُحسُّ، أحسستُ دائماً بأن لديك... ولهذا فمعك... أنْ يصمتَ أحدهم، فلن أُعير اهتماماً له إطلاقاً. ولكن أنتَ... دون أن تكون هناك حاجة لعلمٍ عظيم... على العكس، هذا يسبّب إرباكاً. لهذا فغالباً ما يكون المثقفون... أوه، حسناً، أوه... لستُ الحقيقة... ولكن كيف لم أصل إلى هذا قبل الآن ؟... ولكن أنتَ تعلم بأنه يجب عدم تصديق ذلك، عدم تصديقه مني... مني لا، مني لا، أبداً. لستُ منهم. أنا أكرههم... أنا لا أحدّد لِولويات قِيَمي أبداً كما تعتقد أنت. أبداً. فمعهم، غالباً ما أشعر بالضيق. إنهم قساة، مخشوشبون... آه، مارت، صدقيني، لا تقعي في حب مثقف.

امرأة ٤ : لا تخف... (بصوت خافت). هيا. تابع. ليس سيئاً... ربما ينفع ذلك... قد تصل هكذا إلى مبتغاك.

رجل ١ : ولكن كل أصدقائي أنا... أناس دائماً بسطاء جداً، وموجزون. فعندهم نجد.. أذكر نجاراً... أذكر... ولكني لا أدري لماذا أقول هذا... هناك أناس في كل مكان... ومن بين المثقفين... وماذا تعني كلمة مثقف ؟ هيه ؟ يجب الاتفاق... أنتَ واحد منهم بالتأكيد... وإذا انطلقنا من هنا...

امرأة ١ : أعتقد بهذا حقاً. إذا لم تكن مدرسة المناجم حاضنة لهم... كما يقال...

امرأة ٢ : نعم. أين نجدهم، هؤلاء المثقفين حسب هذا التقييم ؟

رجل ١ : عندك حق. أين نجدهم ؟ ومن ثَمَّ، ما هو المعنى العميق ؟
لا ، كنت أقول هذا، لأنّ هناك أناساً يحملون أحكاماً مُسبقة. . .
حالما يشتمّون وجود مثقفٍ. . . كما لو أنّ. . . إنه نوع من الكراهية. . . فتلك الأحكام المسبقة تطاردهم منذ الطفولة. كنتُ أعرف عائلة. . . فكان يتملك الأبوين نوع من الكره. . . المساكين، أنجبا بذلك الكثير من الأطفال الشهداء. . . خذي مثالاً آني ابنة عائلة ميريه. . . هي فتاة مجتهدة. . . متحذلقة بجدارة. . . شمطاء بجدارة. . . عليّ الاعتراف بأنها توقظ عندي الغرائز. . .

امرأة ٢ : نعم، أفهمك. . .

امرأة ٣ : إذاً بالتأكيد، ليس هناك من شيء نفعله، أنت لا تريد القول كيف علينا الذهاب. . . هناك. . . قد يكون الأفضل بالسيارة. . . ولكنّ الطرقات. . .

رجل ١ : ولكن ماالذي يجعلك هكذا ؟ ما الذي يهمك كثيراً ؟ ما أهمية هذه البيوت الخشبية ؟ أتعلمين مالديك ؟ أنا مثلك في الأساس. نحن نتبع الموضة. في هذا الوقت، الخشب، ولا أدري لماذا. . . يضع الناس في حالة من القلق. . . الأشياء الخشبية. . . الممالح. . . العوارض الظاهرة في السقف. . . أمسِ قرأت مقالة مسلية حول عشق الموضة هذا للعوارض القديمة. . . فاعترفتُ. . .

رجل ٢ : هذا صحيح. إنها ردة فعل على غزو الصفيح والإسمنت.

رجل ١ : ولكن يجب أن يكون المرء ابن زمنه. أنا نفسي أردّد هذا دائماً على نفسي، في كل مرة أجد فيها جرّاراً زراعياً يحتل مكان عربة زراعية جميلة. . . تعلمون أن هذه العربات. . . الجميلة جداً. . . ذات اللون الأزرق. . . الذي لايوصف. . . أوه، عفواً. . . أسمعتم ؟

(أصوات مختلفة)

- لا .

- لا ، لاشيء .

- سمعنا ماذا ؟

رجل ١ : صفيراً . . . لقد صَفَّرَ . . . سمعتُ . . .

امرأة ٣ : مَنْ، هو ؟ جان - بيير من جديد ؟ آه، هل عاودتَ الكرّة ؟

رجل ١ : سمعتُ . . . أوه، لا ، اتركونا . . . يجب أن أكلّمه . لقد لفظتَ كلمة جمالية . . . أليس كذلك ؟ ألم تقلْ شيئاً ؟ مع ذلك كدْتُ أقسم . . صحيح أنني عاودتُ التعثُّر . هنا ، مع هذه العربات الزراعية . . . كان أمراً مضحكاً . . . أنتَ تعلم، لم أستطع أبداً التحرر من هذه العاطفية . هذه الناحية العاطفية باللغة العذوبة الطفولية . . . (يضحك ضحكة حادة) حاولت جاهداً احتواءها ، ولكنها تعاود الظهور . أنتَ تعلم، كل حياتي . . . اضطررتُ أن أضيّع سعادتي بسبب هذا .

امرأة ١ : آه، احك لنا . . . كيف ضيّعت ؟ أيّ سعادة ؟ هيا ، قل لنا كل شيء .

رجل ١ ، (مطواعاً) : كل شيء . كـــــــلّ شيء . . . لن أحتفظ بشيء . هاكم . كنتُ غارقاً في الحب ، ولكنْ غارقاً تماماً ، في حب فتاة معبودة . رائعة . كادت تكون الفتاة المناسبة لي تماماً . قوية بقدر ما أنا ضعيف . لها وجه . . . جان - بيير ، انظروا ، حين يكون جالساً هنا ، يدير وجهه جانباً ، بشكل مستقيم وقاسٍ وصافٍ جداً ، فإنه يذكرّني بها . ما كانت لتستبلم مثلي . . . أقصد، من أجل حماقة كهذه . . .

كنا نتنسّم الهواء العليل على ضفاف السين في ڤير غالان ؛ ونحضرّ امتحاناتنا ؛ ونطرح أسئلة حول تأجيل الشراء والتسليم في البورصة. كنا ننحت في تحضير امتحان القانون المالي. فقلتُ لها: (ندّت عنه ضحكة) انظري إلى الصفصاف، إلى هذا النور... ولا أدري إلى أي حماقة من هذا القبيل... تلك الانعكاسات هناك على صفحة الماء... لم تُدِرْ رأسها، دائماً منكبّة على دروسها في نوطتها... رددّتُ كلامي مرة أخرى... فطرحتْ عليّ سؤالاً فظاً حول عملية تأجيل الشراء في البورصة... فشعرتُ بكل شيء يُهدَم... لم أستطع شرحها أبداً. انهار كل شيء. لم تفهم أبداً. كل عائلتي، وعائلتها، كانوا في غاية السرور... « إنها حالة مرَضية »، أذكر أن والدي قال لي هذا. كان غاضباً... إنها حالة مرَضية عندي أنا، هذا صحيح، إنه على حق... ولهذا...

رجل ٢ : أوه، ياله من أمر مضحك. أنتَ مُسَلٍّ. أنتَ ترى جيداً بأنك متمسّك بأعماقك بمظلاتك الصغيرة، هيه...

رجل ١ : ولكن أترى تماماً ما كلّفني هذا الأمر. غالباً ما ندمتُ منذ ذلك الوقت... ربما هدرتُ حياتي... هل سمعتَ؟ كما لو أنه أحدث ضجيجاً. خيّل إليّ أنه ضحك؟...

رجل ٢ : ضَحِك بالتأكيد. أنت مضحك جداً.

رجل ١ : أوه، لقد ضحك، هذا أكيد. جعلتُه يضحك. يالسعادتي! كيف لا أعطي أكثر؟ ليأخذ، كل شيء له. كل شيء له. شرط أن يضحك. وهكذا، بسطتُ لك أساريرك، هيه؟ لقد أضحكتُكَ... ربما يُذكِّرك هذا بشيء ما، أنتَ أيضاً. بشيء مضحك... في حياتك... ستكون سعادة ولا أحلى، سيكون شرفاً ولا أعظم... لستَ بحاجة إلى أن تعطي أكثر من ذلك. أنا

كما تعلم (فجأة يصبح وقوراً جداً) إنه شيء كثير هذا الذي أعطيتهُ . . . دون أن يبدو عليّ ذلك . . . (تنهيدة مخنوقة) . . . إنها عطاء كبير . . . ولكن بالنسبة لك ، جزء بسيط فقط . . . قطعة صغيرة . . . حبّة . . . سنكتفي بها . . . لا ، لا نقترب منك هيه ؟ أنتَ لاتحب هذا الاختلاط . لم تكن تطلب مني شيئاً ، أليس كذلك ؟ لماذا كنتُ لأفرضَ عليك . . . أنتَ تتبرأ . . . بقوة أكبر . . . أوه ، إنه يبتعد أكثر ، توقف . . . (يتوجه إلى الآخرين) لكن ، افعلوا شيئاً بحق الشيطان ، ولكن تحركوا هيا ، أصبح أمراً لايُحتَمَل ، إنها قلّة حياء . . .

امرأة ١ : هذا صحيح ، جان - بيير ، قل شيئاً . . .

امرأة ٢ : بالتأكيد ، جان - بيير يحتقرنا . . .

امرأة ٣ : جان - بيير ، أنتَ تقلقني . . . (ضحك) .

رجل ٢ : هيا ، جان - بيير ، اخرسوا (تزايد الضحك) .

رجل ١ : إنهم يغيظونك . . . ولكني سأقول لك : بمعنى ما ، إنني أفهمك . هي أشياء يجب عدم مَسِّها . إنها مقدسة بالنسبة لك تلك المظلات الصغيرة . هو الشيء الذي لايُمَسّ . إنه الأمر الذي يجب التعامل معه فقط كما يتم التعامل مع رموز العبادة ، فعلى المرء أن يرتدي الثياب الكهنوتية . أثارك هذا التدنيس . أنتَ تريد التعبير لي عن عدم موافقتك . أنتَ تنفصل . إنه لكذلك . السكوت ليس علامة الرضى . أنتَ لاتحب أن نقوم بالتفريط . . . كم أنا مُعْجَبٌ بك . أحب هذه الصرامة . هذا التشدّد . أنت شاعر ، حقيقي . . . شاعر . . . إنه أنت . . .

امرأة ٣ : هاكم، التطرّف دائماً. قبل قليل كان فظاً. الآن هو بودلير. أتعلم يا جان - بيير أنّ ما تفعله هنا مؤثّر جداً.

امرأة ١ : بالنسبة لي لو كانت لدي القوة لامتلاك نفسي، لاحتفظتُ بالصمت دائماً.

امرأة ٢ : أنتِ تعلمين أن جورج صاند. . . إنها جاذبيتها. يبدو أنها لم تكن تنبس ببنت شفة.

امرأة ١ : نعم، كانت تدخّن السيجار الثخين. أتخيلها: عيناها نصف مغلقتين ويشوبها الغموض. لا يدهشني أن كل المعاصرين لها كانوا متأثرين بسحر جاذبيتها.

رجل ٢ : أنتِ تنسين تفصيلاً صغيراً : كان لديها أعمالها لتدعمها، وتسدّ بها فراغ الصمت.

رجل ١ : ولكن لا، أنتم لاتفهمون. هنا يكمن ضعفها. هي دون أعمالها أقوى. دون فعل شيء، أقوى بكثير. أن يبقى المرء هنا، صامتاً، دون أن يفعل شيئاً. . . اعذرني، لا أتحدث عنك، أعلم أنك تعمل، يعجبني عملك، أنتَ تعلم. . . كل هذا. . . إنه مجال مُغْلَق بالنسبة لي. . . لا، نحن في العموميات. هذا قوي جداً، حين لا نعمل شيئاً، لا شيء على الإطلاق، وحين نصل بذلك الضغط الذي نمارسه فقط. . .

امرأة ٣ : أتعلم، هذا غريب، إنه مُعْدٍ، لقد نقلتَ لي مرضك. . . أنا أيضاً الآن بدأت أصبح محاصرة. . . كما لو أنه فوّحٌ. . . لا، يا جان - بيير، أوقفْ هذا. . .

امرأة ٢ : جان - بيير، تِيْ، تِيْ، تِيْ، انظر إلى هذا العصفور الصغير. . . ابتسمْ. . . أيضاً. . . . هِيْ، هِيْ، ابتسمْ. . . نعم هكذا. . .

امرأة ٣ : ابتسمَ حقاً. . . لقد رأيتُه. . .

رجل ٢ : هذا صحيح، رأيته أنا أيضاً. ابتسم، هذا واضح. نحن نسلّيه، هذا جليّ. يجدنا مضحكين. نحن مضحكون، منجذبون، مسجونون. لقد أسَرَنا. هذا الصمت، كأنه شبكة. إنه يرانا نرتجف. . .

امرأة ١ : أنا سأفعل بالمثل. سنفعل كلنا بالمثل. سنلعب هذه اللعبة، الصمت. سيصمتُ كل واحد فينا، بملء وقاره. . .

امرأة ٢ : ولكن. . .

امرأة ٣ : صَهٍ. . .

(صمت).

امرأة ٢ ، (تندّ عنها ضحكة) : لا، أنا خارج اللعبة. لم أعد أستطيع. لا أستطيع، لساني يحكّني. . .

رجل ٢ : حسناً، أنت تعلم، لم نرتقِ الى هذا المستوى. صفر. يجب الاعتراف بذلك. صمتنا لايساوي شيئاً؛ ليس له أي تأثير؛ عليّ، على كل حال.

(أصوات مختلفة).

- ولا عليّ.

- ولا عليّ أنا أيضاً.

- ولا أي وزن.

- إنه أخف من الهواء. إنه ذو فراغ. . .

رجل ١ ، (بنهم) : أترون، سبق وقلت لكم. عنده، الأمر ثقيل، ممتلئ إلى حدّ الانهيار. ما في داخله لا يُصدَّق. إنني أضيع في داخله. . . يَغْرَقُ المرء فيه. . .

رجل ٢ : الحقَ أقول لكم، أنتم تضيفون إليه أشياء كثيرة. أنتم تغدقون عليه كل أنواع الأشياء التي من المحتمَل . . .

امرأة ١ : ولكنْ، سيماؤهم في وجوههم. بالنسبة لي، كان من الممكن أن أصمت الى ما لا نهاية . . .

رجل ١ : أعرف الآن ما تأخذه عليّ. عندك حق. إنها مسألة شكل. قلت لك ذلك منذ لحظات . . . ولكني الآن فهمتُ . . . إنه الشكل. كان يجب، كي تتقبلها، تلك المظلات الصغيرة، أن أقدمها لك بتهذيب، كما يجب، على طبق من فضة، مرتدياً قفازات بيضاء ؛ في كتاب ذي غلاف جميل ؛ مطبوع بشكل جميل ؛ بأسلوب مشغول بشكل جيد. أنا كسول، قلتَ لي ذلك، أنا أسمعكَ، لا أصلح لشيء، أنا مخادع، أردتُ أن أؤثّر فيك دون جهد، وبثمن زهيد، أردتُ أن أُدْهِشَكَ، أن أصنع لنفسي نجاحاً صغيراً كهذا وأنا أثرثر. كان يجب أن أكدح بعرق جبيني، أن أقضي الليالي ساهراً. أن أجد لتلك المظلات الصغيرة أسلوباً، هيه ؟ أليس هكذا ؟ هذا ما لا تغفره لي. لو كان كل شيء في مكانه في ديوان شعر، لقبلتَ . . . لا، اعذرني. لماذا تقبل ؟ ربما كنتَ تتذوق حقاً هذا الجوهر، هذا العسل، في وحدتكَ . . .

امرأة ١ : هاكَ. كان هذا الصمت من ذهب. سيجبرك على أن تكتب لنا قصيدة حلوة. ستنظم لنا قصيدة جميلة عن هذه النوافذ، عن هذه . . .

رجل ٢ : مستحيل. لا نستطيع. أمر مبالَغ فيه ؛ تافه إلى حدّ كبير. إنها مادة مُسْتَهلَكة. كان جيداً أن . . .

رجل ١ : هاك، أسمعتَ؟ الأمر لا يساوي شيئاً. إنه سلعة سيئة. صالح للأحاديث فقط. لأحاديثنا. بالنسبة لإنسان ذي ذوق رفيع، هذا يقززه كما ترى. أنتَ تعلم أنك نافع. أناس مثلك ضروريون. إنهم يطوّرون... يحملون المشعل عالياً...

(يصرخ فجأة)

خطأ، خطأ، خطأ فادح. أنا مجنون. إنه هذيان الكَرَم. أنتَ لاتصلح لشيء. ليس هكذا. عمّاذا أبحث أنا؟ ماذا فعلتَ كي تسمح لنفسك... ليس عليّ تلقي الدروس. أنتَ تكره الشعر. أنتَ تكره كل هذا بكل أشكاله، الشكل الخام، والشكل المشغول. أنتَ عمليّ. وماتدعوه العاطفية... أوه، مامن مكان يتسع لنا نحن الإثنين في هذا العالم. لاأستطيع العيش حيث توجد أنتَ. أختنق، أموت... أنت مُدَمِّر. سأجعلك تطلب الرحمة. سأجبرك على الركوع. سأصفها، تلك المظلات، وسنجبرك، شئتَ أم أبيتَ. ستصبح مرغماً... لقد كرّر، مرغماً؟ قلتَ مرغماً وأنتَ تضحك.

امرأة ١ : لا، هذه أنا التي قلتها؛ كصدى...

رجل ١ : لا، قالها هو أيضاً. لقد سمعتُه. قالها. مرغماً؟ وهو يضحك. مرغماً، أنا؟ هذا ماقاله. مرغماً؟ من يستطيع إرغامه؟ ولكن لنقرأ عليه أي شيء... من يجبره على الإعجاب به؟

امرأة ٢ : أوه، يجب ألاّ نبالغ بشيء. لجان - بيير ذوق. إنه يعرف هذه الكلاسيكيات عن ظهر قلب.

رجل ١ ، (منتحباً): ولكن أنا، كيف... كيف تريدون... كيف أستطيع المنافسة؟ ليس لي اسم. وهو لا يلين... لا يعترف... السيد

متحذلق. تنقصه الشُهرة. الناس العمليون، هم هكذا. كم تجلب لك ؟ هيه ؟ آخر السنة ؟ ماذا استفدتَ من مظلاتك الصغيرة ؟

(صمت).

امرأة ٣ ، (بصوت غير واقعي) : هناك أناس. . . وجودهم فقط يشلّ الأصوات والقلوب على السواء. . . الأصوات والقلوب على السواء. . .

امرأة ٢ : أوه، ما أحلى هذا. مَنْ قال هذا ؟

امرأة ٣ : بالزاك. هو بالزاك الذي قاله، أسترجعه الآن. . . لقد ذهلني هذا. أظنه كتب في لويس لامبير : مَنْ يصلون إلى درجة عليا، دون أن يستحقوا ذلك، يشلّون بوجودهم الأصوات والقلوب على السواء. . .

رجل ١ ، (مذهولاً) : أقال ذلك ؟ بالزاك ؟ يا إلهي ! وأنت لم تقل شيئاً ؟ ألم تقله قبل ذلك ! وأنا مجنون ! أنا ! عندما بالزاك ومنذ مئة سنة. . . ألم أجعلهُ يقول ذلك هيه ؟ لقد رأى، لقد شعَرَ مثلي. . . لقد فهم. . . شهادة واحدة تكفي لتبرهن. . . وهي جملة مَنْ ؟ بالزاك ! حقاً ! بالزاك، لو كان هنا. . . (يضحك فَرِحاً). بالتأكيد. . . إنه هكذا، ببساطة. . . على كلٍّ، لقد تنبأتُ بهذا كنت أشك في ذلك، قد تسلّل هذا الفرد هنا بيننا دون وجه حق، فهو لاينتمي إلينا، إنه دجّال. يوقف. . .

رجل ٢ : لا أعرف إذا كان يوقف القلوب، ولكن فيما يخص الأصوات، صوتك، يبدو لي. . . إنك لم تتحدث أبداً كما تحدثتَ. . .

رجل ١ : أوه، ولكن ماذا هناك ؟ أوه، أوه، إنه يقوم. . . أتوسّل إليك، لا تذهب. ليس هنا، ليس هكذا. . . النجدة. . . أنا أتعثّر، أنا مُقيَّد، وحدي بين السماء والأرض. . . أوه. . .

امرأة ١ : لقد اكتفى. (ضحكات) أنتَ كدَّرتَه. كنّا ستتكدَّر بأقل من ذلك.

رجل ١ : مُكَدَّر! ولكن لا. لستَ مُكَدَّراً. . . قل ذلك، قله. . . ولكني قد أفعل أي شيء. . . لقد تثاءب، إنه يتمطّط، لقد سببّنا له الضجر. كما ترى بوضوح، نحن دون مستواه. نحن في المدار السفلي. إننا نحن. هو يضجر معنا. . .

امرأة ٢ : حسناً، ماذا تريد أن تثبتَ بهذا ؟ يضجر أناس المدار السفلي هم أيضاً مع . .

رجل ١ : أوه، أرجوك، كفانا تدقيقاً في التفاصيل، ليس هذا وقتها. . . سفلي، علوي. . . ما هذا التمييز ؟ نحن كلنا سواسية، أخوة، متساوون. . . وهاهنا بيننا. . . واحد منّا. . . أوه لا أستطيع تحمّله. . . انظروا كيف يطقطق أصابعه. . . إلى تلك السحنة التي له. . . سيذهب خلال لحظة. . . نظرته شاردة. . . إنه يستقيم. . . لم يعد هنا. . . أوه. . . . أوه. . . . هيا. . . . هيا، كلكم، ابذلوا جهداً، أتوسّل إليكم. . . جان - بيير، سأحكي لكَ. . . لا، لاتخفْ من أي شيء، لن أحكي عن المظلات، لا ليس عن تلك المظلات الشيطانية الملعونة. . . فلتذهبْ لمصيرها. . . (ضحكات) سأحكي لكَ شيئاً مضحكاً جداً. نكتة. أعرف الكثير منها. أحب أن أحكي النكات وأن أسمعها.

أتعرف ؟ كنكتة هذين الصديقين. . . ألا تعرفها ؟ كانا يتبادلان النكات ذاتها. آخر الأمر، وضعا لها أرقاماً. وكان يكفي لأحدهما

أن يذكر لصديقه رقماً : ٢٧ ، مثلاً . . . والآخر ، بعد بضع لحظات ، يقهقه ضاحكاً ؛ فيجيب : ١٨ ، فيبدأ صديقه بالضحك مقهقهاً . . . هذا مضحك ، أليس كذلك ؟

امرأة ٢ ، امرأة ٣ ، رجل ٢ : ها ، ها ، ها . . .

امرأة ٢ : هذا مضحك ، ألا ترى هذا ياجان - بيير ؟

رجل ٢ ، (منزعجاً قليلاً) : أتعلم ، هو كالشاب ذاك الذي جلس في الصالون - وهي حلوة ، تلك النكتة - وكل الناس يضحكون . . . تلتفت إليه سيدة المنزل قائلة : « ألا تضحك ؟ » فيجيب : « شكراً سيدتي لقد ضحكتُ قبل ذلك . . . » .

رجل ١ : ها ، ها ، ها ، حلوة جداً ، ممتازة ، لا أعرفها . . . ولكني سأقول لك نكتة أخرى . لقد قيلت لي مؤخراً . . . صبي صغير عاد من صف التعليم المسيحي . فسأله أبوه : « عماذا حدّثك الخوري اليوم ؟ » فأجاب الصبي الصغير : « تحدّث عن الخطيئة . . . - عن الخطيئة ؟ وماذا قال ؟ » فكّر الصبي الصغير لحظة ثم أجاب : « كان ضد . . . »

(ضحكات من كل الجهات)

امرأة ١ : ها ، ها ، أنا هكذا . . . أنا ، يأخذ عليّ زوجي أنني أتكلّم بهذه الطريقة . « هذا جيد . . . » حين أشاهد معرض لوحاتٍ أو حين أقرأ كتاباً . حين كنت صغيرة ، كنتُ أشبه الصبي الصغيرَ ذاك . يسألني والدي عمّا أتعلمه في مادة التاريخ فأقول له . . . (تتردد أكثر فأكثر) ولكني لا أعرف لماذا أحكي هذا . . . على كلٍّ ، إنه الشيء ذاته تقريباً . . . إنه عمل مزدوج . . . أخيراً . . . أقول له : نتعلّم عصر النهضة . . . وبما أنه كان يبدو عليّ الغموض التام . . .

وأبي يكره هذا . . . فيقول لي : وإذاً، ماذا كان عصر النهضة ؟
لا يبدو عليك أنك تعرفين ما هو . . . فأجيبه : « كان جيداً،
نعم . . . » (ضحكات مختلفة) ولكنْ هذا غباء . لا أعرف لماذا . . .

رجل ١ : (غاضباً) : ألا تعرفين ؟ حسناً سأقول لك . بسبب السيد . لقد أُصبْتِ، تلوثْتِ . لقد تمكّنَ منكِ . إنه يشدّكِ . . .

صوت : إنه يشدّها .

رجل ١ : وأنا، ما رأيكم ؟ هل أنا بحاجة لأن أحكيها، قصصي ؟ أنا أعرفها . . . ما عندي رغبة في أن ألمع، أؤكد لكم ذلك . . . فالأمر يتعلق بهذا . (بمرارة) . لسنا بهذا الصدد . هذا لتسلية السيد . فليتفضّل ويعذرني . ولكنْ ما الشيء الذي لن نفعله لأجله ؟ نحن على استعداد لكل شيء : أن نجعل من أنفسنا موضع سخرية، أن نصبح وضيعين . . . كل شيء . . . هي، تلك المسكينة، تمكّنَ منها الدوار . . . نحن على استعداد لأن نكون ملعونين . سنُعَهِّرُ أرواحنا . . . كما فعلتُ أنا . . . ليأخذْها . . .

امرأة ١ : (متوسِّلة وهامسة) : نعم . . . نعم، خذها، لم أعد أستطيع الاحتفاظ بها، أنتَ تمتصها . . . إنها تثور، ها هي . . . أهديها إليك . . . أقدمها قرباناً عند قدميك . . . أتعجبكَ ؟

امرأة ٢ : وروحي أنا ؟ هكذا ؟ تعيسة ؟ لا، ألا يعجبكَ هذا ؟

امرأة ٣ : ليست تعيسة ؟ خائبة ؟ لديها حنين ؟ لا، ليس هكذا ؟ . . .

امرأة ٤ : مضحكة، على العكس . مسلّية . مَرِحة جداً . وجسورة . . . سترى، سوف . . .

رجل ٢ : لا، هزلية، مضحكة قليلاً، أعرف . . . هذا ما سوف يحبه . انتظر، سوف أحكي لك . . . أهو سيّان عندكِ يا مارت إنْ حكيتُ ؟

امرأة ٤ ، (بحزن ودون أمل) : بالتأكيد . . . كل ما تشاء . كيف لي أن أرفض ؟ إذا فكرتَ . . . أشك فقط . . .

رجل ٢ : وأنا أيضاً والحق يقال . ولكن يجب المحاولة . . . لايوجد ما نخسره ، صدقيني . . .

امرأة ٤ : حسناً ، إذاً هيا .

رجل ٢ : حسناً ، أنتَ تعلم أن مارت تُرينا دائماً مالم نره من قبل . أنتَ تعلم أن مارت تجيد السباحة ، ولكنّ لها عيباً ، فهي لاتعرف كيف تقف على أرض صلبة . . .

رجل ١ : تبدو عليه المفاجأة ، إنه يحدّق فيك . لماذا بُغتةً ؟ كان بإمكانكَ تحضير . . . كذاك الذي يحاول لفت الأنظار الى قصته الطريفة . . . كان يريد إدارة المحادثة . . . ولكن لاسبيل إلى فعل شيء . . . إذاً أخيراً . . .

رجل ٢ : لا ، لاحاجة للتحضير . . . وما نفع ذلك ؟ لماذا إضاعة الوقت ؟ هذا يزعجه ، إنه يفقد صبره . . . حسناً ، هاكَ : حدث هذا على الشاطئ خلال هذا الصيف . كانت مارت تسبح في أقصى الجَزْر . . . تستغيث . . . صراخ . . . النجدة ! . . . كل الناس يتأهبون . . . الناس يتجمعون . . .

امرأة ٤ : أوه ، يتجمعون . . . كنا وحدنا . . .

رجل ٢ ، (حازماً) ، لا يا مارت . تعلمين جيداً أننا كنّا كُثُر . صرختُ فيها . . . قفي ! على رجليك أقول لك . . . وأنا ألهث من الصراخ . . . والناس يقهقهون : ولكنها تستطيع أن تقف ورأسها خارج الماء . . . أخيراً ، كان ذلك مضحكاً . . .

رجل ١ ، (حزيناً): لا ، أترى هذا لاينفع . كل التضحيات دون جدوى . نشعر بألم . . .

امرأة ٤ : نعم، أجد أننا نشعر بألم أكثر مما سبق .

امرأة ١ : هذا صحيح . أوه ! أرغب بالرحيل، في النهاية . أريد الذهاب . يتملكني القلق . . .

امرأة ٢ : إحساس . . . أنا أيضاً . . .

امرأة ٣ : أوه، كالوحدة . . .

امرأة ٤ : ربما أشعر بأمان أكبر، أقلّ خذلاناً، حتى على جزيرة مهجورة . . .

امرأة ٢ : نعم . لم تعد لدينا الشجاعة . . . الشجاعة تنقصنا . . .

امرأة ٣ : الأصوات والقلوب . . . كم هذا صحيح . . . إنه قانون . . . أمام هذا ما من شيء نفعله . . . الأصوات والقلوب . . . وجوده يشلّ . . .

امرأة ١ : وكأنني أصبحتُ فارغة . . . كل شيء قد امتُصّ . . .

امرأة ٢ : بقعة صغيرة امتصتها النشّافة . . .

(صمت طويل، تنهدات) .

رجل ١ ، (صوت حازم): حسناً يا أصدقائي، إليكم . إليكم، (بتصميم) . كنتُ أقول لكم إذاً إن هناك تلك البيوت كما في القصص الخرافية وقصص الجنّ . بمظلات تشبه التخاريم الملونة . وجنائن مليئة بالأكاسيا . . . نعم، هناك، كل شيء على حاله . كل شيء وكأنه عابق بالطفولة . . . هناك تفوح البراءة الصافية في كل مكان . . . وفي الكنائس الصغيرة والمُصلَّيات . . . لأجلها فقط، كما تلاحظون، من أجل مشاهدتها ليس إلاّ، يجب الذهاب إلى

هناك . . . المصلّى الأكثر تواضعاً يحتوي على كنوز . . . رسوم جدارية . . . إنها مدهشة . . . (أقوى) بإيحاء بيزنطي (ينطق بقوة أكثر فأكثر)، كتلك الموجودة في هذا الجزء من مقدونيا (بشكل ميكانيكي قليلاً)، من جهة غراكانيكا وديكاني . . . لن تستطيعوا في أي مكان آخر حتى في ميسترا أن تروا بكمالها . هناك قرية بالتحديد، لا أذكر اسمها، ولكني سأجده لكم على الخريطة . . . حيث نشاهد فيها مُصلَّيات لامثيل لروعتها . . . فيها غنىً لامثيل له . . . إنه فن بيزنطي متحرر يتفجر أمام أعينكم . . . (بيقين) هناك على كلٍّ كتاب حول هذا الموضوع موثّق بشكل رائع مع صور هائلة . . . لـ لابوڤيك . . .

جان-بيير : لـ لابوڤيك ؟

رجل ٢ ، نساء :

– أسمعتَه ؟

– أوه، أسمعتَه ؟

– لقد نطق .

رجل ٢ : أترون، حول الأشياء المحددة . الجدية . الفن البيزنطي . . . فهذا، على كل حال مختلف عن . . . (ضاحكاً) .

رجل ١ ، (بارد الأعصاب) : نعم، إنه كتاب ممتاز . مُرتَّب الأفكار . أنصحك باقتنائه . لأنه لرحلة كهذه، وحتى تستفيد منها جيداً، من الأفضل التحضير لها .

جان-بيير : أقلتَ لابوڤيك ؟ منشور في أي دار ؟

رجل ١ : في دار كورديه، على ما أعتقد . . . أستطيع إعطاءك المصدر .

(الجميع، فرحين، متعجّبين) :

- أوه، إنه يتكلم . .

- إنه يسأل . . .

- هذا يُهمّ . . .

رجل ١ : ولكن ما الداعي كي لا يعجبه الفن البيزنطي ؟

امرأة ١ : ولكن لأنه منذ قليل . . .

رجل ١ : منذ قليل، ماذا ؟

امرأة ٢ : أنتَ نفسك . . .

رجل ١ : أنا نفسي ماذا ؟

امرأة ٣ : صمتُهُ . . .

رجل ١ : أيُّ صمت ؟

امرأة ٤ ، (منزعجة) : كان الأمر شبهَ . . . بدا لي . . . (تتردد لحظة ثم) :
أوه، لا، لا شيء . . . لا أعرف . . .

رجل ١ : حسناً، وأنا أيضاً لا أعرف . لم ألحظ شيئاً .

مسرح
ناتالي سارّوت

الكـــذب

ترجمة: ريم منصور الأطرش

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية :

Le Mensonge

الكَذِب

يدخل أولاً روبير . ثم يدخل إيڤونّ ولوسي وسيمونّ وجاك ويجلسون وهم يتحدثون .

إيڤونّ : كنتُ أتمنى لو تنشقّ الأرض لتبتلعني .

لوسي : وأنا أيضاً . لم أعرف أين أذهب بنفسي .

سيمونّ : أوه ! كنا نموت .

جاك : لم أصدق ماسمعته . ستيڤير ؛ اعتقدتُ بأنني أحلم . أن يُلْفَظَ هذا الاسم أمام مادلين !

روبير : أمام مادلين؟ تحدثَ عن ستيڤير ؟ هذا غير معقول . . .

سيمونّ : ولكن ألم تستطيعوا السيطرة على أنفسكم؟

لوسي : أنا لم أجرؤ على النظر إليها .

إيڤونّ : لدى رؤيتها ، فإن شكلها يدعو إلى الشفقة . هي متقلصة تماماً . . . أصبحت عبوسة ومتجهمة . . .

روبير : لنقل إني أعتقد جازماً أنها تخفي هذا كما يخفي المرء أفظع المعاصي .

جاك : أنا أتجنب ذلك ، حتى من بعيد . . . أتخذ الاحتياطات . . . ولكن أنتَ . . . مماذا جُبِلْتَ ! أين الشجاعة؟ إذا قتلوني لن . . .

بيير : لم أتمالك نفسي . . . ماذا تريدون مني فعله ، إنها تبالغ . هناك حدود في النهاية . . . ماذا تحسبنا ؟ أتحسبنا أغبياء؟ كان يجب سماعها وهي تتحدث . (يقلّد صوت امرأة) :

«أرأيتم هذه التعرفة الجديدة؟ ولكن، سنضطر للذهاب سيراً على الأقدام. لن نستطيع بعد الآن ركوب المترو. . . التعساء أمثالنا يتحمّلون تبعات ذلك دائماً» وكانوا هناك ينصتون إليها. . . كان يجب رؤيتهم. . . وهم يتفكّرون. . . وأصوات تنهيداتهم مسموعة. . .

إيڤونّ : أوه، تنهيدات. . . أنت تبالغ. . .

بيير : بالتأكيد. كدتم ترثون لحالها. كل الناس ينقادون ولاأحد يجرؤ على تحريك ساكن. . . كان الموقف أقوى مني، فانفجرت. . .

لوسي : هذا صحيح. لقد خرج كلامه وكأنه قذيفة مدفع: صرختَ. . . ستيڤر!

بيير : لا، لم أصرخ، خُيّل إليّ أنني صفّرتُ فقط. كان هذا يغلي في داخلي منذ لحظة. . . (يقلّد نفسه) «ولكني كنتُ أعتقد أنك حفيدة ستيڤير. . . ووريثته الوحيدة. . . قال لي ذلك أناس مُفْتَرون. . . أليس هو ملِك الفولاذ المشهور؟» ألم أقل لكم؟

سيمونّ : لا، لم أرغب في تصديق ذلك، إنه أمر مفزع حقاً.

جاك : لا أفهم، بأي حق. . . على كل حال هذا أمر يخصها. فهي لاتطلب شيئاً من أحد. . .

روبير : بالطبع. إنها تسلّيني. ما بالكم؟ هناك الكثير من أمثالها. عدد الناس الذين يخجلون كونهم يملكون الأموال أمر لايُصَدَّق. ألم تلاحظوا ؟ كل الناس يريدون أن يكون لهم آباء من البروليتاريا. أجد هذا أمراً صحياً من وجهة نظري. . .

سيمونّ : نعم، أصبح من الطبيعي جداً في هذه الأوقات شيوع نوعية «البرولي». . . إنه نوع. . . خاصة عند المثقفين. . . حتى أنهم يرتدون هذا الثوب. . . فطريقة كلامهم. . . وألبستهم. . .

فانسان : هم من الممكن . . . في تلك الأشياء . . . عندك حق . . . ولكن بالنسبة لمادلين، ليس الأمر هكذا، ليست هذه نوعية بالنسبة لها . . . أعتقد مرجِّحاً أنه نوع من الحذر : أظنّها بخيلة . . . ولكني أعترف أنها تبالغ، إنها تزعجني . . . من هنا فقط تجرأ بيير . . .

إيڤونّ : ولكن بيير لا يتنازل ولا يتسامح أبداً . . . أتعرف ياعزيزي بيير بمن تذكّرني؟ بتلك الشخصية، لم أعد أعرف في أي رواية هي، التي كان يصفها أحدهم بأنها لاتترك لشخص أبداً أي مجال للكذب ولو قليلاً . . .

لوسي : هذا صحيح، بيير أنت فظيع . . . لايستطيع المرء هكذا أن يجعل من نفسه مصححاً للأخطاء ومدافعاً عن العدالة . . . أؤكد لك أن هذا لا يليق بك .

بيير : ولكني أقول لكم بأن هذا قد انطلق رغماً عني . . . وكأنه اندفاع . . . لا شيء . . . دولاب التعذيب . . . المحرقة . . .

جولييت، (برصانة ساذجة) : إنها الحقيقة التي تضغط المرء هكذا. يجب الاعتراف بذلك لنعذر بيير : حين تضغط الحقيقة المرء . . .

جانّ : أي نعم، من الصعب احتواؤها . . . هذا يتطلّب فسحة حيوية، لا نستطيع حتى الاتيان بمثلها . . . إذ أن لها قوة الانتشار . . .

جاك : لابد من الاعتراف بأنه حين تتورّط مادلين بهذا الأمر، يراودني التحسس للحظات أنا أيضاً . . .

جولييت : نعم، أرى أن أمرها يتفاقم . . .

سيمونّ : هذا صحيح، يبدو لي أنها كانت أكثر خجلاً في الماضي، إذ أنها كانت تفعل ذلك بتحفّظ أكبر . . . أما الآن فهذا النواح المستمر . . .

جانّ : لابد أن أقول إنني لو كنتُ مكانها، لا أعرف، لن أتجرأ أبداً. . .
سأصاب بالرعب. . . لم أستطع أبداً، حتى من أجل أمور تافهة. . .
والذي منذ البداية حين كنا صغاراً. . . لهذا نحن في عائلتنا من الدقة
بحيث. . . ثم إنه لن يخطر لي هذا على بال. . .

ڤانسان : على كل حال إنّ مثل تلك الشفافية. . . متعب. . .

جانّ : إطلاقاً، الكذب يقززني. حتى في الأمور الصغيرة، لن أستطيع
أبداً. . .

جاك : لماذا تبتسم يا بيير ؟

بيير : هل ابتسمتُ؟

جاك : نعم، بطريقة ما. . . أتساءل دائماً حين أكون معك. . . توحي لي
كثيراً بأنك آلة لكشف الكذب. . .

بيير : لماذا ؟ مَنْ كَذِبَ ؟

جاك : لا أحد. ولكن بما أن جانّ قالت إنها لم تكذب "أبداً" . . . هذه
الكلمة "أبداً" . . . حينها اعتقدتُ. . . بما أنه من النادر جداً. . .
خُيِّل إليّ أنك في داخلك حينها. . . باختصار. . . جاءني انطباع
بأنّ الأمر سيتكرر. . . لقد ابتسمتَ. . .

روبير : أوه، هيا، يكفي. إنه أمر معدٍ، إنك أنتَ الآن مَنْ يعاود. . .

جولييت : الحقيقة تضغط في داخله أيضاً. حين تبدأ بالضغط، كنتُ أقول
لكم ذلك. . .

جانّ : لستَ بألطفَ منه. . .

جاك : لا، يا جانّ، لا تصدقي، ليس أنتِ. . . ولكن بما أنه بدا لي. . . بما
أن أقل مبالغة. . .

بيير : لا ، لا ، لا تنصتي إليه ، لاشيء مشترك بين الحالتين . . . مع مادلين ليست القضية قضية مبالغات ، ولكنها أمور كبرى ، وقائع . . . إنه شيء هنا ، داخلنا ، وحين نريد كبته ، يمارس ضغطاً علينا . . . يجب دفعه خارجاً . . . وكأننا نحاول كبت . . . أنا لاأعرف . . .

لوسي : أوه ، انتبهوا ، إلى أين قد نصل إذا كان كل واحد منّا هكذا ، لا على التعيين . . . ولكن ، علينا بذل الجهود ، علينا السيطرة على أنفسنا . . .

سيمونّ : إنها مسألة تدريب ليس إلاّ ، مسألة سيطرة على الذات . . .

روبير : لهذا أقول إنه بالنسبة لي ، وليس من قبيل المفاخرة ، فإن الحقيقة بالنسبة لي إذاً ، يمكن لها دائماً أن تضغط . . . بالنسبة لي ، هي محتواة ، أؤكد لكم ذلك . . . مقموعة . . . يجب فعل ذلك ، وإلاّ كيف نستطيع العيش؟

سيمونّ : أنتَ تعلم أنَّ هذا رائع . أنتَ تعلم أنه علامة صحية جداً . لقد قرأتُ في كتاب للطب النفسي أنّ مَنْ لا يستطيع الاحتفاظ بسرّ . . .

إيڤونّ : هاكَ . هذا أحسن ما يقال : ماذا تفعل بك الحقيقة ياببير حين يتعلق الأمر بسرّ ، هل تضغط أم لا ؟

بيير : بالطبع ، تضغط دائماً . حتى أنها تؤلمني أحياناً . يتهيأ لي حينها أنني سأنفجر . . . ولكن هناك حالات بالتأكيد . . . يضطر فيها المرء للمقاومة . . . فكلمة الشرف . . . والاحترام الإنساني . . . باختصار أنت تدركين جيداً . . .

إيڤونّ : آه ! أترى ! . . .

بيير : ماذا أرى ؟ هل عليّ السيطرة على نفسي مع مادلين؟ احتراماً للإنسان ؟ هذا كثير . . . أسألكم مَنْ ينقصه الاحترام الإنساني ، أنا أم هي ؟

جولييت : هذا صحيح، إنها تسخر منّا.

ڤانسان : لابدّ لي من القول أنا أيضاً . . . حين تبدأ بالتباكي على بؤسها . . . يوماً ما سأفعل مثل بيير، سوف أنفجر . . .

بيير : أترون ! إنه يقولها صراحة هو أيضاً. حين تبدأ بالضغط يصبح الأمر مريعاً . . . قد يقتل المرء أباه وأمه . . .

جانّ : ولكن قد يقتل الناس. لقد حصلت مثل تلك الحالات . . .

بيير : انظروا إلى سقراط . . .

جاك : أوه! أرجوك، لن تشبّه نفسك بسقراط.

سيمونّ : ستقتلنا نحن، أنت تعذّبنا كي تنصر حقيقتك التافهة تلك.

إيڤونّ : بل الهامّة، آن الأوان للاعتراف بذلك. ما نحتقره هو أن يكون جَدُّ مادلين، هيه . . .

لوسي : كل الناس يفعلون ذلك بدرجات متفاوتة . . . كذبات صغيرة . . . ماذا تريدين ؟ الناس بحاجة لتقييم أنفسهم . . . هم يفعلون مايستطيعون.

إيڤونّ : أنا أرى أنه بالأحرى يُرثى لحالهم.

روبير : أما أنا فهم يسلّوني. حتى أني سأعترف لكم أنني أحب هذا. أحب جداً مراقبتهم.

جولييت : أتحب هذا ؟ أتحب أن يكذبوا عليك ؟ ولكنْ، هذا فساد . . .

روبير : نعم، من الممكن . . . ولكني قلت لكِ من قبل : بالنسبة لي، الحقيقة، مقيّدة، مقموعة. من الممكن دائماً أن تحاول الخروج : إلاّ أنه لا مجال عندي. حتى أنني لا أبذل جهداً. كما ترين، في حين انفجر بيير، كنت أنا على عكسه تماماً، سأواجه مادلين بنظراتي . . .

ڤانسان : أوه! أنتَ تقززني . . .

جانّ : منافق . . .

روبير : لا ، ولكن ماذا تتخيلون أنفسكم؟ حين ينفجر المرء يستسلم . انظروا إلى بيير ، لقد هاجمه الجميع : « القذر ، اللعين . هل من الضروري أن يتحولّ تفكيره بشكل سيء ؟ هل من الضروري أن يكون شرساً؟ » . عومل كقاتل . أما الآخر فهو الأكثر براءةً . دوفع عن الآخر . « الاحترام الإنساني . . . إنهم محقّون . . . دعوهم يكذبون قليلاً . . . » أنا أدعهم يفعلون ، طالما يريدون ذلك ، دون أي كبح أبداً . وأؤكد لكم أنني لاأتعذب . ولاأشعر بأدنى انزعاج لم يعد ينقصني إلاّ هذا !

جولييت : ولكن كيف ؟ كيف تفعل ؟

روبير : لا أدري . . . إنه أمر يستعصي قليلاً على الشرح . إنها مسألة غريزية . . . يتصرف المرء بشكل ما ، حتى دون تفكير . . .

جولييت ، (بلهفة) : نعم أفهم ، دون تفكير . . . يحدث الأمر عفوياً عند بعض الأشخاص . إنه هكذا دائماً عند الأشخاص المحظوظين ، لايفكرون أبداً ولو لثانية ، ماعليهم إلاّ أن ينقادوا للأمر ، وهكذا دون أي مجهود ، يفعلون ما يجب فعله . . .

جانّ : نعم ، ولكن نحن الذين لا نملك هذا الحظ ، نحن الذين نعاني ، بإمكانكَ أن تبيّن لنا فقط . . .

روبير : ولكن كيف تريدين ؟

جولييت : نعم ، أرنا كيف . أنا متأكدة من أننا سنتوصل إلى ذلك . أنا متأكد من أنني سأتوصل إلى أن أكون مثلك . . . أن أتمتع حتى بذلك . . هناك شيء ما يجب إدراكه ، أنا أشعر به . . .

جاك : إنهما على حق. أرنا عرضاً حياً.

سيمونّ : لابد أنها مسألة تدريب.

جوليت : كحركات الليونة . . . أعتقد أنني أخمّن ذلك : نحن متصلبون.

جانّ : إجمالاً، هي رياضة . . .

روبير : نعم إنْ أردت، إنّ الأمر هكذا تقريباً . . . أو بالأحرى كالملاكمة تقريباً، حين نفكّر بذلك . . .

جانّ : بسرعة، أريد درساً.

روبير : طيب، كما تشائين . . .

إيڤونّ : أوه! سيكون الأمر مسلّياً. سيكون مشابهاً للدراما النفسية . . .

روبير : إذاً هيا . . . ولكن يجب على أحدكم أن يضحّي . . . أن يمثّل دور الكاذب.

ڤانسان : أنا أرغب بذلك جداً.

بيير : ممتاز. تبدو لي أنتَ المناسب تماماً.

ڤانسان : لستَ فَكِهاً، أؤكد لك.

بيير : لا، هذا صحيح. اعذرني. ولكن دور مَنْ؟ دور أي كاذب؟ هناك الكثيرون ومن كل الأنواع . . .

روبير : أوه لايهم. ولكن لنأخذ شخصاً مؤثّراً، شخصاً تجد معه صعوبة كبرى في تمالك نفسك، شخصاً قادراً على أن يجعل أعتى الناس يعانون منه . . . إنه إدغار، حين يبدأ بالحديث مفاخراً بكونه من المقاومة . . . هنا، عليك الاعتراف بأن القوة تلزمك . . .

جاك : نعم، جيد جداً، إدغار. ممتاز. حتى أنا حين يبدأ بذلك . . .

روبير : إذاً ابدأ بإدغار. ستلعب دور إدغار. هيا، ابدأ، اتخذ حالة التواضع . . .

جوليت : والصراحة الشديدة . . . أما أنا فما إن أبدأ بالتفكير به . . . حتى أصبح مريضة . . .

سيمونّ : هوذا . . . إدغار ممتاز. حسناً هيا.

ڤانسان : حسناً، هاكم. (متنحنحاً). هاكم، انتظروا. أعتقد أني مستعد. (مغيِّراً صوته). « تعرفون، أنا لاأحب الشجَاعة. أكره هذا الأمر ».

إيڤونّ : جيد جداً. إنه يبدأ هكذا بشكل عام.

ڤانسان : « هذا لأنني خوّاف جداً، في حقيقتي كما تعلمون أنا هَلِع جداً ».

سيمونّ : إنه هكذا بالضبط. ممتاز. قد تصبح ممثلاً بارعاً.

ڤانسان : « نعم أنا خوّاف جداً. . . حقاً. . . »

روبير : حسناً. . . ألا يتحرك أحدكم؟ يبدو لي أنه لكي يكون الأمر واقعياً، في هذه اللحظة، أحدكم. . . أنت يالوسي مثلاً. . .

لوسي : إلاّ أنني أجد صعوبة في تخيّل نفسي. . . ليس كما هو واقع الأمر.

روبير : كي يبدو الأمر واقعياً ياعزيزتي سوف لن تتركيه يكْمِل. . . « أنتَ جبان؟! أنتَ ياإدغار خوّاف؟! أنتَ الذي برهنتَ. . . » إنه أمر يدعو إلى الشفقة عليه. . .

بيير : هذا صحيح؛ لوسي، أنتِ تعرفين جيداً أنك لاتستطيعين منع نفسك من ذلك.

لوسي : حسناً، نعم، هذا أقوى مني. . . عليّ دائماً أن أستبق الأمر. . . وكأنه يشدّني. . .

ڤانسان : مسكينة لوسي. . . جدّ مطواعة. . .

بيير : جدّ لينة . . .

لوسي : تماماً، اسخرا مني، هذا سهل . . . هذا لأني شفيقة . أما أنتما أفتستطيعان ألاّ تعطيا شيئاً حين ينظر إليكما إنسان . . . أو حتى غير إنسان . . . حيوان جائع ، وحين ينتظر ؟ . . . أنا أعطيه . . . وأفضّل حرمان نفسي . . .

إيڤونّ : نعم، أفهمك . . . هذا صحيح، إنه يؤلمني . . . لو كنتُ مكانه لَخفتُ كثيراً . . . لابد أنه يرتجف . . .

ڤانسان : يرتجف! إلاّ أنّ هؤلاء الناس أجلاف . لايخشون شيئاً . . . فهم على ثقة من أنك تصدقينهم . . . وإنْ لم يكونوا كذلك ، فكل ما يطلبونه هو أن تُبْدي لهم المسايرة ، فهذا يكفيهم . إنها طريقتهم في إخضاعك . . .

بيير : وأنت تخضعين دائماً . . . عدا لوسي . أنتم كلكم جدّ طيِّعين . . . ما إن يبدأ ، تستدير عيونكم . . . وتبدو عليكم الدهشة : « أنتَ يا إدغار ، كيف تستطيع قول هذا . . . » .

جولييت : آه ! لا ، إلاّ أنا . أنا أصمد في البداية ، لا أحرك ساكناً ، أسكت . . .

جاك : ولكن ماذا ينفع إن سكتٍّ أم لا ؟ السكوت علامة الرضى ، كله سواء بسواء .

جانّ : أوه ! اهدؤوا ، نحن نتخبّط . . . كنت أظن أنّ على روبير تعليمنا . . أنْجِدْنا ياعزيزي روبير ، أنقذنا من هنا . . .

روبير : كيف لي أن أتوصلَ لذلك ؟ لا أحد يتركني أتكلم . . .

جولييت : أعترف بأنني لم أعد منفعلة بالدور أبداً ، أظن أنه يجب إعادة كل شيء من البداية .

جانّ : هي على حق، لقد فقدنا خيط اللعبة . . . هيا يا ڤانسان أعِدْ . . .

ڤانسان : « تعرفون أنني خوّاف جداً . لهذا، تحت الاحتلال، حين كان يجب أن . . . »

روبير : هذه المرة، هيا إذاً يا لوسي . . .

لوسي : ولكن أظن أنه من الأفضل لي أن أحاول السكوت . . .

روبير : لا، أفضّل أن تتكلمي . هذا أكثر ملاءمة للعرض . . . سترين . . .

لوسي : أنتَ يا إدغار، أنت خوّاف !

روبير : جيد . كيف تشعرين حين تقولين هذا ؟ أو بالأحرى : أين هو مكانك ؟

لوسي : مكاني ؟

روبير : نعم، بالنسبة لإدغار، على أي بُعْد ؟ في أي وضعية ؟

لوسي : آه ! نعم، فهمتُ . . . انتظر لحظة . . . كي أفكر . . . هذا لأنه ما من عادتي . . . إنها أمور . . . لا أعرف . . .

روبير : ابذلي مجهوداً . فككي الحدَث . ماذا يحدث حين تقولين هذا ؟ ماذا تفعلين؟

لوسي : حسناً، يبدو لي أنني أحاول الاقتراب . . . قد ألتصق به، قريباً جداً منه . . . أقرب شيء ممكن . . . كي لا يشعر أنني أراه . . . إذ سيصيبني هذا بالخوف . . . لاأدري لماذا . . .

روبير : حسناً هذا هو، ابتعدي . عن بُعد؛ بعيداً جداً .
البُعْدُ هو الأساس . راقبيه كما نراقب نملة أو ذبابة أو إذا فضّلْت عنكبوتة . . .

لوسي : أوه ! لا، هذا ما لا أستطيعه . . .

روبير : حتى إذا لم تستطيعي فعل ذلك في البداية، فحقاً . . .

لوسي : طيب، سأحاول. إذاً هيا يا ڤانسان لنعاود.

ڤانسان : « كنتُ دائماً خوّافاً. حين كنتُ صبياً صغيراً، في الصف. . . »

لوسي : أنتَ، إدغار، أنتَ خوّاف. . .

روبير : وهذه المرة أين كنتِ ؟

لوسي : لافائدة، لن أتوصّل إلى ذلك. كنتُ قريبة جداً، أقرب من قبل. كنتُ ألتصق به كي أساعده على ضغطها. . . الحقيقة. . . لإخفائها، لكي تختفي تماماً. . . كنتُ أخشى كثيراً أن يظنّ أنني أراها. . . لا أستطيع تحمّله. . . سأخجل من ذلك. . .

روبير : لكن، أنا أقول لك تماماً ألاّ تشاركي. ابقي عن بُعد؛ بُعد كبير. راقبي حركاته من بعيد. . . كما لو أنك تنكّدين على حشرة بغصن. . . ومن ثم تنتظرين لتري. . . تسلّوا قليلاً إذاً. هيا كلكم معاً. ستشعرون بالدعم. حاولوا. عن بُعْد. لاتجنحوا نحوه. كونوا مستقيمي الوقفة جيداً. نكّدوا عليه بجذع طويل. . . هيا. . .

كورس : أنتَ، إدغار، أنتَ خوّاف. . .

روبير : هكذا. أنتم من يخدعه، ويجعله ينزلق. . . لكل خبيث شخص أكثر خبثاً منه. فيقع في الفخ. أليس هذا مضحكاً ؟

سيمونّ : إطلاقاً. أنا لا أستطيع. إنها وقاحة متشفية بطريقة. . .

جاك : لا أستطيع تحمّل فكرةَ أن أصبح مثله. سيكون الوضع أصعب. لا أرغب بتقليده.

لوسي : أوه! هذا سيسبّب لي القشعريرة.

جاك : تعلمون أنه ليس لديّ شيء من صفات عالِم الحشرات وإدغار ليس نملة.

جولييت : والحقيقة، هيه ؟ إنها تضغط، نحن ننسى ذلك . . . هذا ما يُتعِب . . . حين نضغطها، تتضخم، فيجب أن تخرج . . . أنا مثل بيير، أرغب بالصراخ : « آه! لا، لاتبدأ بعرض إنجازاتك علينا . . . لا تُرَوِّجْ هذا هنا . . . كلنا يعرف ذلك . . . » .

روبير : حقاً لا فائدة ترجى منكم . انفجروا إذاً مثل بيير . أو تعذّبوا . . .

جانّ : ولكن من الغريب يا روبير أنك لاتشعر بهذه الأمور أنتَ لستَ ككل الناس، أؤكد لك ذلك .

جولييت : هناك أناس . . . تضغط الحقيقة عندهم بشكل قوي لدرجةٍ . . . أنهم يقدرون على . . .

جاك : نعم، قلنا ذلك منذ قليل، هناك أناس . . . لكي تنتصر . . . حتى أنني لا أتحدث عن الأبطال والقديسين . إنه أكثر غرابة من ذلك بكثير . الواشون مثلاً . عرفتُ خبازاً أيام الاحتلال . . . لم يكن الأمر من باب الكراهية . ولا من باب القناعة . لا، كانت الحقيقة فقط تضغط في داخله . لم يحتمل هذا : الأسماء المستعارة، الأوراق المزوّرة . . . ولم يحتمل أن يرضى الآخرون بذلك . كان لابد من أن تخرج . . . أنا على ثقة من أنه كان بإمكانه إنقاذ الآخرين بالطريقة ذاتها . . .

ڤانسان : لا، أنتَ تبالغ هنا . لا تجعل منه قديساً محبباً، ذلك الواشي . . .

جاك : ولكنني لا أمزح .

سيمونّ : قد تكون على حق . أنا أذكر خلال الحرب . . . كان هناك كنديون مظليون . . . التقى بهم زوجي في الغابة . كانوا يهربون وكان زوجي يركض نحوهم، فاتحاً ذراعيه لهم . . . أخيراً نجح في إحضارهم للبيت .

بيير : أنت إذاً مَنْ يأخذ الدور الآن، لم أعد أفهم . . .

سيمونّ : ولكن أي دور؟ أنا لا ألعب . لقد حدث هذا حقاً . كنا نسكن في منطقة « سين – إيه – واز » . . .

بيير : كنتما تسكنان في «سين ـ إيه ـ واز» ؟ تحت الاحتلال ؟

روبير : طيب، حسناً، عادت آلة كشف الكذب للتحرك .

لوسي : توقفوا أرجوكم . دعوا سيمونّ تروي . . . أنا أحبها حين تروي . . .

بيير : حقاً يا عزيزتي لوسي أنتِ لن تتغيري أبداً . . .

إيڤونّ : أوه ! أنتَ اصمتْ . هذا مُملّ في النهاية . أنتَ لا تصدق أحداً أبداً .

بيير : لم تكن في سين ـ إيه ـ واز بما أنها كانت في سويسرا خلال فترة الحرب . . . إلاّ أنها تتسلّى، تريد الاستمرار في لعب الدور ستقول لكم ذلك . ولكن قولي ذلك يا سيمونّ قولي بأنكِ تلعبين .

سيمونّ : أنا لا ألعب، أقول لك : إنها الحقيقة .

بيير : ولكنك بنفسك رويتِ لي . . .

سيمونّ : أنا ؟ لم أروِ لكَ شيئاً، أنتَ تحلم . . . لا بد أنك تخلط . . .

بيير : طيب، طيب، حسناً جداً . لن أقول شيئاً، سأصمت . . .

إيڤونّ : إذاً اصمت تماماً . أنتَ لا تُحتَمَل . هيا ياسيمونّ، احكي . . .

سيمونّ : حسناً، كنتُ أقول لكم إذاً إن زوجي حين رأى المظليين، أخذ يركض وهم يهربون، كانوا يعتقدون بأنه سيقبض عليهم، لقد صرخ كثيراً ولوّح بذراعيه . . . أخيراً فهموا . أعادهم . . . كانوا في حالة . . .

بيير، (نائحاً) : أوه . . .

جاك : ماذا هناك؟

بيير : أوه، لم أعد أستطيع التحمّل . . . ولكن ألم تكوني في جنيف خلال فترة الحرب ؟

سيمونّ : إذاً أنا أكذب ؟

بيير : لا ، أوه لا ، لم أقل هذا . ولكنك تمثّلين . تلعبين علينا لعبة .

سيمونّ : أقول لك لا ، هنا . . . أنت تسبّب لي السأم . . .

إيڤونّ : ولكن، في النهاية، اتركها وشأنها .

بيير : لا ، دعينا للحظة فقط . . . سيمونّ، أرجوك، استمعي إليّ . من الممكن أن أكون مخطئاً، ولكن يبدو لي . . . أَذكر أنك قلتِ . . .

سيمونّ : أنني قلتُ ماذا ؟

بيير : قلتِ إنكِ كنتِ في جنيف . . .

سيمونّ : ولكن ياعزيزي، قلتُ لك من قبل بأنك تحلم . . . أنتَ تخلط كل الأمور . . .

بيير : كيف تستطيعين ؟ أنت تعرفين جيداً . . .

سيمونّ : لا عرف شيئاً أبداً؛ إلاّ أنني أعرف أنك وقح لدرجة . . .

بيير ، (ينوح) : أوه . . . لم أعد أستطيع التحمّل . . . إنها تحشرني في الزاوية . . . سيمونّ، استمعي إليّ، استمعي إليّ بهدوء، قد يكون الأمر مع ذلك بسيطاً جداً . . .

ڤانسان : أوقفوه، إنه لايُحْتَمَل .

جاك : هذا صحيح . هيّا، إهدأ . إلى أين تريد أن تصل بالأمر؟ أنتَ ترى جيداً أنك لن تصل إلى شيء . ألا تعتقد إذاً أنه من الأفضل التغيير؟

بيير : تغيير ؟ الحقيقة ؟ ولكن لا أستطيع . هذا مستحيل .

جاك : بلى، بلى، ستتوصل إلى ذلك بالتأكيد، يكفي القليل من الإرادة. . .

سيمونّ : أنتَ أيضاً تبدأ بشتمي الآن ؟ . . .

جاك : ولكن لا يا عزيزتي سيمونّ، لا تغضبي. أنا أصدقكِ. ولكن بما أنه يتعذّب. . . من أجل لا شيء. . . يجب مساعدته. . . كوني متسامحة.

سيمونّ : يا لكَ مِن متظارف. . .

بيير : لا، لا تكوني فظّة، لا أطلب سوى تصديقكِ. . . سأكون مسروراً جداً. . .

جاك : حسناً، صدقها، يا روحي ؛ ولنغلِقْ هذا الموضوع نهائياً.

بيير : ولكن كيف يتم هذا ؟ إنها هنا في داخلي. . .

جاك : ماذا ؟ ماذا يوجد هنا ؟

بيير : الوقائع. الحقيقة. إنها هنا.

جاك : ابدأ أولاً بعدم تسمية ذلك بالحقيقة. غيِّر اسمها. إنه اسم، ما إن نلفظه حتى نتأثر به. إننا نتشبث بذلك كما لو أن حياتنا تتوقف عليه. . . نعتقد أننا ملزمون. . . يجب تغيير هذا. . . لنطلق عليها اسم الكذب. . .

بيير : كما لو أن الموضوع سهل. . .

جاك : آه، يا عزيزي، إنْ كنتَ لا تريد التساهل قليلاً. . . إذا تعلّق المرء بتحفظه المستمر. . . ماذا تريدني أن أقول لك في هذه الحال. . .

بيير : لا، أرجوك، قل لي. . .

جاك : ولكنني قلته لك : غيِّرْ. تغيير الذات أفضل من تغيير وجه العالم، إنها الحكمة . . .

بيير : علِّمني، لن أستطيع التوصل لذلك أبداً.

روبير : ماذا يجري ؟ أنقدم عرضاً جديداً ؟

سيمونّ : لا، لا . إنه الواقع . أنا لا ألعب دوراً. ولكنّ بيير المسكين عنده هنا واقعة، مغروسة في داخله : يبدو أنني كنتُ في جنيڤ خلال فترة الحرب. فهو يتعذّب إذاً، هذا يسبّب له ألماً. لابد من أن نُخْرِجها من داخله. يبدو أنها عملية مؤلمة قليلاً . . .

جاك : لا، سترى، لن تشعر بشيء. اترك نفسك على سجيتها ياببيير أولاً . . . هيا . . . لا تتشنج . . . هل أنتَ واثق أولاً من ذلك ؟ حاول أن تتذكر. هل قالت لك ذلك ؟

بيير : نعم، قالته لي.

جاك : انتظر، سأساعدكَ. انظر إليها جيداً. لا يمكن لها أن تكذب. جيد جداً ! يجب البدء هكذا، سترى، سيحدث ذلك. راقب صراحتها، نظرتها الجميلة التي لاتحيد.

جانّ : نعم، سيمونّ، قد تُغْفَرَ خطاياك حتى دون أن تعترفي !

لوسي : هذا صحيح، هل يبدو عليها ذلك ؟

بيير : هذا لا معنى له، لقد حدث سابقاً . . . حتى في حالات . . . أذكر مرة في محكمة الجنايات . . .

جولييت : أوه، لا، اسمع، هذا سُخْف. ها أنتَ تجعل منها مجرمة . . .

سيمونّ : بدأت أشعر بالإطراء.

بيير : لا ولكن . . . كنتُ أودّ أن أقول فقط . . .

جاك : اسمعوا، يجب ألاّ نميّع الموضوع. نحن هنا بين أشخاص صادقين.

عدة أصوات :

- ولكن بالتأكيد.

- تلك هي المأساة.

جولييت : أعترف لكم بصراحة، أنا أيضاً، قيل لي إن سيمونّ... كنتُ تقريباً متأكدة من ذلك... ولكني الآن بدأت أشكّ... هذا يُمْحى... لم أعد أشعر بهذا الضغط... وكأنما تتنازعني...

جاك : آه، أترى، ها هي تعطيك مثالاً.

بيير : ولكني لا أطلب سوى تصديق ذلك. سيمونّ، لو أنك تساعدينني قليلاً... حكايات المظليين تلك... لقد تذكرتُ الآن... هل حكيتِها سابقاً؟... من الممكن، أنه سابقاً تحت الاحتلال... قولي لي َذلك ياسيمونّ، قولي...

سيمونّ : لا، بالتأكيد، لم أكن أستطيع أن أحكي ذلك تحت الاحتلال. كنّا نختبئ في تلك الأيام.

بيير : نعم، نعم، هذا صحيح، في تلك الأيام، لم تستطيعي قول ذلك... ولكن بعد التحرير، من المُحْتَمَل...

سيمونّ : نعم، بعد ذلك، رويتها. وقتها، في ليلة من الليالي في منزل عائلة دوكرو... كنتَ هناك...

بيير : أوه... عند عائلة دوكرو... ولكن يبدو لي أنه في تلك الليلة بالضبط، قلتِ لي...

صوت :

- أوه! انتبه...

- سيعاود الكرّة...

روبير : لا . كنتُ هناك . لقد روت القصة . لم تقل شيئاً مختلفاً .

بيير : أوه ! شكراً . نعم ، أصدقكَ . لدي أحياناً ثقوب في الذاكرة ، لقد حدثت أشياء كثيرة . . .

جاك : ها أنتَ ترى جيداً . أنا لا أريد الادعاء ، ولكن هذا بالضبط ما أنصح به بالأحرى . . . هذا ينجح حتى في حالات أخطر من ذلك بكثير . . .

روبير : أي حالات؟

جاك : مثلاً حين تُسْرَق . يختفي غَرَض ما . هناك مع ذلك ما يمكن أن نسميه الأمر الأكيد : لم يعد موجوداً ، ذهب ، تبخّر . . . كان هنا و . . . «فوت» . . . لاشيء البتة . . .

إيڤونّ : أوه نعم ففي هذه الحالة كم يتعذب المرء ؛ لايصدق عينيه .

جانّ ، (بتلهّف) : هذا هو ، هذا هو . لقد عبّرتِ عنه جيداً : لا يصدق المرء عينيه .

جاك : بالضبط . يجب ألاّ يصدقهما .

بيير : ولكن كيف ؟

جاك : التغاضي عن الغَرَض . تركيز المراقبة على الإنساني : الإنسان الذي تشك به ، السارق . . . مراقبته : صراحته . انفتاحه . طيب . ثم الترديد بينك وبين نفسك : « غير معقول . . . » كما يفعل الناس . . . بهذا الشكل المذهول ، حين يُقال لهم : « إنه هو . لقد اختفى الغرض الذي كان هنا ، وهو الوحيد الذي استطاع . . . » يتغاضون عن هذا الحَدَث وينظرون إلى الرجل : « هذا غير معقول . . . سنجد الغرض . . . » ، ويذهبون بعيداً في الأمر أيضاً ، لقد رأيت مثل ذلك : لم يكن الغرض موجوداً بالأصل . كان هذا عبارة عن

هلوسة. سراب. ما من غرض موجود. لم يُرَ ولم يُعْرَف. وهمُ حواسٍ، خيالات وهمية...

إيڤونّ: نعم، أنا أفعل ذلك أيضاً. وإلاّ... أوه، أنا مرعوبة...

جانّ: تنفتح لجّات النفس... تتصاعد أبخرة سامة... ونختنق...

ڤانسان: هناك آخرون منهم... يبدؤون بالتوسّل... «لقد أخذته: اعترف. لا يهمني الغرض، سأعطيك إياه، ولكن اعترف...»

بيير: اعترفي يا سيمونّ، أتوسّل إليكِ...

سيمونّ: ماذا هناك؟ آه، أيعاودك الأمر من جديد؟ هل تعيد الكرّة؟

بيير: نعم، يعاودني الأمر من جديد. إنه هنا، فجأة... شيء واضح جداً، مكتوب بحروف واضحة. لا فائدة، إنني أراه. إنه هنا. «ليبيرڤييه»، فندق «ليبيرڤييه». في جنيڤ. لقد قلتِ لي ذلك بنفسك... لن يفيد شيء تمويه الأمر أو محوه... إنه هنا. قولي ذلك...

إيڤونّ: كفى يابيير.

جانّ: لو كنتُ مكان سيمونّ...

ڤانسان: لقد تجاوزتَ الحدود...

بيير: ألا يضحككِ يا سيمونّ أن تريهم؟ نعم، هيه؟ إنهم يسلّونك... اعترفي بذلك، إنهم مؤثّرون... بريئون جداً... أو خوّافون... ولكن أنا، أنا أراك جيداً. أنا عينكِ الخلفية...

لوسي: آي، آي...

جولييت: ماذا حدث؟ ما هذا الصراخ؟

إيڤونّ : هذه لوسي. إنها حسّاسة جداً، العزيزة المسكينة . . . ما بالكم؟ أنا أفهمها جيداً . . . يتراءى لهاَ أنّها في بيت مجانين . . . هيّا، هيّا . . . يا عزيزتي، لا تخافي، لا شيء، لا تنصتي . . . أغلقي أذنيكِ . . .

لوسي : أوه، أمسكيه، ليتمالك نفسه . . . لا أستطيع . . . لا أستطيع التحمّل . . .

جاك : نعم يا بيير، اصمت. ابتلع هذا. لا أحد يصدقكَ. هذا ليس صحيحاً.

بيير : لا، لن تحققي هدفكِ. حين تفعلين هذا، يتثبّت الأمر بقوة أكبر، يتغلغل، يُحْرِق . . . سيمونّ، أتوسل إليكِ. ياعزيزتي سيمونّ، إنها هنا، في داخلكِ أنتِ أيضاً . . . لا تنكري، أعرف ذلك، أنتِ تضغطينها . . . إنها هنا . . . تعرفين ذلك حق المعرفة : فندق «ليبيرڤييه»، على ضفاف البحيرة . . . وتلك السنوات الأربع في جنيڤ. سهراتك عند عائلة روفييه . . . في الشاليه الخاصة بهم . . . سباقاتكم في الجبل . . . إنها تؤلمكِ أنتِ أيضاً، يا عزيزتي المسكينة . . . إنها أقسى من أن تخفيها . . . بينما هي من السهولة بمكان . . . كلمة واحدة فقط . . .

جوليت : أحسّ بداخلي أنا أيضاً . . . قبل قليل امَّحت تماماً، ومن ثم الآن . . . تعود بالرغم مني . . .

جانّ : إنها الحقيقة . . . تصعد، تنجذب . . . إنها لا تقاوم . . . لا نستطيع شيئاً تجاهها. سيمونّ، اسمعي . . .

سيمونّ : لا. أنتم تكذبون. طالما أنكم كلكم هكذا. هذا أمر مُخْجِل.

لوسي : أوه! أنا خائفة . . .

إيڤونّ : يا عزيزتي لوسي، تعالي من هنا، لنبتعد. لنجلس هنا نحن الإثنتين، ولنفكّر بشيء آخر . . . كنتُ أودّ فعلاً أن أسألك . . . كيف حال كلود ؟

لوسي، (بصوت رخو) : جيد، شكراً، جيد جداً . . .

إيڤونّ : قيل لي إنه وقع عليه . . .

لوسي : نعم، نعم، ولكن أرجوك، اذهبي لتري، تعالي فقط وقولي لي . . . ماذا يجري ؟ ماذا يفعلون لها ؟

إيڤونّ : لسيمونّ ؟

لوسي : نعم . . . بدا لي أنه تحدّث عن سمّ، عن قارورة تُفْتَح . . .

إيڤونّ : إنه مضحك جداً. يشبِّهها باللواتي يدسُسْنَ السمّ . . . حين يَسْكُبْنَ بضع قطرات منه ويراقبْنَ . . .

لوسي : لم أعد أستطيع الاحتمال. أفضّل الذهاب والتفرّج . . .

جانّ : سيمونّ، لا تقاومي.

جولييت : قوليها لنا.

ڤانسان : هيا قوليها . . . كلمة واحدة فقط . . .

لوسي : هذا ما كنتُ أخشاه، ها قد انفجر الوضع . . . شهوتهم ونهمهم . . . سينتزعون منها ذلك، إنهم يطاردونها، يضغطون عليها، قضبانهم الحديدية تنقّب، وهي تختبئ . . . كحيوان صغير مطارد . . . عيناها الفزعتان تراقبهم، وهي تختلج، حارة جداً . . . وأنا، مثلها . . .

إيڤونّ : ولكنك تحلمين. إنها تنظر إليهم بعين باردة.

روبير : أنا أجد هذا . . . هو مانسميه « نظرة صاعقة» إنها تصعقهم.

جولييت : سيمونّ، لا ترفضي . . . قولي ذلك . . . قوليه لنا . . . يلزمنا الآن . . .

جانّ : لقد أصبح شيئاً ثميناً جداً . . . هذا الذي تمسكينه عنا . . . مخفياً هنا، مختبئاً داخلك . . . مثل كنز . . .

سيمونّ : فندق «ليبيرڤييه» ؟

جولييت : لا ، لاتسخري منا، هذا ليس مضحكاً . . .

بيير : افتحي لنا . دعينا نرى . يلزمنا ذلك . شاركي . سيكون هذا جيداً جداً . ستكون سعادة لا توصف . . . تهدئة للجميع . . .

جانّ : لا تَمَزَّقي بعد الآن . . . ولكِ أيضاً . . . سنكون مطمئنين جداً . وكل شيء سيعود إلى ما كان عليه .

جولييت : انتظروا . سيحدث . إنها تستسلم . انظروا إليها ، تنفتح شفتاها . . . خلال ثانية ، الكلمات . . .

لوسي : سيمونّ، أتوسل إليكِ، لا تستسلمي . يريدون تدميركِ ، إفراغكِ . . . سيمسكون بكِ ويلفّون الحبل حول رقبتكِ ، سيحلقون لكِ شعركِ . . .

بيير : لا يا سيمونّ، هذا ليس صحيحاً . . . نحن مثلك . . . كلنا سواء بسواء . . ما من رغبة لدينا في تحقيركِ . . .

جاك : مجرد التفكير في ذلك يجعلنا ننكمش . . . كما حدث مع مادلين قبل قليل . . .

بيير : لا ، صدقينا ، سيكون ذلك كله مشرّفاً جداً . . . قوليه ، سيكون جيداً جداً . . . قوليه ، قولي فقط ما يلي : « بالتأكيد ، كنتُ في جنيڤ . كنت أريد اللعب . . . »

تضحك سيمونّ

لوسي : أوه! تلك الضحكة . . .

سيمونّ ، (ضاحكة) : طيب ، طيب ، بالتأكيد كنتُ ألعب . . . هاكم . هل أنتم مسرورون ؟

أصوات ضحكات سعيدة ، قبلات ، نقنقة

جولييت : سيمونّ ، أنتِ حبّابة .

ڤانسان : أنتِ ملاك .

جانّ : سيمونّ ، أعبدكِ .

جاك : أما أنا فلم أشك للحظة واحدة ، كنتُ أعرف ذلك . كنتُ أرى نظرتكِ السريعة الماكرة . . .

روبير : آه ، نستطيع القول إنك لعبتِ علينا دوراً ساخراً جيداً . . .

جولييت : أنا للحظة أعترف أني خفتُ . . .

جانّ : كانت لوسي شاحبة تماماً . . .

روبير : نعم ، لقد رأيتُ . . . كانت إيڤونّ تسندها . وإذاً يا بيير ، ها أنتَ قد هدأت . سننعم بالسلام الآن .

بيير : نعم (متردداً) نعم . . .

روبير : ولكن ما هذه النبرة ؟ لن يُعاودك الموضوع ؟

جاك : هذه المرة ، انتهى الأمر ، هيه ؟

بيير : نعم ، بالتأكيد . . . أنا لا أطلب إلاّ هذا . . . ليست غلطتي إنْ . . .

ڤانسان : إنْ ماذا؟ قالت سيمونّ إنها كانت تلعب . لن نطلب منها المزيد . ألا يكفيكَ هذا ؟

بيير ، (مقلّداً سيمونّ) : طيب ، طيب ، بالتأكيد كنتُ ألعب . . .

روبير : ماذا تقول؟

بيير، (حالماً) : أردّد ما قالته سيمونّ، بالضحكة ذاتها، والنبرة ذاتها . . . أحاول إعادة صياغة . . . الحركات ذاتها . . . أكثر بُعداً . . . دائماً أكثر بُعْداً . . . أكثر بُعْداً بكثير من ذي قبل . . . هناك حيث لا أحد أبداً يستطيع إخراجها . . . مُلْقِيَةً ذلك لتسلّينا، لكي تبقي لنا الاحترام. هيا خذوا : أردتُ اللعب. هاكم، أأنتم مسرورون ؟ كانوا مضحكين، هيه ياسيمونّ، حين انقضوا . . . بنقنقاتهم . . . بدمدماتهم المسرورة . . .

جاك : بيير، عليك إيقاف هذا، أتسمع. يكفي الآن.

إيڤونّ : رشّاش الماء، قميص المجانين . . .

جانّ : هذا مُخْجِل، لقد قلتُ ذلك منذ البداية . . .

بيير : منذ البدايَة ؟ ألم تقولي أنتِ نفسكِ ؟ . . . من تحدث عن الوَخَم ؟ عن لجّات النفس ؟ أيّ لغَةَ أَساساً . . . أي تَشَدُّق . . . مَنْ طلب أن نمثّل دراما نفسية ؟ أهو أنا أم أنتِ ؟

جانّ : لقد جررتنا . . . إنه أمر مُعْدٍ، كل هذا الجنون . . .

ڤانسان : هذا يثير الأعصاب . . . كما لو أن أحدهم يبدأ بالحك . . .

بيير : والجمل الضخمة الفخمة حول الحقيقة التي تضغط ؟ كان هذا مع ذلك مؤثِّراً جداً . . . حسناً، هي تضغط دائماً، ولا أستطيع شيئاً حيالها. وفي داخلكم أيضاً، تضغط : طيب، طيب، كنتُ ألعب . . . لقد أدركتموها مثلي . . . كان أمراً يفقأ العيون، أو بالأحرى يصمّ الآذان.

جاك : لا شيء. لاشيء يفقأ أي شيء مهما كان.

روبير : ولكنه يحب هذا. يُشْبِعُ نهمه به.

إيڤونّ : لا أعرف شيئاً أكثر من ذلك خِسَّةً وخزياً. من الشناعة حقاً رؤية الشرّ في كل مكان.

بيير : لم أفكر بهذا. . . كان أمراً غير متوقَّع مطلقاً، تلك القفزة إلى الخلف في اللحظة الأخيرة. . . حين تُرِكَت تلك مغروسةً فيَّ : تلك الضحكة القصيرة. . . كشوكة. . . مرحى يا سيمونّ، هذا جيد جداً، قوي جداً. . . تستطيعين أن تسعدي.

سيمونّ : أنا فَرِحة. . . و سأكون فرحة أكثر حين يأتون ليأخذوك فيضعوك في زنزانة المجانين الخطرين. أؤكد لك أن مكانك هناك.

بيير، (متلهفاً) : آه، نعم، أتعتقدين؟ حقاً ؟ في زنزانة المجانين الخطرين؟ لقد قصدتِ هذا تماماً. بقناعة. جيد. جيد جداً. هذا صحيح، أليس كذلك ؟ أين للمرء أن يذهب حين يجتهد في موضوع ما هكذا، من أجل فرق دقيق. . . كاد أن يكون فرقاً دقيقاً. . . نبرة فقط. . . . هازئة قليلاً. . . أليس كذلك ؟ ساخرة قليلاً فقط. . . هذا لا تستطيعون إنكاره، لقد أدركتموه كلكم مثلي. . .

جاك : بالتأكيد، لقد أدركنا أن هناك هزءاً بسيطاً.

بيير : آه! نعم، أليس كذلك ؟ نعم. . .

جاك : وكان هذا طبيعياً جداً : لقد صدقنا هذا كثيراً.

بيير : أوه ! شكراً.

روبير : عفواً. إذا كان هذا يهدّئكَ، أستطيع أن أقول لكَ إنّ أيّاً كان، مكان سيمونّ، سيهزأ قليلاً منّا : لقد جعلنا الأمر مأساوياً جداً. . .

بيير : نعم. يا سيمونّ، هذا صحيح، أليس كذلك ؟

سيمونّ : نعم، حقاً هذا صحيح. ولكن يكفي الآن، لم يعد الأمر مضحكاً. . .

إيڤونّ : نعم، هذا يكفي. ماذا لو فكّرنا بشيء آخر، يا بيير، ألا تريد؟

بيير : بلى أريد! ولكني لا أطلب إلاّ هذا. إنه فقط... كشيء قد يتواجد هنا مغروساً... نكاد لا نشعر به... ويسبّب حكّة... كشوكة صغيرة جداً من الصبّار... كما لو أني لمستُ قُرّاصاً... يكاد يحرقني... لا، لا، بالتأكيد، كنت ألعب... وهذه الضحكة... هذه الضحكة القصيرة... ولكن يا سيمونّ، أنا مجنون، أنا مجنون تماماً. أحب عينيك الحانقتين، وهيئتك القَرِفة. لو تعلمين كما أحبها ياسيمونّ. انظري إليّ أيضاً...

سيمونّ : لا حاجة بكَ للتوسل إليّ. أنا قَرِفة. وبصدق.

بيير : قَرِفة. بصدق. نعم. شكراً. قَرِفة؟... كما قلتِ هذا... مثلما فعلتِ قبل قليل... حين كنتُ أحاول انتزاع اعترافِ منكِ... حين كنتِ تحتجين كثيراً. «هذه خسّة. أنا لا ألعب» كنتِ تقولين هذا بالضبط. بالطريقة ذاتها تماماً...

سيمونّ : هذه المرة يا أصدقائي سأنسحب منحنيةً لكم.

إيڤونّ : أعتقد أيضاً أن التمثيلية الساخرة قد طالت. لقد صبرنا. صبرنا كثيراً...

بيير : لقد انتقمتْ لنفسها. انتقمت لها جيداً. لقد هاجمتُها حتى آخر تحصيناتها.

روبير : يا أصدقائي، وداعاً. حتى أفضل الأشياء لها نهاية.

بيير : فأعطتني ما كنتُ أستعطيه... مع ثمرة فيها ديدان...

ڤانسان : سنذهب معاً ياروبير، لا بّد أن أتحدث إليك...

بيير : مع هذا اللاذع قليلاً... المغروس هنا... طيب، طيب، بالتأكيد... (يضحك)... كنتُ ألعب...

روبير : يا عزيزتي سيمونّ، لو كنتُ مكانك لاعتبرته إطراءً : فهذا ما نسميه جعل رجل يُجَنّ.

سيمونّ : من الممكن أن أتنازل عن ذلك.

بيير، (متردداً ومتكتّماً) : طيب، بالتأكيد كنتُ ألعب. . .

لهجة مختلفة، طبيعية وصادقة

طيب، بالتأكيد. كنت ألعب. لا. لا شيء هنا، ما مِن سخْرية. . .

جوليت : ما مِنْ سخرية ؟ ولكن كم هذا جيد. أترى ! الوضع يتحسّن ! هيا، سنأخذك للبيت. يجب أن ترتاح يا صديقي، فأنتَ محتاج لذلك.

بيير : نعم. طيب، أريد ذلك بسرور. . . (لهجة صادقة) طيب، طيب. . . بالتأكيد، كنتُ ألعب. (يضحك بتمهّل). . . طيب، طيب، بالتأكيد. . . (لهجة منافقة) كنتُ ألعب. . .

مسرح
ناتالي سارّوت

يتّا: أو ما يدعى «لا شيء»

ترجمة: ريم منصور الأطرش

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية :

Isma: ou ce qui s'appelle rien

يتّا : أو مايدعى «لاشيء»

هو : إهانة؟ إ - ها - نة . نعم، إنها لكذلك : إهانة . ما فعلناه هناك إهانة . كان من الممكن أن تقولي أيضاً : نميمة ، أو غِيبة ، ولكنك اخترت إهانة . أفهمكِ . . . في حقيقة الأمر ، كنتُ أنتظر ذلك . أنتِ أيضاً كنتِ تنتظرينه ، أليس كذلك؟ كنّا ننتظر ذلك نحن الإثنين . فمنذ لحظة خَلَتْ . . .

هي : نعم . . . كنتُ أراه آتياً . كل شيء كان يتم على أفضل مايرام . . .

هو ، (بتنهيدة) : لم يعد هناك ما يمكن فعله . لم يعد أمامنا إلاّ الاستسلام . فلا أحد يقاوم هذا . ألم تري كيف بدا الانزعاج على الجميع؟ حان الوقت للاعتراف بذلك ، لم يعرفوا كيف يخبئون رؤوسهم . كان من الممكن لهذا الانزعاج أن يمسك بك عن . . . هذا يحدث ، أليس كذلك؟ أن يكون الانزعاج الذي سنثيره . . . يزعجك جداً أن يفضّل المرء التحمّل . . . في نهاية الأمر أنا أعبّر بشكل سيّء عما أريد قوله ، ولكنكِ تفهمينني : إنها أمور تلاحَظُ يومياً .

هي : كي أكون صادقة معكَ ، كنتُ أعتمد على هذا الأمر . ولكن هذا ماحدث : أنتَ لم يزعجْكَ الأمر . . .

هو : لا ؟ بلى؟ قليلاً على كل حال؟

رجل ١ : أقلّ على كل حال من سماع إهانة كهذه . . . هذا حقاً فوق طاقتي .

امرأة ٢ : أنا أيضاً، أعترف لكم . . . في مثل هذه الأحوال، أقول لنفسي دائماً : ماذا عليّ أن آخذ حين لا أكون هناك؟

هو : أترون ، إنها تعود لنفسها . لقد نبهتمونا . كنّا نرى بوضوح . غريب أنّ كل شيء قد عاد فجأة مألوفاً وطبيعياً . . . تافهاً قليلاً . . . لا ، حتى أنه ليس كذلك؟ أليس تافهاً؟

رجل ١ : لا ، أنا ، كما تعلم ، هذا النوع من الإثارة . . . وجدتُه بالأحرى تبلُّداً .

امرأة ٢ : كنا هناك لتمزيق . . . عائلة دوبوي تلك . . . لم تكن تستحق أبداً مثل هذا .

رجل ١ : لننسَها إذاً ، بحق السماء ، لنتحدثْ في أمر آخر .

هو : نعم ، إنه لكذلك . أنا مستعدٌ تماماً كما تعلمون . بإمكاني أنا أيضاً الاهتمام بكثير من الأمور بسهولة .

امرأة ٣ : شرطَ ألاّ نبقى هكذا ننظر إلى بعضنا البعض بهذا الشكل . . .

هو : على رسلكِ ، تمهلي ، لاتبالغي . كنا نرغب بالتسلية ، بالترفيه ، بتصعيد عدوانيتنا وذنوبنا وتحريرها . . . بالدغدغة ، بالاحتكاك . . . بالإذابة ، بالفصل . . . بالقتل ، بالالتهام ، بطرد الشياطين . . . لستُ بحاجة إلى تعداد كل شيء ، فهذا معروف جداً . كلُّ ما يمارَس بشكل مألوف . ما من مبرّر للادّعاء . الآن انتهى الأمر . لقد تمّ تذكيرنا بالنظام . بفضل شجاعة السيد . سنمارس سُلْطَاتنا الخلاّقة بكل شرف .

صمت .

هو : حسناً ! ماذا ننتظر؟ يبدو لي أنه لم يبقَ إلاّ ورطة الاختيار . هيّا ، ما بكم ، قليلاً من العزيمة .

امرأة ٣ : هذا لأن الأمر ليس سهلاً وجاهزاً هكذا حسب الطَلَب . . .

رجل ٣ : تفضّلون إذاً أن نسكت . . .

امرأة ١ : أوه لا ، من المؤكد لا نفضّل هذا . . . خاصة الآن . . .

امرأة ٣ : لا ، لا ، أيّ شيء أفضل . . .

صمت .

امرأة ١ : كأن على رؤوسهم الطير .

امرأة ٢ : نعم . كأن على رؤوسهم الطير .

هو : جيد جداً . هذا ما كان يلزم بالضبط . إنه متوقَّع في مثل هذه الحالات . حالياً . . .

أصوات :

- جميل جداً .
- مدهش .
- لا علاقة له بأسلوبه القديم .
- يا للخسارة ، لم أستطع ، تصوّروا . . .
- وأنا أيضاً . مِنْ فَرط ما أعدنا . . . الآن فات الأوان . . .
- دائماً هكذا .

ثم تنقلب الأصوات إلى ضجيج آتٍ من نهاية الخشبة حيث تبرز كلمات تقال بأشكال مختلفة .

- (بشكل متقطع) جُ - نو - نيّ . . .
- (بشكل ثقيلٍ وممطوط) : أنا ، في هذه الأمور كما تعلمون . . .
- (بشكل جاف وحازم) : إنها مسألة رأي .
- (ضحك) .
- غير مقبول .

- موافق تماماً.
- لديكَ ميزات في هذا.
- (بصفير وتقزز) : فظيع. ولا نَفَس !.
- (بشكل خنوعٍ ونهِم) : أوه نعم. أنا مثلكَ، كنتُ أفضّل . . .

ضجيج مستمر آتٍ من نهاية الخشبة. ضحك. صراخ ضعيف.

رجل ٢ : لا تنسَيْ أنه عليكِ إعطاء الإشارة.

امرأة ٢ : نعم، أعرف، ولكنْ مازال الوقت مبكّراً. فالساعة لم تصل الحادية عشرة والربع.

رجل ٢ : انتبهي، فأنتِ تعلمين أنه من فرط ما تقولين كل مرّة مازال الوقت مبكّراً، تستمرين . . .

هو، (لـِ هي، (بصوت منخفض) : لم يعودوا قادرين على الاحتمال . . .

رجل ١ : ماذا تقول؟ لم يعودوا قادرين على الاحتمال؟

هو : ولكنْ لا، لم أقل هذا . . .

رجل ١ : بلى، قلتَ هذا. لقد سمعتُكَ.

هو : لا، إطلاقاً، ولكن ما أردتُ قوله . . .

هي : أوه لا، أرجوك . . . ليس الآن . . .

هو (لـِ هي، (بصوت منخفض) : ألا تخجلين ! جبانة، إليكِ عني. إنهزامية ! (بصوت مرتفع) : أتعلمون بماذا كنتُ أفكّر ؟

أصوات :

- أوه لا.
- قل لنا !
- بماذا؟

هو : لا أجرؤ. سأضرب على يدي من جديد.

رجل ١ : إذا كان المقصود عائلة دوبوي من جديد... هذا، لا، هيه؟ لن تعود إلى هذا الأمر؟

امرأة ٣ : طيب (بنبرة متْعَبَة وخائبة). إذاً ليست عائلة دوبوي... ولكنْ مَنْ غيرها؟

هو : اطمئن. لن أذكر دوبوي مرة أخرى. لا. ولكنّ السيّد ضرب لي مثلاً قبل قليل.

رجل ١ : لقد أطريتَ عليّ. ولكني لا أفهم تماماً. ألا ترى مع ذلك أننا كنّا في سبيلنا لأنْ... كما كنا نفعل قبل قليل...

هو : أوه لا، ليس هذا؛ ومن ثم فإنني حقاً لستُ الرجل المناسب لأتحدث عن الإهانة. بالرغم من أنني، والحق يقال، جاءت لحظة...

امرأة ٣ : حين كنا نتحدث عن ڤاليري؟

رجل١، (بنبل) : لا علاقة لهذا بذاك. أولاً ڤاليري قد مات، خاصة وأنه كاتب كبير.

رجل ٣ : إنه واحد من التفاصيل التي تشكّل الفرق كله.

امرأة ٢ : بالتأكيد. هنا، لا مجال لإضافة أي شيء... لكل الناس الحق... حتى أنه واجب...

امرأة ١ : إنها ضريبة العبقرية.

امرأة ٢ : هذا صحيح. لامجال للمقارنة... إنهم فوق... ما وراء...

هو : إنني أعترف أنّ عائلة دوبوي المسكينة ليسْت «ماوراء». إنها في الداخل، في العمق، مثلنا... هذا بالضبط...

رجل ١ : لن تعاودَ الكرّة؟

هو : ولكنْ، أقول لكَ، لا، لا أقصدها.

امرأة ١، (بحنين) : مَنْ إذاً؟

هو : حسناً، لا أحد إطلاقاً.

امرأة ٣، (خائبة) : آه، لاأحد... إذاً سيغدو الأمر كما كان قبل قليل ؟

هو : آه، لا ليس هكذا. أنا مثل السيّد. لقد تمالكتُ نفسي لفترة طويلة ثم فعلتُ مثله.

رجل ١ : ما الذي تفعله مثلي؟

هو : حسناً، أسمح لنفسي بدوري أن أذكِّر الجميع بالنظام، أسمح لنفسي أن أعبّر عن رأيي المتواضع بصوت عالٍ مثلكَ، حول ما يجري الآن.

هي : أوه، أرجوك، توقف، لن أستطيع احتماله.

هو : أنا سأحتمله جيداً. إنني أرى أن الأمر قد بدأ يصبح جيداً. يكفي هذا الآن، إنه مُتعِب في نهاية الأمر... ألم تشعروا قبل قليل كم هو مندثِر، كل هذا، هيه؟ وكأنه صورة عن صورة؛ ألا ترون هذا؟

رجل ١ : صورة عن صورة؟

هي : نعم، مايريد قوله، هو أنه قبل قليل حين كنا نتحدث، بدا له الأمر وكأنه تقليد... إنه هكذا، أليس كذلك؟

هو : نعم، لابد أن أعترف أن هذا يربكني... بعد كل ما عُرِض علينا، كل ما يُعرَض علينا كل يوم وفي كل مكان... في المسرح، في الروايات... وكوننا مانزال قادرين على الاستمرار في الحديث... بمثل هذه الجديّة... لابد لنا من الشعور بالانزعاج...

هي : هذا صحيح، ألا ترون هذا مدهشاً ؟ لقد كشف الكتّاب أشياء كثيرة وأظهروا لنا... حتى أصبحنا نقرف من ذلك إلى الأبد... فكأنهم كانوا يغنّون، فنستمر وكأن شيئاً لم يكن...

رجل ١ : هذا طبيعي. ما العلاقة ؟ هناك، هو الفن. وهنا، هي الحياة. مجالان منفصلان. لاشيء مشترك بينهما.

هو : حسناً، أنا (متظاهراً بالغباء)، بما أنه عُرِضَ عليّ الآن هذا لأراه... كثيراً... لامفرّ: أراه في كل مكان. ما إن يبدأ الناس بالحديث هكذا- حتى ينتهي الأمر بأن أُلْبِسه هذا اللبوس...

رجل ٢ : ما هو هذا ؟

هو : إنه تبادل للمواضيع المطروقة و«الكليشيهات» مثلاً... تعرفون ذلك حق المعرفة. ألم يتكرّر هذا على مسامعكم بما فيه الكفاية ؟ ألم يتوضّح بما فيه الكفاية ؟ ألا يزعجكم أن تعودوا لخوض غماره من جديد؟

امرأة ٢ : ماذا تريد ؟ لم نستطع فعل غير ذلك. كان يجب «كسر الصمت».

امرأة ١ : وبسرعة، حدث هذا بتسارع كبير، فكان يجب علينا بالضرورة، أخذ ما يقع تحت أيدينا؛ أقرب شيء إليها.

رجل ١ : وبالرغم من... لا أفهم... مِمَ تشكو ؟ في المسرح نستمع إلى هذا خلال ساعات، مما يعطي نوعاً من اللذّة. نبقى غارقين في روايات ضخمة لا لشيء إلاّ لنرى كيف تتوالى الصفحات لتكرّ بين أيدينا...

امرأة ١ : نعم، أعشق هذا.

امرأة ٢ : نتعرّف إلى ذواتنا ولا نتعرّف إليها.

امرأة ١ : هذا صحيح، نرى أنفسنا... دون أن نراها... نضحك...

رجل ٣ : نضحك ضحكاً مفتَعَلاً...

رجل ٢ : نعم، لكن لأجل الضحك، وليس حقيقياً... ليس مفتَعَلاً تماماً... إنه لذيذ.

امرأة ١ : هذا مألوف جداً؛ مألوف إلى درجة كبيرة جداً؛ وفي الوقت نفسه ذو طبيعة غريبة، وكأنه لم يُرَ من قبلُ . . .

امرأة ٣ : وشاح يتمزق . . .

هو : أي وشاح؟ ماذا يتمزق؟ هذا خطأ. هذا أكثر الأخطاء فداحةً. محضُ خيال. شيء من «اللاواقعية» . . . . لا شيء حقيقي فيه.

رجل ٢ : لاشيء حقيقي؟ لا مواضيع مطروقة؟ أليس هذا ما نتبادله؟

رجل ١ : بلى. ولمَ لا؟ الموضوع المطروق، هو الحيِّز الذي نلتقي فيه . . .

رجل ٣ : نتقاسم مخزوننا القليل.

هي، (مستسلمة) : نعم. إنها «دوطّة» حقيقية جُهِّزَتْ لنا منذ طفولتنا . . .

امرأة ٣، (ساخرة) : نغرف منها عندما نحتاج.

هي، (متنهدة) : كما حدث قبل قليل . . .

رجل ١ : نعم. تماماً. كما حدث قبل قليل . . . وعنّي أنا، أجد هذا جيداً جداً. أفضل على كل حال من هجماتكم الصغيرة . . . على عائلة دوبوي . . .

هو : أفضل ؟ أتعتقد ذلك ؟

رجل ١ : نعم أفضل. نظيفة. بريئة.

هي : أوه اسمع، السيّد على حق، لا تقل العكس، فتبادل المواضيع المطروقة مسألة لا خلط فيها، فهي نقية. لا تخفي غرضاً وراءها.

امرأة ٢ : كل الناس يعرفون هذا حقاً. فهي سطحية لا غير . . . وهذا ما يعطيها جاذبيتها.

رجل ٣ : لا يا صديقتي العزيزة، سطحية كلمة غير ملائمة. فالسطحية تفترض وجود العمق . . . والعمق كما تعرفين جيداً . . .

امرأة ٢ : نعم، أعرف : إنه مُهْمَل تماماً.

رجل ١ : إنه من أكثر الأشياء استهلاكاً.

امرأة ١ : مع ذلك، أعترف أحياناً. . .

هو : تشعرين أحياناً. . . بأنه يصعد. . . من الأسفل. . . كهبّات؟. . . هيه؟ هذه تعاودك، إنها نغمات قديمة جذّابة؟ لا مفرّ، أليس كذلك؟ لقد منعنا أنفسنا عن ذلك كثيراً. . . هاكم، قبل قليل، ولكي لا نتعب في البحث سدىً، كان يكفي يا أصدقائي أن نصيخ السمع إلى ما وراء أحاديثنا المتبادلة. يا لَلْحَفَل! مع كل المواضيع المطروقة تقريباً، إذ لا فرق بينها. فما علينا إلاّ اختيار واحد منها بالقرعة، أيّ واحد، الأكثر تسطحاً، الأكثر براءة، من نوع : أيّ صيف هيه؟ لم يعد هناك فصول! أو: أي نعم، يمضي الوقت. آه هذا لا يعيد إلينا شبابنا! أو: أحب هذا الكتاب لأنه صَرْحٌ لغوي. . . ومن خلال هذا. . . ما يمكننا إدراكه. . . لو كنا نريد فقط. . . لو كنا نجرؤ. . . ولكنّ المشكلة هي أنكم لا تريدون. يجب عدم المساس بالمواضيع المطروقة. فهي موجودة هنا لأجل هذا. . . لكي تغطي، لكي تخنق. . . بينما مع عائلة دوبوي . . . آه، كان لعائلة دوبوي تلك الميّزة. . .

رجل ١ : آه هذا لا. لقد وعدتَنا.

امرأة ٣ : بلى. . . اتركه. . . قليلاً فقط. . . عائلة دوبوي. . . مع ذلك، كانت. . . أعترف. . .

هو : اعترفي أن الأمر كان لا بأس به، هيه؟ (بشراهة). اعترفي أن في عائلة دوبوي . . . شيئاً . . .

رجل ١ : ولكنها فكرة ثابتة لديكَ أنتَ. إنه هَوَس. من الممكن علاجه، أتدري !

هو : آه لا . فات الأوان . انتهى . لا يمكن لك معاودة الأمر . لقد تنازلنا مرة . . .

هي : لم يكن هناك من وسيلة لعمل شيء آخر . بعد هجومكَ . . كانت ضربةَ قوة .

هو : كان عصياناً مُسلَّحاً حقيقياً . ولكنهم الآن جميعاً قد أدركوا لأيّ نظام خضعوا . . . يتنهّد كل الناس إثر عائلة دوبوي .

رجل ١ : أيريد كل الناس العودة إلى تشويه السمعة ؟ . . . إلى إشباع نهمهم من الغيبة ؟ . . . أيعجبكَ هذا ؟ . . .

هو : أنتَ ترى أن هذا لم يعد يُخيف أحداً ، تستطيع أن تقول وتعيد : غيبة ، إهانة . فلم يعد هذا يضرّهم أو ينفعهم .

امرأة ٢ : لقد وجدتُ في ذلك وقاحة بالغة ، هذا إن أردتَ أن أقول لكَ الحقيقة . إن يقتلوني فأنا لا أسمح لنفسي . . .

رجل ٣ : نعم ، أن ألعب أنا هكذا ، دور المراقبين . . .

هو : أنتَ ترى . الجميع حاقدون عليكَ . كنت أؤكد لك ذلك .

رجل١ ، (حانقاً) : ولكنكم جميعاً ، قبل قليل . . .

رجل ٣ : بالنسبة لي ، الفضيحة أقوى من احتمالي . . . لا أقاوم أبداً . أنصاع دائماً . . . على الأقل لحظتها . . .

رجل ٢ : نعم ، أنا أيضاً ، هذا التذكير بالنظام . . . مُجبراً ، أحني ظهري منصاعاً ، ولكني لا أكره شيئاً بقدر ما أكره ذلك .

رجل ١ : حسناً ، أنا ، ما أجده فاضحاً هو بالضبط . . .

هو : ولكن لماذا النقاش؟ لاأحد يتابع حديثكَ .

هي : لا أحد يصدقكَ .

هو : لو تدرين! أنا أصدقه. كنتُ أعتقد أنه يرائي بنقائه وأخلاقيته . . . ولكني توصلتُ إلى أنني على خطأ : عائلة دوبوي لا تهمّه. إنه يسخر تماماً من عائلة دوبوي.

رجل ١ : آه هذا نعم، تماماً. حتى أن عائلة دوبوي - وهذا سيصدمكَ - تضجرني.

هي : عائلة دوبوي تضجركَ؟ أوه، هذا غير معقول!

هو : بلى، بلى. هذا صحيح بالتأكيد. أعرف جيداً أنه من الصعب تصديق ذلك. فهذه الحالة نادرة جداً . . .

رجل ١ : الحالة نادرة ! . . . آه، هذه طيبة بالغة . . .

هو، (رصيناً) : نعم نادرة جداً. أتحدث عن حالات حقيقية. لأنّ المخادعين جحافل. ولكنّ الحالات الحقيقية كحالتكَ . . . هناك بالطبع الكثير منها . . . طالما أن أعمالاً أدبية كبيرة . . . طالما أنها أثّرت في عبقريات مثل دانتي . . . دوستويفسكي . . .

رجل ١ : دانتي ؟ دوستويفسكي؟ . . . بدأ الموضوع يثير اهتمامي . . .

هو : نعم، أنتَ تعلم أن الفاترين واللامبالين ومَنْ ينتمون إلى دائرة جهنم الأولى، ومَنْ ينتمون إلى نهاية العالَم . . . إنه لَمحزن هذا القول، بأنكَ من هؤلاء.

هي : لا، دعْهُ، أنتَ تحيد عن الأساسي . . . يضيع الوقت هباءً . . .

هو : طيب، طيب، هاكم، اسمعوا : كي نتكلم ببساطة : إما أن تختاروه أو لا . . . اختاروا. مَنْ مِن بيننا لم يعد يريد الاهتمام بعائلة دوبوي؟ مَنْ يفضّل البدء بالموضوع من جديد؟ . . . مَنْ يفضّل عودة سريعة إلى المواضيع الكبرى المسموحة ؟

أصوات :

- لا . . .

- أوه لا . . .

- بالتأكيد لا . . .

هو : أنتَ ترى أنهم قد اختاروا. أنتَ تمثّل الأقليّة. حتى مَنْ صمتوا لا يجرؤون . . . أنتَ وحدكَ؛ لم يبقَ لكَ سوى . . .

رجل ١ : بالضبط. لم يبقَ لي سوى الرحيل. على كل حال عليّ غداً أن أستيقظ باكراً . . . إيڤون، هل تأتين؟

امرأة ١ : . . . لا . . . . أعتقد . . .

رجل ١ : ولكنْ ماذا دهاكِ؟

امرأة ١ : لا. آسفة، ولكني سأبقى.

هو : أترفضين أن تتبعي زوجكِ ياسيدتي؟ ولكنكِ تعلمين أن هذا خطير. لا أريد أن أكون السبب في . . .

امرأة ١ : لا، لقد اخترتُ؛ سأبقى.

رجل ١ : إيڤون، أتضرّع إليكِ، فكّري بما تفعلينه. لن أغفره لكِ.

امرأة١ : لن تغفره لي . . . آه، إنها طيبّة ! استمعوا إليه ! لن يغفر لي . . . أن أرفض العودة إلى النقاء والكرامة والخجل . . . إلى نظامه الغذائي الحليبيّ والعصيديّ . . . لا شيء سوى المواضيع الكبرى. السياسة. الفن. أو الأموات فقط. العظماء. جيْد. ڤاليري. ڤينيي. شاتوبريان. دائماً رأسه عَالٍ في الهواء وفاغر الفم. ما منْ حقٍ في تخفيض الأنف للاستنشاق، للتنسّم . . . تعاجلكَ ضربة على الظهر . . . التذكير بالنظام . . .

رجل ١ : أنتِ دنيئة.

امرأة : دنيئة، أنا ! أتعلم ؟ سأقول لكَ : لقد شعرتُ بهذا دائماً منذ البداية، ولكني لم أستطع تحديده. بالتأكيد، كان لابد لي . . . أن أسمعه من أحد . . . أن يحملَ اسماً ما. والآن . . . آوه يا لَلارتياح ! إنه فاتر، لا مبال، مائع. ودانتي! ونهاية العالَم! أوه، لم أكن لأطلب أكثر من هذا . . . هذا كثير جداً. شكراً أوه نعم، سأبقى.

يخرج رجل ١ . تمتمات متقطعة بجمل الوداع.

صمت.

امرأة ٣ : كأن على رؤوسهم الطير.

امرأة ١ : أوه لا، ليس هذا. لن ينفع بعد الآن.

هي : لا، أتوسّل إليكِ . . . الحمد لله أننّا لم نعد هنا في هذا المجال . . .

امرأة ٣ : أنتِ محقَّة، اعذريني، إنها ردّة فعل قديمة.

صمت.

رجل ٢ : نعم . . . نعم . . . حسناً، سأقول لكم . . . بما أننا الآن نستطيع وبملء حريتنا . . .

امرأة ١ : أوه نعم، قل لنا . . .

رجل ٢ : حسناً، لديّ انطباع بأنه على كل الأحوال . . . و حتى دون تلك المقاطعة . . .

امرأة ٢ : ذات الذوق السيّء . . .

رجل ٢ : . . . لديّ انطباع بأننا على كل الأحوال كنّا سنصل.

هي : نصل ؟

رجل ٢ : كنا سنصل إلى برّ الأمان. كنتُ على وشك أن أقول لكم إنّ ماتبحثون عنه في خدمتكم تماماً؛ مُهَيأ خصّيصاً لحالتكم. ولكنْ، لا تنظروا

إليّ هكذا . . . أنا أعتقد تماماً بأنكم لم تريدوا معرفته. تفضّلون مضايقة أنفسكم. أنتم تحبّون ذلك.

هي : أوه، دقيق جداً. . . أريد أن أرى إلى ماذا توصلتَ. هيا، ما هو ؟ لقد شوّقتَنا.

رجل ٢ : السَّ - سَ - ما - جة.

هي، (خائبة) : السَّماجة ؟

رجل ٢ : نعم. تماماً. السماجة. عائلة دوبوي سمجة بالنسبة لكم ؛ نقطة انتهى. ما تشعرون به عند عائلة دوبوي. . . من الغموض، من الشيء الذي لا يوصَف. . . ما يشدّكم. . . ما يُذَبْذِبُ. . . هذا يحيي ما ندعوه السّماجة. أليس هذا ما يلزمكم ؟ على قياسكم. تماماً عن عَمْد. معترف به. مسموح به. شرعي تماماً. مَنْ يستطيع انتقاد هذا ؟ لماذا إعمال الفكر ؟ اعترفوا أن هذا قد يريحكم.

هو : السّماجة ! . . . هذا ما تقدمه لنا. أيجب أن يكون أحدنا صعباً حتى لا يكتفي بهذا ! حتى يتدلّل ! ماذا يلزمنا غير ذلك ؟ ولكنْ، مَنْ تحسبُنا؟

هي : على رسلكَ ياصديقي المسكين، إنه الأمر الأول الذي خطر على بالنا. لقد فكرنا فيه منذ البداية.

هو : نعم، منذ البداية. حين حاولنا تهدئة بعضنا البعض، إيقاف. . .

هي : أوه نعم، صدقني، لقد فعلنا تماماً ما باستطاعتنا. حتى أننا كنا نظنّ أنفسنا مجانين جداً لدرجة أننا قارنّاها بهذَيْن المُوسْوَسَيْن. . . بهذين المهووسَيْن - هذا موصوف عند جانيه * - حين يتملكهما بشكل

* هو بيير جانيه (١٨٥٩-١٩٤٧)، دكتور في الأدب ودكتور في الطب. كانت ناتالي ساروّت تعتبره صورة "للعالِم" القادر على تقييم الكتابة كتعبير عن حالة مرَضية قابلة للتحليل.

كامل، ينزلان إلى القبو ويتمايلان متماسكَيْن بالأيدي ومُرَدِّدَيْن كجوقة : « واحد، إثنان، ثلاثة، كفانا ظواهر».

هو : نعم « كفانا ظواهر. عائلة دوبوي ؟ حسناً، ماذا؟ ماذا هنالك ؟ هناك شيء يغمر كل هذا. كل هذا. انظري. أترين ؟ هذا مايدعى بالسّماجة. . . ».

رجل ٢ : وإذاً، ماذا يلزمكَ أيضاً ؟ ما هو الشيء الذي لا يصلح؟

هي : وإذاً. . . لقد كررناه كثيراً. . . دون أي فائدة. إنه كَيٌّ على. . . لا، على العكس، ليس كيّاً على الخشب دون فائدة، ولكنه كان يغلي دائماً بشكل كبير؛ ويؤلِم جداً أن نقول لأنفسنا : سماجة، لم تكن لتضرّنا أو لتنفعنا.

رجل ٢ : هل هنا مَنْ يستطيع فهمَ هذا؟

هي : نعم بالتأكيد، يستطيع الجميع فهمه. أتذكرون الزوجَيْن الشيخَيْن البالغَيْن من العمر ثمانين عاماً في «دائرة الطباشير». لقد تقدّما من القاضي طالبَيْن الطلاق. سألهما القاضي : « أنتما متزوجان منذ متى ؟ - منذ خمسين عاماً. - وإذاً، ما الذي جَدّ عليكما الآن؟ - حسناً، لقد وجدنا أننا سمجان» (ضحكات). أترون، لقد أضحككم هذا.

هو : أنتم ترون جيداً أن السَّماجة لا تصلح.

امرأة ١ : نعم، بالتأكيد، بعد خمسين عاماً من الزواج !

هي، (بنهم) : . . . ترون جيداً أن السماجة مبهمة جداً، جدّ. . . بعيدة. . . إنها جيدة فقط في أول الأمر. . . لكنها بعد ذلك. . .

امرأة ٢ : هذا صحيح. بعد ذلك، حتماً، لابدّ من الوصول إلى شيء آخر. . .

هي : نعم، أليس كذلك؟ أوه، المساكين ! . . . لَكَم أفهمهما . . . كم تألّما . . . خلال حياتهما كلها . . . تخيّلوا هذا . . . ودون أن يصلا إلى . . .

هو : مثلنا تماماً . آه، يالَلعذاب . . .

رجل ٢ : إذاً أنتما مخادعان . تتصنّعان الخبث والغموض . تريدان مساعدتنا وتخدعاننا . السماجة، لن تصلح . . . عائلة دوبوي قريبة جداً منكما، هيه؟ أنتما تعرفانها أكثر من اللازم؟ منذ زمن بعيد جداً؟

رجل ٣ : هيا، اعترفا : إنها مِنْ أقاربكما ؟

هي : حسناً، نعم . عائلة دوبوي . . . هي فقط . . . غطاء . . . . هي انتقال . . . في الواقع، أقصد . . . حسناً، أقصدُ أهلنا . . . أهل زوجي . . . فعائلة دوبوي تُشْبِهُهُم . . .

هو : أنتِ مجنونة، ماذا تقولين؟

هي : ماذا تريد أن أقول، إنهم أولادنا؟

هو : ولكنك تفقدين عقلكِ تماماً . تنسين أين يودي بنا هذا . . .

هي : أوه نعم، لم أعد أدري ما أقول . . . لا . ليس الأهل . ليس الأولاد . . . أوه لا . . . الرحمة . . . ليست العُقَد . الكبت . التراجع . التثبيت الطفولي . . . ليس هذا : المسبق الصنع . تحضير الخلائط . المفتاح العمومي . الأشياء المتماثلة البشعة . . . لا، عفواً، لقد كذبتُ (صمت) أقصد جيراننا . نلتقي بهم دائماً منذ سنوات . فهمتم إذاً . . .

رجل ٢ : حسناً، لا مفرّ . تناسب السماجة جداً هذه الحالة : الجيران . نلتقي بهم على الدرَج . صباح الخير . مع السلامة . تبرّر السماجة تماماً حفاظنا على البعد معهم . . . لا حاجة بنا لإيجاد المبررات . . .

هي : أترى . . . الجيران، هذا لا يصلح . حسناً، أنتَ محق . أقصد الأقرباء . . . أخاً لنا وإبنة حماة لنا؛ أناساً طيبين جداً، ساعدونا كثيراً . حين يكونون هنا نحبهم كثيراً . . . وفي اللحظة عينها ينزلق كل شيء من علينا، لا شيء يخترقنا، أنتَ تفهمني . . . ومن ثم حالما يغيبون . . . يتكرّر الأمر . . .

رجل ٢ : أهو أخوكِ الأكبر ؟

هو : آه لا . لا، طبعاً لا . قد رأيتكِ تصلين إلى هنا . عرفتُ إلى أين ستجرّينا . . . ليس إلى هذا . ليس إلى التحويل . ليس إلى الغيرة . ليس إلى عقدة النقص . أوه، يا إلهي، أين كان عقلُك؟ لا . لقد حاولتْ خداعكَ . لابد من قول الحقيقة كلّها : لا يوجد أي صلة . ولا واحدة . لا شيء إطلاقاً . . .

رجل ٣ : مَنْ تقصدين إذاً؟

هي، (بطريقة تدعو للرثاء) : عائلة دوبوي التي تعرفونها . لهذا كنّا نسألكم . . . ولكن بما أن السماجة . . . لن تصلح . . . وبما أنكم لم تريدوا أن تفهموا . . . فكان لابد من المبرّرات . . .

امرأة ١ : اسمعا، من الممكن أن يوجد شيء آخر . . . لا تقولانه لنا . . . أنتما تخفيان علينا شيئاً ما . . .

امرأة ٢ : إنهما لا يجرؤان على القول ما فعلتْه بهما عائلة دوبوي، نحن هنا لنبحث عن هذا . . .

رجل ٣ : هيا، قولا ماذا فعلتْ حقاً بكما عائلة دوبوي . قولا ذلك بلا تردّد . هناك شيء لا يجرؤ المرء على الاعتراف به . لا يجرؤ على ذلك . . . جِهاراً . . . قولاه لي بصوت خفيض، لن أقوله لأحد .

هي : لا . لم تفعلْ لنا شيئاً . لا شيء مما يمكن قوله . . .

امرأة ١ : ما لا تستطيعان قوله، اجبرا نفسيكما قليلاً إذا كنتما تريدان أن نساعدكما.

هي : لا. أوه لا، لاأقصد هذا. . .

امرأة ١ : ولكن ماذا تقصدين إذاً؟

هي : إنها. . . إنها. . .

هو : إنها موجودة.

امرأة ٣ : موجودة؟

هو : نعم إنها هنا. لاتُتْلَف. لا تُختَزَل.

امرأة ١ : ماذا إذاً ؟ ما مِنْ سبب حقاً يدعو إلى الغرق في هذه الحالة. فإذا كان، من أجل كل ما هو موجود، يجب أنْ. . .

امرأة ٢ : وما هو أشدّ قرفاً - بالرغم من أني، والحق يقال، لا أقرف من عائلة دوبوي. نعم، الضفادع، الثعابين، الجرذان. . .

رجل ٣ : هذا جيد جداً. مُهدِّئ جداً. كنتُ أعرف رجلاً يستخدم هذه الوسيلة ليتخلّص من أطفاله. . . كانوا يضايقونه. . . بالطريقة ذاتها. . . فيأتونه هواجس ليلاً. . . عبثيين. . . دون إحساس. . . أغبياء. . . فيمسك رأسه بين يديه منزعجاً. . . قال لي : أردّد على نفسي بأن الأمر هكذا. لا أستطيع حياله شيئاً. لقد جُبِلوا هكذا : إنهم موجودون. . . كالقردة. كالببغاوات. . . وكان هذا يريحه. . . (زمن). ماذا بكما؟ ألا يصلح لكما هذا أيضاً ؟

هو : لا، لا، مستحيل.

هي : مستحيل تماماً. عائلة دوبوي. . . كان من الممكن جداً تطبيق كل التحوّلات عليها، تحويل أفرادها إلى ضفادع، إلى ثعابين، إلى

جرذان . . . . أو إلى أميرات جميلات أيضاً . . . ليس هناك من مانع . . .

هو : كان من الممكن أن ينضح هذا عنها بالطريقة ذاتها . . .

هي : يرشح شيء منها ويتسلّل . . . فيصيبكم . . . فيثير فيكم . . . ويخترق كل الظواهر . . . فهو آت من لا شيء . . .

هو ، (مُحْتَدّاً) : إنه آتٍ من نبع في داخلها . . . مخفيّ . . . يخرج من هناك ، فيملؤنا ويسيل على كل شيء . . .

صمت قصير .

امرأة ٣ : حسناً . . . سأرضيكما . . . إنني أفهمكما . . . هناك حتماً عند عائلة دوبوي . . . (تصفرٍ بشكل خفيف) هذا نفاق تام . ملاطفة . أما هي ، فإنها تُهَدْهِد . . .

امرأة ١ : لا ، هي لا تُهَدْهِد ؛ هي تُزَقْزِق . . .

رجل ٣ : طيب . نعم ، إن أردتمًا . . . هي متواضعة جداً . . .

امرأة ١ : طفولية قليلاً . . . تتصنّع الغباء .

امرأة ٢ : لا ، لماذا تتصنّع ؟ إنها غبيّة ، صدقيني .

امرأة ٣ : ليست غبيّة . هي مُتَكَتِّمة جداً . . . إنها تراقبكم مِنْ تحت .

هي : نعم؟ مِنْ تحت؟ مُتَكَتِّمة؟

هو : أوه ، تابعوا .

امرأة١ ، (مقلِّدة بسخرية) : آه حـَ . . . ؟ حقاً ؟ وعيناها الكبيرتان المفتوحتان . . .

امرأة ٢ : وهذه الطريقة . . .

هي : أوه . . . أيّ طريقة؟

امرأة ٢ : لا أعرف . . .

صمت .

رجل ٣ : أنا أعرف . يحاولان الوصول إلى متناول أيدينا . ينزلان إلى مستوانا . . .

امرأة ٢ : نعم، إنه بالضبط هذا . ولكنّ حساباتهما خاطئة، فهما ينزلان إلى الحضيض .

رجل ٣ : أما أنا، فلقد عرفتُ السيد دوبوي في الماضي . . . حين كان يحاول بالأحرى أن يتطاول . . . حين كان يقف على رؤوس أصابعه . . . على حافرَيْه الخلفيَيْن . . . أمام الأقوياء «العظماء» . . . كان يتلقّى احتقارهم وصدودهم . . . لابد من رؤية هذا . . . فلم يكن ينزعج أبداً . ولكنْ منَ الآخرين . . . لم يمرِّر أي شيء أبداً . . . حقد مُسْتَعْصٍ . . . أعرف أنه في أحد الأيام، لأني سمحتُ لنفسي . . .

امرأة ١ : أوه لا ، اعذرني ، ولكنْ هذا لا يصلح .

رجل ٣ : لماذا؟ ما بكِ؟

امرأة ١ ، (مُلْتَفِتة إلى «هو» أو «هي») : اعذراني ، رأيتما أنني كنتُ على استعداد لمساعدتكما . أنا أفهمكما بشكل أو بآخر . . . قلتُ لكما إن عائلة دوبوي . . . أنا أيضاً أنزعج منها . . . (زمن، بحزم) ولكنّ السيّد هنا . . . إلى حيث يريد جرّنا . . . اعذراني . . . هنا لا ، أنا لا أتحمّل . . .

رجل ٢ : أنا أيضاً أرفض أن أتبع . وأنتما ألا ترفضان ؟

رجل ٣ : ماذا حدث؟ أزمة أخلاقية صغيرة جَدَّتْ؟

رجل ٢ : لا . أوه لا . . . ولكنها محقّة .

رجل ٣ : أنا لا أفهم الآن. لقد طلبا مني المساعدة وأدليت بدلوي. أعترف بتواضع ما قدمتُ. ولكني أرى أنني أخطأتُ: كان هذا كرماً زائداً عن اللازم.

هو : كان كرماً! أتجرؤ على قول هذا! في حين لم تعمل إلاّ لحسابكَ الخاص.

رجل ٣ : ماذا؟ لحسابي الخاص؟ ما هذا الذي تقوله؟

هو : نعم. لا تتظاهر بالغباء. أنتَ تفهمني. أيصيبك هذا بالحِكّة، هيه؟ فتحكّ جسمكَ؛ علانيةً... إنه أمر مخجل.

هي : لقد أرويتَ غليلكَ وأحقادكَ الصغيرة...

امرأة ٢ : هذا مقرف. تستغلُّ فرصة كون عائلة دوبوي هنا، تحت رحمتكَ... كي تسمح لنفسِكَ دون أدنى عقاب... كي تجرّنا...

رجل ٣ : آه أنا لا أحب هذا، هيه؟ هذا فجّ للغاية: لقد تجرأتُ بوحشية زائدة... أن أكشف الستار... عما كان كل واحد منكم...

امرأة ٢ : أوه، ولكنْ انظروا إليه... أصبح سيّئاً...

رجل ٢ : لا تقلقي: سأكشف الغموض عن كل هذا. وإذاً يا صديقي العزيز، أنتَ ترى أنّ عند السيد دوبوي حِساً مهتاجاً للتسلسل الاجتماعي؟

رجل ٣ : نعم. لقد لاحظتُ ذلك دائماً.

رجل ٢ : أكان يتذلّل أمام «العظماء»؟

رجل ٣، (أكثر تردّداً): نعم... كان يبدو لي... كان يتزلّف...

رجل ٢ : هل هناك أحد آخر هنا منْ رأيهِ؟ (صمت) هيا، ليعبِّر عن رأيه... لا أحد. كنتُ متأكداً من ذلكَ...

امرأة ٣ : يعني، بالنسبة لي، لابد أن أعترف أن هذه الفروقات...

هي : هذا صحيح، بالنسبة لي أيضاً هو أمر غامض.

هو، (ببلاهة) : اعتماداً على ماذا ؟

رجل٣: أوه، لا أعرف... الجميع يعرف ذلك...

رجل ٢ : الجميع يعرف ذلك؟ أنا لا.

امرأة ١ : ولا أنا.

امرأة ٢ : ولا أنا.

رجل ٢ : قُلْهُ لنا، هذا مهم. أهو اعتماد على السمعة؟ على المال ؟ على العلاقات؟ قُلْ...

رجل٣ : أوه هذا يتوقّف على... لا أعرف...

رجل ٢ : كان السيد دوبوي خنوعاً مع هؤلاء الذين أطلقتَ عليهم اسم العظماء. لقد قلتَ ذلك. حسناً أسألكَ، مَنْ كانوا هؤلاء العظماء... (ضحكات). جِلْ بطَرْفِكَ هنا. انظرْ هناك. مَنْ «عظيمٌ» هنا؟ ومَنْ «وضيعٌ»؟

رجل ٣ : هنا! أنا لا أتحدث عن هنا.

رجل ٢ : ولكنْ مَنْ لديه مثلك حِسُّ التسلسل الاجتماعي، يراه أينما كان.

هو : أنتَ يا صديقي، أنتَ عظيم، هذا مؤكَد. ولهذا أنا سعيد لكوني صديقكَ - وأعتقد أنك لم تشك في هذا أبداً - ها أنا أتزلّف لكَ...

رجل ٢ : أوه، أرجوك... انظرْ إلى ماذا قد يقودنا ذلك... لو كان الناس مثلكَ... يحمّرون خجلاً...

امرأة ٢ : مِنْ حسن الحظ أنّ هذا النوع من التأويل... مؤسِف... هذا أقلّ ما يقال عنه...

امرأة ٣ : خاصة أنه مزيَّف جداً! إذ يعتمد على المظاهر؛ على أسوأ التقاليد.

رجل ٢ : مع مَنْ إذاً قلتَ قبل قليل إن السيد دوبوي كان يبدو جدّ. . .

رجل ٣ : مع . . . مع . . . إنه روديه . . .

رجل ٢ : روديه! مع ذلك كان هذا واضحاً. لم نكن بحاجة للبحث. . . لا علاقة لذلك. روديه رجل دموي. شرِّيب كبير. إكّيل كبير. دوبوي هزيل. منكمش قليلاً.

امرأة ١ : نعم. لا عَجَب أن يجذبه روديه.

امرأة ٣ : حتى أنْ يُفْرَضَ عليه . . . بطريقة ما . . . لمَ لا؟

امرأة ١ : وأيضاً : فإن دوبوي يجذبه القلقون.

رجل ٣ : قلق؟ روديه؟ أنا أَعجب لحديثك.

امرأة ٣ : نعم ، نعم، إنه صحيح : هذا الهياج. هذه الحاجة للمهيِّجات : النجاح الاجتماعي والمال. لا بد أن دوبوي قد تحنّن قلبه. أنتَ تعرف أنّ دوبوي حنون في أعماقه . . .

هي : نعم. حنون. إنه ذو قلب ذهبي كما يقال، أليس كذلك ؟ هذا ما نقوله لبعضنا البعض كل مرّة. كفانا. كفانا ظواهر. (ضحكات) نحن نحبه؛ نحبه، نعم، نحبّه.

رجل ٢ : لابد أن هذا يريحكَ؟

هو : أوه نعم، هذا يريح. نحن صقيلون من الداخل ككل شيء وكأننا مَكويّون. ومن ثمّ، من جديد . . . يعاودنا هذا . . . يشدّنا . . . أوه لا ، لا مفرّ، لن تفهموا إطلاقاً . . .

صمت.

امرأة ٣، (بخجل) : هذا، أنتم لن تنكروه. هذا، ستسمحون به، أعرف ذلك . . . سترون، لن تشعروا أبداً بأن هذا يمسّكم وبأنكم تضاءلتم . . . بل على العكس . . .

رجل ٢ : ماذا ؟ ما هذا أيضاً؟

امرأة ٣ : لا أثَرَ لهذا عندي؛ ولا عند أحد منكم، إطلاقاً. هو فقط عندها، عند عائلة دوبوي. . . شيء ما يبرّره.

هي : أوه ماذا؟ قوليه؟

امرأة ٣ : شيء ما أكيد. وقائع.

هي : أيّ وقائع؟ ولكن قوليها بربِّكِ. . .

امرأة ٣ : أعرفها من مصادر موثوق بها. من فتاة كانت تعمل عندهما لقاء مبيتها وطعامها. . . وهي لا تخترع. . . مساءً، حين كانت تذهب لفراشها، كانا يصعدان على كرسي، ويخرجان. . . من خلف أكداس الصحون. . . يدبّان على أربع كي يسحبا الصندوق من تحت السرير. . .

هو : الصندوق ؟ ولكنّ هذا مأخوذ من موليير كانا يعدّان أموالهما ؟

امرأة ٣ : لا. مأكولات. أغذية معلّبة. . . حلويات محشوّة. . . شوكولا. . . كانا يستمتعان بالأكل حتى التخمة. . . ذات ليلة، سمعتْ ضجيج الأواني. . . لقد كُسِرَتْ كومةُ الصحون كلها. . . وسال المُربّى. . . كانا يغسلان ويفركان. . . وهذا مع تشدّد آرائهما. . . إذ يعطيان دروساً للآخرين. . . أوه، هذا بشع (تتحدث بسرعة أكبر، مهتاجة جداً، لا تلتقط أنفاسها) والناس يصدقون. . . ويستمعون إليهما. . . «حنون»، دوبوي ! . . . أوه!

هي : أترين أنكِ تورّطتِ. يؤلمكِ هذا. لقد تملكتكِ عائلة دوبوي.

امرأة ٣ : تملكتْني ؟ أنا ؟ وما دخلي أنا ؟ . . . ولكنْ حين أُجبَر على سماع هذا. حنون! أوه، هذا كثير. منافق، هو. مستغِلّ. خائن. ويعطي لنفسه الحق في إعطاء الدروس. . . بينما هذه العائلة. . . دون أن

ندري . . . إلاّ أنه كان يجب البوح بهذا، يجب فضحها والتشنيع عليها.

هو : اهدئي. لن تتوصلي إلى ذلك.

هي : صدقيني، لن تكسبي إلاّ حرق الأعصاب أكثر وأكثر. كما لو أنكِ تقضمين أظافرك . . . تضغطين . . .

امرأة ٣ : مخادعون . . . أنذال . . .

هو : هيّا، هيّا . . . تمالكي نفسكِ. هذا صعب، أعلم ذلك، حين نكون موضع الخدعة . . .

امرأة ٣ : وأنتَ مَنْ تقول لي هذا؛ بدل أن تساعدني. ها هو مصدركُ الخفي . . . ما تشعر به . . . إنه هنا . . . أقبض عليه . . . خلف كومة الصحون، في صندوق المؤونة . . . كانا يلتهمان الأكل بشراهةٍ . . . في حين كان الجميع من حولهما . . .

هو، (حازماً) : تمالكي نفسكِ. يكفي هذا الآن. أنتِ تؤذين نفسكِ دون جدوى.

هي : تلك الجلسات التي نحزّ فيها قلوب تماثيل شمع لا تشعر. وبعدها، يا للفراغ الحاصل في كل مرّة، يا لخيبة الأمل . . .

امرأة ١ : نعم، مثل الاشمئزاز.

امرأة ٢ : بالتأكيد، كل هذه الحكايات . . . عن المربّى و«پاتّيه» الكبد الدسمة . . .

هي : نعود إلى النقطة ذاتها التي بدأنا منها.

رجل ٣ : حقاً؟ دون أي ارتياح؟

هي : لا، إطلاقاً. ما نعرفه هكذا . . . بالقال والقيل . . . لا ينفع بشيء.

هو : هذا آتٍ من الخارج كما تعلم إنه من الآخرين. لا يوجد أي علاقة مع ما يظهر... مع ما يخترقكَ... مع ما يَشعر به المرء... وهذا ما يثيركَ... كما يقف الشعر على السلسلة الفقرية للقط... دون أن تستطيع فعل شيء لمنعه...

هي : دون شيء يبرره... مع أنكَ قادر على ذلك... إذا سُمِحَ لكَ بذلك.

هو : إذا كان ذلك دون عقاب...

هي : أوه، هذا فظيع.

صمت.

رجل ٢ : إنهما محقان. أفهمهما. فالمُربّى وصناديق المؤونة لا تنفعهما في شيء.

هي : نعم، نعم. إنه هكذا تماماً. لا تنفع في شيء. أوه، أنتَ، أنتَ تفهم الأمر...

امرأة ٣ : لماذا؟ أهذا خطأ؟

رجل ٢ : بالطبع لا. من المحتمل أنه صحيح. ولكنْ، افهمي، ما يريد انه، هو دون معرفة أي شيء، فقط انطلاقاً مما يشعران به...

هي : نعم. انطلاقاً من هنا... من شيء لا معنى له، وليكن صغيراً جداً وتافهاً... فقط مع هذا الشيء... أن يستطيع المرء...

هو : أن يستطيع المرء من خلال حقه السماح لنفسه بـ...

رجل ٣ : حسناً، فليكنْ... سأعطيكما إيّاه. سأتقاسم معكما... أظنّكما ستكونان مسرورَيْن هذه المرة. فهذا ما يلزمكما بالضبط... إنه أفضل من كل ما تأملانه... أريد أن أعترف لكما أنني أيضاً...

أنّ عائلة دوبوي . . . أنا أيضاً . (موشوشاً ، بلهجة مَهيبة) . منذ وقت طويل أحسستُ . . .

هي : أوه ، أنتَ أيضاً أحسستَ؟

رجل ٣ : نعم . بشيء شنيع ، فظيع .

هي : أوه ، ما هو ؟

هو : ولكنْ ، اسكتي ، لا تقاطعيه .

رجل ٣ : لقد سبّبا لي إحساساً . . .

هي ، (بنَهَم) : نعم ، أليس كذلك ؟ هو إحساس . . . ما الذي أحدثه؟

رجل ٣ : أوه ، لا أعرف . . .

هو : ماهو؟ ماهو؟ ابحث!

رجل ٣ : لا شيء . لاشيء يمكن تسميته .

هو : ولكنْ ، مرّة أخرى؟

رجل ٣ : من الممكن أن يكون . . . أوه لا . . . ليس هذا أيضاً . . . بلى . . . من الممكن أن يكون شيئاً فيهما كحركة . . .

هي : نعم . كترنُّح؟ نراه ، عندها في أعماق عينيها . . . هناك شعلة صغيرة . . .

امرأة١ : نعم ، هذا صحيح . بريق صغير قاتل . . . رأيته أنا أيضاً . لها عينان كالزجاج غير المصقول . . . وكأنّ شيئاً يشتعل خلفهما أحياناً . . .

رجل ٣ : لا ، ليس هذا أيضاً . . .

هو : لا شيء إلاّ تلك الاهتزازات لهذه الضحكة الصغيرة التي يطلقها؟

امرأة ٢ : نعم . لقد لاحظتها أيضاً . ضحكة صغيرة مزيّفة تجعلكَ ضيقَ الصدر .

امرأة ١ : ضحكة باردة. . . ها، ها. . . تجعلكَ دائماً بعيداً وغريباً عنه. . .

رجل ٢ : هذا صحيح. يُخيَّل لنا أنه يصفعها في وجوهنا.

رجل ٣ : أوه لا، هذا فَجّ جداً.

هي : ولكنْ. . . أمِنَ الممكن هذا؟ أنتم أيضاً. . . انطلاقاً من أشياء كهذه. . . يّتا. . . يّتا. . .

هو : توقفي، سوف تخيفينهم. . .

هي، (مهتاجة) : يّتا. يّتا. ا. ا. . . رأسماليّتا. نقابيّتا. بنيويّتا. هذه الطريقة التي يستخدمها في لفظ يّتا. . . تنتصب النهاية. . . تندسّ. . . بعيدة جداً، دائماً بعيدة جداً، حتى القلب. . . وكأنها سمٌّ. . . يّتا. . . يّتا. . .

رجل ٢ : آه هنا يجب أن أوقفكِ. فهناك أمر واضح للغاية. . . واضح جداً. . .

هي : ماهو إذاً؟

رجل ٢ : تلك الطريقة في لفظ الكلمات المنتهية بـ«يّة» تفاجئكِ، أليس كذلك؟

هي : نعم. يّتا. . . في نهاية الكلمات. . .

رجل ٢ : ألا توحي بصورة القناة؟

هي : أوه لا، أبداً.

رجل ٢ : جيد، جيد جداً. أنا أفهمك. أنت لا ترغبين بها. سترين. . . سأخرجكِ من هناك. اتركي نفسكِ على سجيّتكِ. هكذا. . . تخلّي عن ذاتكِ. . . قولي لي إلى أيّ تداعيات يقودكِ هذا. . .

امرأة ٢ : إلى قناة باناما؟

رجل ٢ : لا أنا لا أمزح. . . قولي، دون تفكير، قولي إلى أيّ تداعيات.

هو : أترين، لقد حذّرتكِ. تدبّري أمركِ الآن.

هي، (مستسلمة) : قناة... نعم... ضيّق... عنق... يعبر... محيط...

رجل ٢ : جيد جداً. تابعي أعتقد أنني أرى الأمر واضحاً.

هو : لا. لا تستطيع أن ترى. ليس هذا هو المقصود. يّتا؛ المهم هو تا. ظلاميّتا. رومانسيّتا. لدوبوي طريقة في لفظ هذا...

هي : نعم هذا يثير عندنا... نتوصل للحظات إلى... لا بالتأكيد، أنتَ لاتفهم هذا...

رجل ٣ : اتركوا هذا إذاً. لسنا بهذا الصدد. أنتم تربكوننا. قناة أو غير قناة، لستُ بحاجة لكل هذا. كل ذلك عبارة عن ترّهات وزخارف وتزيينات جميلة لا أستخدمها.

هو، (دَهِشاً) : حتى ولا أشياء كهذه ؟

رجل ٣ : لا. لستُ بحاجة لشيء. لما يدعى لا شيء. ما أشعر به غير مرتكز على شيء... لا شيء يمكن الحديث عنه... وهذا ما قادني إلى...

هي : إلى ماذا؟

رجل ٣ : إلى جريمة. جريمة كاملة.

هي : جريمة؟ عائلة دوبوي؟

رجل٣، (موشوِشاً) : نعم، جريمة. من الممكن أن العائلة قد ارتكبتها منذ زمن بعيد. اقترفتها ببرود. لقد رأيتها في أحد الأيام كما أراكم الآن.

هو : ولكن على كل حال، ما الذي سمح لكَ بالتفكير؟

رجل ٣ : آه، ليس «سمح»، فهذا يقتل المرء. انسَ هذا. لقد أدركتُها بإحساسي، هذا كل ما في الأمر.

امرأة ٣ : هذه هبة لو تدري؛ إما أن تكون لدى المرء أو لا تكون. أعرف أناساً يملكونها. . .

امرأة ١ : إنها هبة العِرافة الحقيقية. . .

رجل ٣ : أرجوكِ لا تجعلي مني عرّافة. . . واضحة الرؤية للغاية. . . فأنتم جميعاً تستطيعون أن تفعلوا الشيء ذاته. . . يكفي التخلّص من بعض العادات. . . لا تهتموا بعد الآن بالإشارات الخارجية. . .

هو : ولا حتى بأقل إشارة صغيرة؟ أنتَ تبالغ في هذا.

رجل ٣ : ولكن لا. فالإشارات خدّاعة جداً. أنتَ تعلم تماماً أنه في الوقت الحالي يوجد آلاف بل عشرات الآلاف من القَتَلَة. . . يتجولّون في كل مكان. . . ويا لهم من قَتَلَة! لقد عذّبوا وأذلّوا وأبادوا مئات الآلاف. . . أمامهم، فإن عائلة دوبوي المسكينة عبارة عن قديسَيْن بسيطَيْن. . . وحين ننظر إليهما نُفْتَن برؤيتهما حقاً. . . ما مِنْ أدنى ارتعاش، ما مِنْ نبرة، ما مِنْ بريق. . . لا شيء. . . لا شيء. . . ضحكة طيبة صادقة، نظرة. . . لا أقول لكَ إلاّ هذا. . . تشعّ الطيبة منهما. . . الحقيقية. . . إنهما كريمان. أنتَ تعلم إذاً أنّ كل هذه الإشارات، بالنسبة لي. . . لا. لم أعرها اهتماما أبداً. وفي أحد الأيام، أصبح الأمر واضحاً لي كعين الشمس.

هو : ولكنْ، في كل الحالات كيف أصبح واضحاً؟

رجل ٣ : أصبح واضحاً. إنه هناك، دون أدنى شك ممكن. وسأقول لكَ ما هو أفضل. أحياناً أشعر أنهما يعرفان أني أعرف ذلك.

امرأة ٢ : أنهما يعرفان ذلك؟

رجل ٣ : نعم يعرفان ذلك. ولكنّهما يسخران من ذلك كما تعلمون. فلقد قَبِلا بما فعلاه بشكل نهائي. لقد أخذاه على عاتقهما بكامل حريتهما . . . إنه حِمْل ثقيل ذلك الذي قبلا بحمله. فهذه إذاً فيهما . . . قطعة حجرية إسمنتية ضخمة.

امرأة ١ : نعم، الآن . . . كأنها بندقية صيّاد على الشجرة . . . أنتم تعلمون . . . أنه على هذه الرسوم . . . لا مفرّ، فأنا أرى ذلك واضحاً. فيهما قطعة حجرية ضخمة ترهق كاهلهما.

امرأة ٢ : نُصُب حجري!

رجل ٢ : عائلة دوبوي ! ولكنْ هذا لا يُصَدَّق إطلاقاً ! هذا جنون تام !

رجل ٣ ، (فاقداً صبره) : تعلم جيداً يا عزيزي أنه في الحياة . . .

امرأة ٣ : ولكن بالتأكيد، هذه ليست حُجّة، كل الناس يعلمون ذلك : في الحياة، ما لا يُصَدَّق مُخبّأ في كل مكان . . . ماذا لو قلتُ لكم . . .

امرأة ١ : لا، مرة أخرى؛ حتى لا نبتعد عن الموضوع . . . (لِ رجل٣) : أيّ جريمة تعتقد؟

رجل ٣ : لا أدري شيئاً عنها. جريمة حقيقية. هذا كل ما في الأمر.

امرأة ١ : طفل . . . ذلك الابن الذي أنجباه. لقد لاحظتُ أنهما لم يتحدثا عنه أبداً.

امرأة ٢ : تماماً، ولا كلمة إطلاقاً.

امرأة ٣ : والدتاهما. لقد تأثرتُ جداً بهذا . . . بعد وفاتها . . .

امرأة ١ : لقد كانت تزعجهما . . .

هو (لِ) هي : كيف تشعرين ؟

هي : أوه، هناك ما هو أفضل . . .

رجل ٣ : ألستِ مسرورة؟

امرأة ١ : لا ؟ كنتُ أعتقد مع ذلك أننا مرتاحون . . .

امرأة ٢ : نعم . كلُّنا معاً . في الدفء . . .

رجل ٢ : كلّنا مجتمعون ؛ كلّنا سواء . كانتْ هناك عذوبة . . .

رجل ٣ : نعم ، أليس كذلك؟ انصهار . كنّا نتقاسم النقزز ذاته ، والرعب ذاته . . . وهذا دون الحاجة حتى إلى ظلّ . . . دون بريق في العيون . . . دون ارتعاشات . . . دون يتّا . . . ولكنْ ، يا إلهي ، ماذا يلزمكم إذاً؟

هي : ولكنْ ، افهمني . (تئن) . أوه لا ، هذا فظيع ، لا مفرّ . . .

رجل ٣ : لا . في الحقيقة ، أنا لا أفهم شيئاً .

هي : حاول مرة أخرى ، اشرح لهم . . .

هو : حسناً . . لقد تحدثتَ عن الزخارف والتزيينات . البريق ، الارتعاشات . . . الـ «يتّا» - بالنسبة لكَ ، هكذا كان الأمر . بالنسبة لنا - هو العكس : إنّ يتّا هي الأساس . إنّ يتّا هي المهمة . ليست الجريمة إلاّ تجميلاً . . . زيادة . . . لا فائدة منها . يتّا وحدها . . .

هي : يتّا . دون شيء آخر . يتّا . . . توقظ لدينا شيئاً ما . . . أنا قد أستطيع أحياناً وفقط من أجل هذا أنْ أصفّ أمام الجدار ، أنْ أنصب مشانق . . . أنْ أدمرِّ . أنْ أبيد . . . دون شفقة . دون رحمة . وهذا يمزّقني ، أتفهم؟ لا حقّ لي في ذلك ، فهذا مُخجِل .

هو : لهذا نريد محو ذلك ونسيانه . . . نحن مستعدون أن نكون أربعة أو عشرة . . . نحن مستعدون . . .

هي : نريد أن نحبهما، أتفهم؟ وحين نراهما . . . نستطيع ذلك، نحبهما . . . تنزلق يتّا علينا دون أن تخترقنا . . . ما تلبث أن تُحْدِثَ دغدغة . . .

هو : ومن ثمّ، حالما يذهبان . . . يتعمّق هذا؛ يصبح دائماً أقوى. إنه لا يُسامَح . . . فكرة أن تراهما فقط . . .

هي : آمل، أترصّد . . . أستعرض أحياناً مختلف الوقائع . . . كي أرى إن كان الحادث صدفةً . . . ولكنْ لا. إنهما دائماً على قيد الحياة. سيكونان دائماً هناك؛ إنه هناك رابض في مكان ما . . .

صمت قصير.

امرأة ٢ : أنا، والحق يقال . . . حين أسمع كل هذا! بصراحة، هذا بالنسبة لي غير مفهوم. بصدق، لا أستطيع أن أفهم هذا. يا لَلتزمُّت! يا لَلتقشُّف! إني أشفق لحالكم. أما أنا فالأذنان بعيدتان عن الرأس . . .

هي : الأذنان بعيدتان عن الرأس؟

امرأة ٢ : نعم. لقد سمعتِ جيداً؛ الأذنان بعيدتان عن الرأس. هذا كل ما في الأمر. وهذا يكفي. شرط لازم وكافٍ.

هي : أوه! ولهذا تسمحين لنفسكِ بالكراهية!

امرأة ٢ : الكراهية؟ أوه، لماذا هذه المشاعر العظيمة؟ هذا أمر متعِب. إنه شرف أكثر من اللازم. الأذنان البعيدتان عن الرأس . . . بعض الآذان البعيدة عن الرأس . . . أقصد البعض فقط، فهناك آذان وآذان أخرى . . . بعض الآذان . . . أعتقد أن شكلها يدخل في اللعبة أيضاً، ولونها وكما قلتُ لكِ، زاوية ابتعادها، كل هذا يسا . . . أن أحذف . . .

هو : تحذفين؟ كيف؟

امرأة ٢ : أوه، ضمن حدود الإمكانية، لا يوجد وسيلة لفعل غير ذلك : أُبقي حاملها بعيداً. حتى أنني لا أُبقيه بعيداً : إنني لا أراه. كما لو أنه لم يعدْ موجوداً. لماذا أتحملّه إن كان ذلك متعباً لي؟

امرأة ٣ : هذا صحيح، حين نفكر فيه. الآذان، وأصابع القدم. . . أحياناً تسبّب أصابع القدم أثراً. . .

امرأة ١ : نعم. قاطعاً.

هي : وإن كنتِ مجبَرة؟

امرأة ٢ : مجبَرة ؟ ولكن كيف ؟

هي : إنْ كنتِ في القسم ذاته، في المكتب ذاته؟ إن كان جارِك في قاعة المستشفى ؟ إنْ تقاسمتِ معه الحبس ذاته؟

امرأة ٢ : أتدبّر أمري. تقع عيناي عليه دون أن تراه.

رجل ٢ : نعم. هذا صحيح. كل الناس يفعلون ذلك. هو خارج الهدف. مطرود. محذوف.

هو : الإنسان كلّه؟

امرأة ١ : أوه، أنتَ تعلم . . . حين يكون للآذان أو لأصابع القدم هذا الأثر، فهذا يعني أنّ هناك شيئاً ما. . .

امرأة ٢ : من المحتَمَل. ولكني لا أضيّع وقتي في البحث. لماذا عليّ تعقيد الوجود ؟ أطرد هؤلاء الناس، وهذا كل ما في الأمر. أحذفهم؛ فيما يعنيني. سوف يوجد هواة في مكان آخر . . . فهناك الكثير منهم دائماً. . .

هي : ألا يزعجكِ هذا؟

امرأة ٢ : يزعجني؟ ولكنْ لماذا ياتُرى؟ أنا، كما تعلمين، لستُ ممَّن يفكر أو يعقل. . . أنا كائن غرائزي. . .

امرأة ٣ : كما هنّ النساء . . .

امرأة ١ : والفنّانون؛ وخاصة العظماء منهم. نعم. أصحاب الأمزجة الخاصة. . . الفاتحون. . .

هو : أتعلمين ما يحيّرنا؟ السبب هو أننا هيّابون ومتواضعون.

امرأة ٢ : تماماً.

رجل ٢ : ثم لستم منطقيين. تريدون ألاّ تثقوا إلاّ بما تشعرون به. لا شيء إلاّ بهذا. . . وحين يقودكم هذا. . . تجمحون. . . آه لا، ليس من هناك. . . فأنتم تخافون، لا حقّ لكم في ذلك. انظروا إليه : منْ لا شيء البتة، وهو منصاع، وصل إلى جريمة. . . ولمَ لا؟ أنه محق. . .

هي : جريمة حقيقية. هذا هو الحظ. جريمة. شيء عظيم. شيء توقعتْهُ كل القوانين. ولكنْ نحن. . . كما ترون. . . يتّا. . . لا تُفْضي أبداً إلى أشياء كهذه. . .

هو : يتّا. . . حين نتبعها حتى منبعها. . . فهذا يقودنا. . .

هي، (بصوت خفيض) : إلى ما لا يوصَف. ما ليس له اسم. ماهو غير متوقع في أيّ مكان. ما لا يمنعه شيء.

هو : شيء ما ينزلق. . . يتسرّب بين أصابعكم. . .

هي : نلتقطه للحظة. رومانسيّتا. رأسماليّتا. نقابيّتا. بنيويّتا. إنها تلك النهاية المكوّنة من يّة. يجعلها تنتصب. . . كما هو ذنَب العقرب. فيلسعنا. . . ويسكب فينا سمّه. . . كي يعاقبنا. . . فقط لأجل هذه الكلمات. . . من أجل نهاياتها. . .

هو : يحاول بتكتُّم أن يحطّم فينا. . . أوه، هذا لا معنى له أبداً، هذا جنون أكثر من اللازم. . . وكأنه نقطة حيوية فينا. . .

هي : خفيةً، في السرّ، دون أن يرى أحد أو أن يعرف بذلك.

هو : ومِنْ خلالنا، يصيب هدفه... يعبث... بشيء ما...

هي : بجميع ما يكرهه بكل قواه... بكل ما يكرهانه كلاهما...

هو : إنها طريقة في الوجود... طريقة في التفكير... (باختناق). الفكر... يريد ان تسطيحه... إذلاله...

هي : دون أدنى عقاب. دون أن نبدي حراكاً... دون أن نجرؤ أبداً... نعامل أنفسنا كمجانين...

هو : وما مِنْ أحد! ما مِنْ أحد يساندنا.

رجل٢، (ضاحكاً) : ألم تحاول أبداً أن تحدّثه بذلك؟

هو : أحدّثه بذلك؟ لِدوبوي؟

رجل ٢ : لو كنتُ مكانكَ، لأمسكتُ الثور من قرنَيْه، لا شيء إلاّ لأرى ما يحصل: كنتُ سأقول له: يّة وليس يتّا يا صديقي العزيز. يتّا تسبّب لي صدمة.

هي، (ضاحكة) : أن أفكّر في هذا مجرد تفكير، تصيبني ضحكات عصبية. ألا يعطيه هذا الحق في الاتصال بشرطة النجدة؟ في اقتيادنا إلى المشفى؟...

هو : بالتأكيد. إلى مشفى متخصص... (ضاحكاً) لا، أنتَ لا تفكر بذلك...

رجل ٣ : إنهما محقان. في حالة قوانيننا، سيضربان مسبقاً. ما يلزمهما...

رجل ٢ : كنتُ أفكر بذلك. لديهما حسّ قويّ جداً... لديكما حسّ قوي جداً بالشرعية اللازمة لكما...

هو ، (بصوت أكثر انخفاضاً) : كان لابدّ من أنّ هذا ، من أنّ هذه الطريقة فقط
في العبث ، في التوسيخ . . . تلك النبرة فقط . . . من أن يسقط هذا
تحت ضربات قوانيننا .

هي : نعم . فقط هذه الحركة المتكتّمة للوصول إلى الهدف ، للتدمير . . .
فقط هذه الحاجة للأذى . . . من أجل هذا فقط ، وبموافقة الجميع ،
يجب التقاطهما . . . إيقافهما . . .

هو : إجبارهما على الاعتراف . . .

هي : أوه ، يا للراحة في هذه الحال . . .

هو : نعم . إخراج هذا منهما . . . نشره في وضح النهار . . . تجفيفه . . .
حرقه . . .

هي : سيكون كل شيء طاهراً . سيكون كل شيء نقياً . هما . نحن .
نستطيع حتى أن نتسامح . . .

امرأة ٣ : نتسامح ؟ لا ، أظنّكِ هنا تخطئين . قد يظهر ذلك في مكان آخر . يتّا
تلك قد يُستعاض عنها بسرعة بشيء آخر . صدقيني ، سترين شيئاً
آخر قد يظهر . . .

امرأة ١ : هذا صحيح . تلك الأشياء ، تسدّين فتحتها هنا فترشح من هناك .

امرأة ٢ : أتعتقدين ؟

امرأة ١ : أنا مقتنعة بذلك . إنه كخلايا الأورام التي تنتشر سريعاً عند المصابين
بالسرطان . . . يتّا – ما هي إلاّ إشارة فقط ؛ عَرَض مرضي .

هي : نعم . يتّا . . . يتّا . . . كالبَثرة التي تنبئ عن الطاعون . . .

امرأة ٣ : كالنقص الصغير الوحيد في اللّياقات الذي يسمح ، وحده فقط ،
بالكشف عن غياب التربية . . .

امرأة ١ : نعم، نعم. الذي يسمح على التوّ بالتصنيف، دون أدنى مخاطرة في حدوث الغلط . . .

هو : إنه لكذلك، إنه لكذلك، أنتِ محقة. بالتصنيف. بالترتيب على حدَة. في مجموعة مغلقة. في قفص. ونحن في الخارج. في سجن.

هي : ونحن. . . نحن، نراقب من خلال الكوّة. المذنب هناك، حليق الرأس، مرتدياً لباس السجن الموحَّد، يحمل رقماً. وماذا فعل؟ لقد قال يّتا وهو يصرّ على الـ «تا». يقولها للتدمير، للقلب رأساً على عقب. . . ومن الآن فصاعداً سيعاقب - شرعياً. يّتا - فقط من أجل هذا. لا حاجة لإثباتات أخرى. لا تختبئ. لا تحاول الهرب. لقد أُمْسِكَ بكَ. لقد عُرِفتَ. لقد عرفناكَ. أنتَ العدو. لقد تجرأتَ. . . في الخفاء، كما تفعل دائماً، معتقداً أنك في مأمن. . . إنها أشياء كنتَ تفعلها في الماضي، هيه؟ حين كنتَ تعتقد أن كل شيء مسموح؟ ولكنْ الآن- كُشِفَ الأمر، كل هذا أصبح معروفاً ومُصنَّفاً ومُسَمَّى. إنه الشرّ. أنتَ الشرّ.

هو، يضحك بهدوء.

هي : لماذا تضحك؟

هو : أنتِ تسلّيني. تذكّريني بالضفدع. أنتِ هنا لتنتفخي. . . وقد يكفي أن يكونا هنا أمامك. . . أنتِ بدور الجلاّد والقاتل. . . هذا مضحك. . . حين يكونان هناك. . . إذا تجرأ معهما أحدهم فقط. . . ويبدأ بالموضوع من لا شيء. . . حتى ولا من يّتا واحدة. . . ستكونين هناك للتدخل. . . الأم الحاضنة الحقيقية. . . ليس أمامي أنا، لن أسمح بذلك. . . هذا مخجل. . . إنهما طيّبان

جداً ولُطيفان جداً. . . (مقلِّداً إياها) «هما صديقانا، لا تنسوا ذلك. . . أتذكر حين كنا نتنزّه على ضفاف المياه؟ فتدلّى. . . بحماسة شديدة. . . كان ذلك كالورع. . . دون أن يجنيه. . . للتأمّل فقط. . . أتذكر؟ . . . لا شيء سوى لهذا. . . ».

هي، (حزينة) : نعم. كنتُ أحبه.

رجل ٢ : أَحبِّيه إذاً.

هي : نعم، نعم، أشكركَ على هذه النصيحة. . . ولكني قلتُ لكَ هذا بالضبط من قبل. . . حين أظن أنني توصّلتُ إلى ذلك، فجأة، وكأنها رائحة ما، تتسرّب منهما نفحة لشيء مقرف. . .

امرأة ٢ : أترين جيداً الأذنين البعيدتين عن الرأس - إنها رائعة. لها فعالية مضمونة. الأذنان - أو أصابع القدم - إنها من الطراز الأول. هذا لا يُنكر. هذا واضح. لا شيء يستطيع حذفهما. ولا أيّ رحمة. ولا أيّ حنوّ. ولا أيّ وردة ربيعية صغيرة. والآذان وحدها توقظ، لدى مَنْ عندهم هذا الحظ، شيئاً صلباً وواضحاً، شيئاً نقياً. أؤكد لكِ أننا حين نشعر بهذا، نشعر أننا أنفسنا مصنوعون من مادة لا يشوبها الخليط.

امرأة ١ : هذا صحيح : وكأننا قطعة من الماس. . . وعلى العكس، فإن حاملي الآذان البعيدة عن الرأس. . .

امرأة ٢ : بهذا فقط - دون يّتا، دون أي شيء، دون أن يعرفا بذلك هما بالذات. دون الحاجة إلى اتهامهما، دون الحاجة إلى إرغامهما على الاعتراف. . .

رجل ٣ : كلّ، كلّ، كلّ ما قد تشعرين به مبرَّر. كلّ الـ يّتا، كلّ النبرات. . .

هي : نعم، أرى هذا بوضوح. ولكنّ عائلة دوبوي ليس لديها الآذان البعيدة عن الرأس. ومن ثمّ نحن، هيه؟ الآذان البعيدة عن الرأس لا تعنينا في شيء.

هو : لا. لا شيء حقاً. هذا لا يضرّني ولا ينفعني.

امرأة ٢ : يوجد غير هذا إذا لاحظتم. لقد أخذتُ مثالاً عن الآذان البعيدة عن الرأس لأنني كنتُ أفكر بأحدهم... ولكن الشفة العليا الطويلة أكثر من اللازم مثلاً... بالنسبة للبعض...

امرأة ١ : نعم. بالنسبة لي أنا أقرف من هذا.

امرأة ٣ : أو الفكُ السفلي المتقدِّم... هكذا... أترون... لابد من القول إنني.. بررر... أنتم لا؟ لا؟ لا شيء مشابه؟

هي : لا. بصراحة... تقريباً لا شيء. لا أستطيع القول إنني أعشق هذا... لكنْ... وأنتَ؟

هو : ولا أنا بالطبع. ولكن هذا خمول، هذا جمود... ليس فيه شيء من الضغينة... لا شيء يشابهه...

رجل ٣ : إلى الـ «يتّا» تلك؛ أؤكد لك أنّ هناك نقطة...

رجل ٢ : كنتُ أؤكد لكَ ذلك. كنتَ تسخر مني حين كنتُ أحاول تهدئتهما...

امرأة ١ : آه نعم، بقناة باناما...

هي : لا، لا، ليس هذه!

رجل ٢ : أسمعتموها؟ يا لَلحدّة! يا لَلمقاومة! صدقيني، هناك هو المنبع. أما بالنسبة لي... كلما راقبتهما، كلما ازددتُ اقتناعاً بذلك. دون أدنى شك محتمَل: الشرّ هناك.

هي : اسمع : رومانسيّتا. رأسماليّتا. نقابيّتا... تا... تا... إنه يصفق... إنه يصفق بين شفتيه...

هو : يستمتع بتذوق هذا... تتـ، هذا طيّب يتّا.

هي : هذا ينزلق... كحافة عشبة قاطعة...

هو : يتّا. يتّا...

هي : هذا يقطعكَ... هذا يخترقكَ في العمق...

هو : ومِنْ هناك... ولكن كيف لا تشعرون به؟...

هي : حاولوا، أرجوكم، قولوه هكذا بإصرار... يتّا... يتّا... أتشعرون؟

امرأة ٣ : نعم، من الممكن، ولكن بكثير من قوة الإرادة...

رجل ٢ : كثيراً في الحقيقة. أنا أعترف أنه فيما يخصّني... نقابيّتا، بنيويّتا. لقد رددتها جداً لنفسي... يتّا. يتّا... من الممكن... نعم، إذا أردنا... هناك في الحقيقة...

رجل ٣ : نعم، أرى هذا...

هي : أوه! أهذا ممكن؟ أترى؟

رجل ٣ : أو... أو... نعم... بالرغم من أنه والحق يقال...

هي : والحق يقال؟

رجل٣، (متردِّداً) : لا... لا شيء البتّة... إنه حقاً... لا... إنه حقاً ما يدعى لا شيء.

مسرح
ناتالي سارّوت

هــذا جميــل

ترجمة: ريم منصور الأطرش

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية :

C'est beau

هذا جميل

هو : هذا جميل، ألا ترين ذلك؟

هي، (مترددّة) : نعم . . .

هو : ألا ترين أن هذا جميل؟

هي، (وكأنها مكرَهة) : بلى . . . بلى . . .

هو : ولكنْ، ما بكِ؟

هي : لا شيء البتّة. ماذا تريد؟ تسألني . . . وأجيبكَ بنعم . . .

هو : ولكنْ بلهجة عجيبة . . . برؤوس الشفاه . . . كما لو كان تنازلاً عظيماً. (قلقاً) : ألا تحبين هذا ؟

هي : بلى أحب، قلتُ لكَ هذا . . . ولكنْ بالذات الآن . . . ألا تريد أن تفهم أبداً . . .

هو : لا، في الحقيقة، أنا لا أفهم . . .

الابن : أوه أَنْصِتْ، لماذا التصنّع ؟ أنتَ تعرف جيداً أنكَ لن تنال شيئاً أكثر من ذلك . . . إن كان برؤوس الشفاه . . . أو بصوت باهت . . . لا شيء أكثر . . . لا شيء، أنتَ تعرف جيداً . . . بما أنني هناك . . . ولا أحتاج حتى لأن أظهر، لا حاجة لأن أعطي أي إشارة : (كوكو) ها هو . . . يكفي أن أكون خلف الجدار . . . محبوساً في

غرفتي . . . حتى خلف جدار من البيتون، فوجودي وحده كافٍ لكي لا تخرج جملة : « هذا جميل» . . . كما ترغبُ أنتَ . . .

هو : ولكن ماذا دهاكَ ؟ عماذا يتحدث ؟ هل أصبح مجنوناً ؟

الابن : مجنون! . . . أنا ؟ آه دائماً ردّات الفعل ذاتها للدفاع، المخارج ذاتها، والتمويه ذاته . . . لتخدع مَنْ ؟ لنعاود الكرّة إذاً . . . حتى نرى . . . سأذهب إلى غرفتي . . . وأنتَ ستكرّر هذا، ستقول كما قلتَ قبل قليل : « هذا جميل، هيه ؟ ألا ترين ذلك ؟».

هو : أنتَ تسخر مني! . . كيف تجرؤ ؟ يا لكَ من ساقط . . .

الابن : آه هاكم، هذا معد، عاودكَ الأمر أيضاً . لقد أحسستَ به . . . أنت تتراجع . لا تجرؤ . تنحشر الكلمة في حلقكَ . . . « هذا جميل . جميل . جميل . كم هو جميل» . مستحيل، هيه ؟ لا تستطيع . . .

هي : هذا صحيح، إنه محق . أنتَ ترى جيداً . . . أنتَ أيضاً لا تجرؤ . . .

هو : لقد أصبحت مجنونة أيضاً . لا أجرؤ . لا أستطيع القول : هذا جميل، أمامه . لأنه هنا، هذا الغبي الصغير . نعم! جميل . جميل . جمال كامل . جميل حتى الرّهبة . جميل .

هي : أوه، توقف، أتوسّل إليك، اخرس .

الابن : آه، سماعه فقط يفوق ما تحتمله . هذا يسخّنها، أليس كذلك ؟ ترغب في سدّ أذنيها . . . في الاختباء . . .

هو، (مستيقظاً) : ولكنْ ما الذي يحدث ؟ أين نحن ؟ ولكنْ ما الذي تقوله ؟ مَنْ «هي» أولاً ؟ عمَّنْ تتحدث ؟ هيا، إليك عنا، "إفرنقع"، أنتَ تزعجنا . هل كتبتَ وظائفكَ ؟ أتذكَّر أن لديكَ موضوع إنشاء ؟

الابن : نعم، بابا . كدتُ أنتهي . . . لم يبقَ لي إلاّ نهاية عصر التجديد .

ضجيج إغلاق الباب .

هو ، (يضحك) : أرأيتِ ؟ مَنْ هي؟ مَنْ هي ؟ قلتها بحزم ، وهاك ، لقد ارتدّ.
هذا ما يسمّى بإعادة الشيء إلى مكانه . المكان الذي لم يكن أبداً ليتحركّ منه لو كان تعامله ينحصر معي فقط . ها هو مسجون هناك وراء ثلاثه أقفال . . . ولكنْ أنت . . .

هي : بالتأكيد ، من المعروف أنها غلطتي دائماً . . .

هو : لم أقلْها ، أنت التي قلتها . والبرهان على ذلك . . . مَنْ قال : « مَنْ هي؟ » ، أهي أنتِ أم أنا ؟ كنتِ هنا ، واهنة القوى . . .

هي : هذا صحيح . أتريد أن أقول لكَ : لقد أُعجبتُ بكَ . لقد أُعجبتُ بشجاعتكَ ، بقوّتكَ . . .

هو ، (متغطرساً) : أوه لا تبالغي أبداً . أنا طبيعي ، هذا كل ما في الأمر . . .

هي : هذا لا ينفي أنه في لحظة ما تخاذلتَ ؛ لقد خفتَ أيضاً ، اعترفْ بذلك .

هو : خفتُ؟ أنا ؟ أنتِ تحلمين . . .

هي : ولكنكَ بهذا لم تفعل سوى أنكَ استحققتَ فضلاً أكبر كما تعلم . . . مَنْ لا يخاف . . . ولكنكَ أنتَ . . . لقد رأيتُه قبل قليل حين وضعكَ أمام التحدي . . . حين غضبتَ . . . كان يلزمك جهداً كبيراً لذلك .

هو : آه هذا ، لا . ولا أقلّ جهد . لقد قلتُهُ له وصرختُ في وجهه : هذا جميل . جميل . جميل . جميل . . .

هي : نعم ، قلتَه . . . بقوّة كبيرة . . . بقوّة أكثر من اللازم . . . لقد كان في ذلك تجاوز وتشنّج . . . أنتَ ترتجف أيها الهيكل العجوز . . . وبالرغم من هذا ، بالرغم من التيار ، من الهواء العنيف جداً . . . فقد تشبّثتَ . . . جميل . جميل . جميل . . . بكل ما أوتيتَ من قوّة . . . أوه ، كان هذا فظيعاً . . . كنتُ أرغب في سدّ أذنيّ ، في

الاختباء بعيداً عنكَ، كنتُ مستعدةً للإنكار . . . بينما وفجأة . . .
كيف وجدتَ هذا ؟ يا لحضور ذهنكَ . . . كان يجب التفكير بذلك . . . في لحظة مماثلة . . . التمسك بهذا : « مَنْ هي ؟ مَنْ هي ؟ » مدهش . . . أين وجدتَ هذا الحل ؟ كان بعيداً جداً . . . « مَنْ هي ؟ » . . . وأن تتجرأ وتلوّح به ثم تطلقه . . . لا ، حقاً أنتَ رائع .

هو : أعترف أنه في النقطة التي وصلنا إليها . . . التي وصل هو إليها ، هيه ؟ كان لابد من فعل ذلك . . . لو سمعت رأيي . . . حين لم يفت الأوان بعد . . . أتذكرين ، كنتُ أقول لك ذلك ، أتتذكرين ؟ . . . الكلمات الممنوعة ؟ . . . كلمات لم يكن من حقّنا استعمالها . . . على كلٍّ لابدّ من القول إنني أنا نفسي . . . يا إلهي ، كم كنّا حمقى . . .

هي : أوه لا أدري . . . الآن أيضاً ، هناك كلمات مثل تلك . . . قد لا أستطيع . . .

هو : نعم ، الآن . . . ولكنْ تذكّري ، حين كان مُستهلاً صغيراً ، مبلّلاً تماماً ، مجعّداً تماماً . . . لو قُتِلْتِ لما استطعْتِ ، لما تجرّأتِ أبداً أن تلفظي . . .

هي : نعم . أن أقول لأيٍّ كان ، حتى له : «ياصغيري» . أو أسوأ من هذا أيضاً : « يا صغيري الوديع » . هذا صحيح . كنتُ أُصدَم بهذا ؛ ويبدو لي كما لو أنني أقول . . . كما لو أنني أقول : «يهودي ؛ عربي ! » . كما لو أنني أقول «النساء ! » مستحيل . لامجال للنقاش . كان لابد من مساواة كاملة . . .

هو : مساواة كاملة ، أنتِ تمزحين ! مساواة . . . تريدين المزاح . كان عليكِ أن تتحدثي عن التعالي . فهو أعلى منّا . . . كل شيء يعتمد على

الافتراضات المرهفة وعلى الاحتمالات . . . لم يكن هناك إلاّ ورطة الاختيار . كان ما يزال سليماً . قبل الخطيئة . الخطايا . . .

هي ، (متنهّدة) : نعم . . . قبل أن نشوّه كل شي ، ونضيّع كل شيء . . .

هو ، (ساخراً) : نحن ؟ آه لا . لسنا نحن . لستُ أنا . لستُ أنا مَنْ وضعه في قماط كما تُقَمَّط الرزمة . لستُ أنا مَنْ لم يكلّمه بشكل كاف حين كان يغيّر له قماطه ، ولم يدغدغه ولم يقبّله . . . لستُ أنا مَنْ جعله ينتظر رضعته . . .

هي : أوه هذا غير صحيح ، كنتُ دائماً أُسرع . . .

هو ، (بصوت مخيف) : لا تنكري . كم مرة سمعتُه يزعق . . .

هي ، (قلقة) : ليس من أجل هذا . . .

هو ، (هازئاً) : إذاً . . . ليس من أجل هذا . وحين كانت السيدة تنسلخ عن أحاديثها الممتعة . . . ولكنّ الأوان قد فات . . . الكبت . . . وكل نتائجه . . . مازلت تستطيعين اعتبار نفسك سعيدة . مازال هذا يُعتَبر شيئاً بسيطاً . نستطيع القول إننا نجونا . . . كنّا محظوظَيْن . حظ . . . كما قد يمكنه القول . . .

هي : أوه نعم . هذا صحيح . حظ كبير ؛ فيما لو فكرنا فقط بما كان من الممكن أن يحدث لنا . . .

هو : ألأنّ هناك ما هو أعظم ؟ خطايا أخطر ؟ . . .

هي : أوه ، لا . . .

هو : ولكن بلى . قولي ذلك . منذ زمن وأنا أشعر أنكِ تخفين عنّي شيئاً ما . اعترفي . سيريحك هذا . وأنا أيضاً سيريحني . سوف أستطيع فهم تسامحكِ بشكل أفضل . . . سأغتاظ من ذلك بأقلّ مما أنا فيه الآن . . .

هي ، (حازمة، متحاملة على نفسها) : لا . . . لا شيء أبداً . . .

هو : هيا، ابذلي جهداً. سترين، سوف تشعرين بتحسّن. لن يكون هذا مخيفاً. . . هيا، سأساعدك. . . لقد أردتِ تعليمه النظافة ؟ فأجلستِه على الوعاء . . . وأطلَقتِ صفيراً . . .

هي، (مرعوبة) : أوه، هذا لا . يا لها من تصوّرات . أنتَ تذكر جيداً . . .

هو : هذا صحيح، أنا أذكر . . . من الممكن أنك أخرجتِ من فمه . . . حين كان نائماً . . .

هي : إبهامه ؟ ولكنكَ مجنون . أنتَ تعرف تماماً أنه لم يحدث هذا أبداً .

هو : ماذا حدث إذاً يا حبيبتي . لا تعذّبيني . قوليه . . . لنتحمّل هذا معاً . . . قولي ، ما هو ؟

هي ، (بصوت منخفض) : حسناً، قبل ولادته . . .

هو : أوه . . . قبل ولادته . . .

هي ، (بحرارة) : ولكننا الآن نعرف أن هذا يؤثر . لقد قيل لي ذلك . أناس مؤهَّلون . لقد قرأتُ ذلك . بُرهِنَ عليه علمياً . كل شيء يمكنه أن يرجع إلى هناك . . . كل الخطايا . . . الإجرامية . . .

هو : أي خطايا ؟ ماذا فعلتِ ؟

هي : أوه ، هذا مفزع جداً . . . حين كنتُ حاملاً به . . .

هو : في أيّ وقت ؟ في أيّ شهر ؟

هي : كان في بداية الحمل تماماً . . .

هو ، (مرتاحاً) : في بدايته تماماً . . . يجب ألاّ تبالغي . . . إنه بالتأكيد أقلّ خطورة . . .

هي : لا ، تصورّ . هناك مَنْ يقول بأن الأمر خطير حتى قبل ذلك أيضاً . . .

هو ، (بنبرة حازمة) : هذا لا . أنا لا أعتقد بهذا .

هي : باختصار لا يهم . أنا ، حين «تكوّن» . . . في حالة تكوّن الجنين . . . في أحد الأيام . . . راودتني . . .

هو : ماذا إذاً ؟

هي : لن أسامح نفسي على هذا أبداً . لقد تملكتني فجأة . فكرة مرعبة . . . فجأة . أوه ، هذا مخيف : لم أكن أريده .

هو : أوه مجرّد فكرة . . .

هي : ليست مجرّد فكرة . ليست فكرة تخطر لك بسرعة فقط . . . ولنفرض هذا أيضاً ، كيف تعرف الآثار . . . ولكنني كنتُ (زمن) . . . أصل إلى حدّ البكاء . . .

هو : أوه !

هي : نعم . دموع حقيقية انهمرت . تصورّ ! الاضطراب بالنسبة له . الصدمة . . .

هو : يا للفظاعة ! كل تلك التمثيلية . . . حين أفكر بها . . . نشوتك حين كنت تشعرين به يتحرك . . . ملامح الغبطة تلك . . . كل هذا كان مزيّفاً ! . . .

هي : أوه لا ، لا تقل هذا . كان حقيقة . كنتُ سعيدة ، سعيدة ، سعيدة ، سعيدة ! حدثتْ فقط فجأة ، ولا أدري كيف . . . تلك اللحظة المرعبة . . . كل مرّة أفكر بها من جديد . . .

هو ، (بارداً) : على كل حال ، ما الفائدة ؟ من الأفضل نسيانها . ما حصل قد حصل . الآن لن تغيرّي في الأمر شيئاً . إنه هناك ، كما هو ، مسجون وراء ثلاثة أقفال . بليد . (حانقاً أكثر فأكثر) : محدود . « عمليّ » . آه إنه ليس «حالماً» . ليس «هاوياً» : بلا أدنى خطر . . . الرسوم

المتحركة الهزلية . . . رجال الشرطة . . . صناديق الموسيقى . . . المباريات . . . إنتاج جميل . مرحى . متى يكون هنا لا نستطيع قول « هذا جميل » . . . لا نجرؤ على الاستماع لأسطوانة . . . نخاف . . . ويجب تحمّل هذا . . . أتريدين أن أقول لك ؟ لا يوجد إلاّ وسيلة واحدة . . .

هي : لا . إلاّ هذا ، لن يفيد في شيء . أنتَ تعرف جيداً أننا لن نقدر على ذلك . . . إنه أنتَ مَنْ سيسرع لتنبيهه . . . وسيعود كل شيء إلى سابق عهده .

هو : أبداً ، أتسمعيني . أبداً . ليذهب إلى آخر العالم . ليُسجَن . . . في بيت للإصلاح . ليختفِ . . . إلى الجحيم .

زمن .

هي : أوه بالرغم من هذا . . . حين نفكر به . . . أن تسمع : ليختفِ . . . هذا قوي إلى حدّ ما . . . أي نعم ! . . . ستصدقني إن أردتَ ذلك . . . فنحن نتحدث بهذا الأمر .

هو : ماذا تقولين ؟ إلى مَنْ تتكلّمين ؟

هي : اخرس . . . نعم : «ليختفِ . إلى الجحيم . . . » (بصوت ليس صوتها) : ولكن لماذا ؟ ماذا فعل ؟ هل هو قاتل ؟ (صوتها) : أوه لا . . . لا يستطيع إيذاء ذبابة . (صوت غريب) : هل هو سارق ؟ (صوتها) : أوه لا . . . الأمانة بذاتها . . . (صوت غريب) : كاذب؟ (صوتها) : لا . (صوت غريب) : منحرف ؟ (صوتها) : لا ، لا . (صوت غريب) : كسول ؟ . . .

هو : ماذا قلتِ ؟ سمعتُ كلمة «كسول» . ألم تقولي هذا ؟

هي ، (بتحدٍ) : بلى ، قلتُها . «كسول» . ولمَ لا ؟

هو : أوه ياحبيبتي المسكينة . . . أيجب أن تتعذبي . . . هاكَ إلى ماذا وصلتِ . . . هاكِ إلى ماذا دفعكِ هذا الساقط . . . إلى التنازل . . . التذلّل . . . إلى الانحطاط . . . التراجع . . .

هي : اصمتْ . قليلاً من التواضع أرجوك . قليلاً من الخشوع . حين يأتي المرء إلى هنا للمشورة ، فلا بد أن يترك ادعاءاته عند الباب . . . قلتُ : «كسول» . ترون سيداتي وسادتي ، كل شيء يكمن هنا . إنه لا يحتمل كلمات كهذه . «كسول» ممنوع . . .

صوت : كسول ؟ ممنوع ؟

هي : نعم . . . أتسمعون ؟ كَسـ - لا - ن . هذا مقبول . هذا نبيل . فيه تهوية وعجرفة . كَسـ - لا - ن . كم هذا جميل . كسول بشع . كَسـ - لا - ن جميل . جميل . جميل . كل الأمر يكمن هنا . . . كله . . . لن تعرفوا إلى أين يمكن أن يؤدي هذا . . . احتقاره واستبداده . وحين لا يستطيع الصغير المسكين تحمّله . . . حين ينحرف . . . فإنه هو ، أبوه ، يصل إلى حدّ أن يتمنى . . . أوه ، ساعدوني . . .

صوت : آه ، كم هو مأساوي رؤية هذا . نعم ، كم هو مأساوي . . . أن يريد طرد هذا الطفل المسكين . . . أن يصل إلى هذا الحدّ . آه ، من الممكن فهم ذلك إذا كان ضالاً . . .

هي : ولكن لا ، إنه ليس كذلك .

صوت : من الممكن فهم ذلك إذا كان قاطعَ طريقٍ ، قاتلاً .

هي : لا .

صوت : على افتراض أنه يتعاطى المخدرات . . .

هي : ولكن لا .

صوت : من الممكن فهم ذلك أيضاً إذا كان يحمل التعاسة . . . من الممكن فهمه إذا كان ولداً ناكراً للجميل . . .

هي : ولكن لا .

صوت : على افتراض أنكما عجوزان .

هي : ولكن لا .

صوت : على افتراض أنكما دون موارد وهو يمنع عنكما الطعام . . . كما نرى حالات كثيرة في أيامنا هذه . . .

هو : هل سيستمر هذا طويلاً ؟ كفى . . . لم أعد أحتمل . توقف . . .

هي ، (بصوت خفيض) : انتبه ، ماذا تفعل ؟ اخرس . بالأخص يجب ألاّ تقاطعه . لابد أن يستمر هذا . صبراً وسترى . . .

هو : لا أستطيع ، هذا فوق ما تحتمله قواي . هذا يسبّب لي الدوار ، إنه يسبّب لي الغثيان . . .

هي ، (بصوت منخفض) : ولكن اخرس الآن . (بصوت عال) : استمر ، لا تهتم . . . أنتَ ترى أنه حسّاس جداً . . . متطلّب جداً ، ودائماً فاقد للصبر .

صوت : آه كم هو مأساوي رؤية هذا . على افتراض أنه غير مستقيم . . .

هي : لا .

صوت : على افتراض أنه مستهتر . . .

هي : لا ، لا .

صوت : على افتراض أنه كسول . . .

هو : أوه . . .

هي : لا . إنه ليس كسولاً . فهو يعمل . . .

صوت : إنْ لم يكن تَعِساً، ولا مستهتراً ولا سارقاً ولا كاذباً ولا غير مستقيم ولا يتعاطى المخدرات ولا كسولاً. آه هناك مَنْ يُسْعَدُ به لو كان مكانكما. ومَنْ يفخر. مَنْ يكون شديد السعادة. مَنْ لا يأمل أكثر من ذلك. . . فكّرا إذاً خلال الزمن الذي يمضي سريعاً. . . بالشبيبة التي نراها في هذه الأيام. . . بكل هؤلاء الذين لا يصلحون لشيء. . .

هو : أوه. . . كفى. أستسلم. أتنازل. . .

هي : أنت غير معقول، انتظر. يجب ألاّ تستعجل شيئاً. . . سترى. . . سوف يأتي هذا. . .

صوت : أن يقال هناك مَنْ لديهم هذا الحظ. . . صبي مهذّب. . . صبي جدّي. . . صبي شغِّيل. . .

هي : أوه نعم، حتى إنه سابق لسنّه.

صوت : إنْ لم يكن مخجلاً. . . أيجب أن يكون الأولاد مدلّلين. . . أيجب أن يكونوا فاسدين. . .

هي، (منتشية) : أوه نعم، أليس كذلك ؟

صوت : شغِّيل. . .

هي : هذا، نعم. . .

صوت : اسمعي هذا. . . حين أفكر بكل مَنْ يعطون أي شيء. . .

هي : نعم من تلك الجهة. . . هيه ؟ أنتَ تعترف بذلك.

هو : نعم، بالنسبة للعمل المدرسي. . . هذا صحيح.

صوت : العمل المدرسي! . . . وكأنه غير محسوب. . .

هو : نعم، بالتأكيد، هذا محسوب. . .

صوت : إذاً، ماذا هناك ؟

هو ، (متردداً) : هناك . . .

صوت : ماذا ؟

هو ، (عذباً وليّناً) : لا ، لاشيء هناك . . . لا شيء . . . هذا صحيح . لا شيء يستحق القول . لا شيء يستحق إشغال البال . لا شيء يستحق تفلية الموضوع . لا شيء يستحق العقاب . . . إننا نحن . . . نحن . . . نحن مدلَّلون . . . فاسدون . . . نحن مجانين .

هي : آه ، أترى يا حبيبي!

صوت : انتبه ألاّ تعاقبكما السماء . إنْ وصل ، لا سمحَ الله ، لنمسك الخشب . . . حين ستعودان إلى التفكير بذلك . . .

هي وهو : أوه نعم ، لا سمح الله . . .

صوت : آه أرأيتما . . . ها أنتما تجرّبان الحظ والنصيب . . .

هي وهو : أوه لا .

صوت : لا تقدِّران سعادتكما . . .

هي : ولكن بلى . . .

صوت : بالتأكيد . . . لمن تقولين هذا ؟ أنتما فخوران جداً في أعماقكما ، أليس كذلك ؟ لن تبدّلاه بأحد . . . هيه ؟ اعترفا بذلك . صبي جميل كهذا .

هي وهو : هذا صحيح .

صوت : طويل . متناسق النِّسب . قويّ .

هو : آه ، بالنسبة لهذا . . . أنا أمامه أحسّ أنني قزم .

صوت : وهو محبوب، هيه ؟ أراهن. . . فهذا ليس بغريب. . . كل الفتيات. . .

هو : آه، من هذا، هناك الكثير. . . فهنّ يَحُمْنَ حوله. . . أمس رنّ جرس الهاتف. . . رفعتُ السمّاعة فسمعتُ. . .

هي : ولكنه لن يقترف أي فعل سيّء. حين تحدث إليه والده وحذّره. . . أوقفه. أنتَ تعلم أنه مُحْتَشِم. قال له بصوت أجشّ : نعم، أنا أوافقك. أعرف يا بابا.

هو : أنا في مثل عمره، كنتُ أحمق. . . ومتخلّفاً قليلاً. . . دائماً رأسي في الكتب. . . في المتاحف. . . ولكنْ هو. . . آه نعم، بالنسبة لهذا، فتضجره تلك الأمور. . . هو لا يحب هذا. . . إنها الرسوم المتحركة. . . التلفزيون. . .

صوت : آه وماذا تريد ؟ إنه كأبناء عصره. . . هذا طبيعي. فهو ككلّ الناس. . .

هو، (قلقاً) : كلّ الناس ؟

هي : آه لن تعاود الكرّة ؟ لن يعاودكَ هذا ؟. . . (بقوّة): نعم، هو ككلّ الناس. كلّ مَنْ في سنّه اليوم مثله. لا تغضب أرجوك. . . لا تتمرَّد. هيا، ردّد ورائي : « كلّ الناس. . . » تمرَّن. . . سترى، سيتحسن الوضع. . . ردِّد : « كلّ الناس يفعلون ذلك. كلّ الناس يقولونه. . . كلّ الشباب سواء. . . نحن ككلّ الناس. . . »

هو، (بصوت رخو) : كلّ الناس يفعلون ذلك. . . كلّ الشباب. . .

هي : كلّ الشباب يفضّلون الرسوم المتحركة الهزلية.

هو : كلّ. . . الشباب يفضّلون. . .

هي، (قاسية) : هيا !. . . الرسوم المتحركة الهزلية.

هو : الرسوم المتحركة الهزلية.

هي : صناديق الموسيقى. لعبة "الفليبرز".

هو : صناديق... أوه، مع ذلك هناك... حتى عند الشباب...

صوت : آه، يا سيدي العزيز، إنك تتحدث عن الاستثناءات... فهي تثبت...

هي : ولكن بالطبع. ما عليكَ إلاّ أن تراهم... حتى الأذكياء منهم وخرّيجي المدارس العليا المركزية والبوليتكنيك ودور المعلّمين... أولاد أوبري وأولاد جاميه... ومع ذلك... حسناً، كما قلتُ لكَ... آستيريكس. بيم بام بوم. لاكي لاك. والكسالى. فآباؤهم... قد يكون لهم الحق في التطلّب... حسناً، لقد كانوا يضحكون... ويجدون ذلك جيداً جداً...

زمن.

هو، (بنبرة حازمة) : انتهى. قضي الأمر. «حيز»، لم أعد أريد اللعب.

هي : ماذا دهاك ؟

هو : ما دهاني هو أنك ارتكبتِ خطأ؛ خطأ مميتاً.

هي : أيّ خطأ ؟ معه أيضاً ؟ القماط أيضاً ؟ الرضّاعات ؟

هو : لا. خطأ، هناك، معي الآن. نعم. لقد غيرّتِ اللعبة، خفيةً. ولكني رأيتُ ذلك. كنت بحاجة للأب جاميه، وللأولاد أوبري. حسناً، أطالبك الآن بأن تعطيني الأم دورانتون... الأب دورانتون... تماماً، الأب والأم...

هي : ماذا ؟

هو : نعم. أعطيني إياهم. هيا. أعطيني. والآن البنت والابن. نعم، دورانتون. العائلة كلّها.

هي : ماذا ستفعل بها ؟

هو : سترين. تلزمني. وعائلة هيربار أيضاً. الجميع : أب، أم، ابن، حفيد. هيا أعطيني. وعائلة شاراً، كلّ العائلة. أستطيع أن أطلب منكِ آخرين... ولكنْ سأكتفي بهؤلاء الآن.

هي : لا أفهم شيئاً...

هو : انتظري، سوف تفهمين. دعي نفسكِ لي الآن... ردّدي ورائي. قولي : «هذا جميل».

هي : أوه، ولماذا أفعل ؟

هو : أقول لك ردّدي. أنا قبل قليل صبرتُ كثيراً. ردّدي ورائي : «هذا جميل».

هي : أوه، ولماذا أفعل ؟

هو : أقول لكَ ردّدي. أنا قبل قليل صبرتُ كثيراً. ردّدي ورائي : «هذا جميل».

هي، (بصوت متعب) : هذا جميل.

هو : ردّدي : «هذا جميل» إنها كلمات لا نجرؤ على التلفّظ بها أمام ولدنا. والآن سترين. استجمعي شجاعتكِ.

هي : «هذا جميل» إنها كلمات لا نجرؤ على التلفّظ بها أمام ولدنا، نحن والآن سترين...

هو : لا، ليس هذا... «والآن سترين»، كانتْ موجّهة لكِ.

هي : ولِمَنْ الباقي كلّه ؟

هو : لدورانتون بالضبط؛ لهيربار؛ لشاراً...

هي : أوه اسمع، ماذا يبدو علينا ؟ سيظنّون حقاً أننا مجانين.

هو ، (بحنين) : آه مجانين . . . (يتنهّد) : مجانين جداً . فقط لو كنت محقة . فقط ، لو كان الأمر ممكناً . . . أنا لا أرغب إلاّ بهذا . للأسف الحظ قليل . . . هيا ، تشجعي . لنردّد . ولكن أمهليني ثانيةً فقط حتى أستجمع قواي . . . حسناً تمّ ذلك . هيا بنا .

هي وهو : «هذا جميل» إنها كلمات لا نجرؤ على التلفّظ بها أمام ولدنا نحن . . .

هو : أتفهمون ؟ كلمات « هذا جميل» لا تخرج . على (حِدة) : أوه يا إلهي ، احمِني ، تنقصني الشجاعة . . . (متقويّاً) : نعم ، كما ترون . . . « هذا جميل» التي تقال أمامهُ ، تجعلنا نرتجف ونشعر بالحرارة . . . أوه ، ها أنا قد قلتُها . . . الآن ، خلال ثانية ، عائلة دورانتون وعائلة شاراً . . .

هي : عائلتا دورانتون وشاراً وهم أناس سالمون تماماً وطبيعيون ، فمَن سيظنوننا ؟ لم يسمعوا في حياتهم ولم يشاهدوا جنوناً كهذا ، أليس كذلك؟ . . .

هو : لا ، يا حبيبتي . أنتِ تعرفين جيداً أنْ لا . يجب ألاّ تتوهمي . . . تمسكي بشجاعتك بيديكِ الإثنتين . فستكون الصدمة قاسية . أسوأ من كل ما تخيلتِهُ . كل ما كَنتُ أخشاه . . .

هي : أوه ، ماذا ؟ أنتَ ترعبني حتى الموت . . .

هو : هذا فظيع . حالاً . مباشرة . توآً . دون تردّد . كما لو كان الأمر الأكثر طبيعية والأكثر تفاهة ، فقد فهموا . . . دون أدنى دهشة . بشكل متحنِّن (مقلِّداً صوتاً ما) : « آه ، كم هذا محزن . . . إنه حقاً سوء حظ كبير . . . الناس الذين لا نجرؤ على القول أمامهم « هذا جميل» . . .

صوت السيدة دورانتون : أنا أهرب منهم كما أهرب من الطاعون . . . ولكن حين يتعلّق الأمر بولدكما أنتما . . .

صوت السيد دورانتون : هذه مأساة . . .

هو ، (بصوت باهت) : نعم ، أتصدقون ؟

صوت السيد دورانتون وآخرين : كيف ، بالطبع نصدقه ؟

هو : ولكن لماذا ، حقاً لماذا ؟ لم أفهم جيداً أبداً . . . أقول لنفسي إنني مجنون . اشرحوا لي . . .

صوت : نشرح لكَ ؟ وما الفائدة ؟ لماذا فتق الجروح ؟

هو : نعم أرجوكم افتقوها . أريد أن أعرف . قد لا يكون لدينا الأسباب ذاتها أنا وأنتم . . . قد لانفكرٍّ بالأشياء ذاتها . . .

صوت : ولكن بلى ويا للأسف يا صديقي العزيز ، وبماذا غير هذا تريدنا أن نفكّر ؟ أيجب أن نقوله لكَ ؟

هو : أوه نعم . قولوه . . .

أصوات مختلفة : حقاً لابدّ أن تكونا في حالة نفسية محبَطة . . . يشعر المرء بالحرّ وبالخوف حين يحسّ بانغلاق مُهين . . . باحتقار دنيء . . . بتهديد متكتِّم . . . يضغط من خلالها هؤلاء الناس على كلّ شيء ذي قيمة ، فيُخزْون كل شيء ويسطّحون كل شيء . . . كلّ ما يعطي للحياة قيمة . . . (مهتاجة) : يخجل المرء من التدنيس أمامهم . . . يرغب في الانسحاب من التواصل معهم . . . في الاختباء . . . بالأخص يجب عدم إثارتهم . . . حتى لا يقتربوا . . . وإنْ فكّر المرء في ذلك فقط . . . يا للفظاعة . . . لماذا الحديث عن هذا ؟ لا أحد يتحدث في ذلك خجلاً . . . أو مجردّ احتشام . . . مَنْ لا يشعر بذلك ؟

هي : مَنْ؟ حسناً، غالبية الناس. أناس سليمون، عاديون، أقوياء. لديهم صلابة. وقلوبهم ما زالت في مكانها؛ والحمد لله على وجودهم. هناك أناس راشدون ومُدَرَّبون جعلتهم الحياة يواجهونها... وعلّمتهم أشياء أخرى غير إرهاف الدلال والاستهتار والفساد... تهديد؟ سوء حظ؟... تعاسة... أن يكون لنا... أن يكون لنا ابن مثله... ولكن هذا لا يُصدَّق... (مقلّدة): هل هو قاتل؟ بالتأكيد لا. (مقلّدة): سارق؟ كاذب؟ لا. (مقلّدة): منحرف؟ لا. (مقلّدة): كسول؟... (تبكي).

صوت عائلة دورانتون: آه يا صديقيَّ العزيزَيْن، لقد وصلتما إلى هذا الحد... إلى طلب المساعدة... إلى الذهاب لاستشارة الشافين والمجبرِّين... إلى طرح الأسئلة على الخالة ميلاني... مَنْ يستطيع رجمكما بحجر؟... في الحالات المستعصية، ما الذي لا يفعله المرء؟ نحن أنفسنا، لو حدث لسوء الحظ شيء مماثل لنا مع جاك أو مع بيير،... أما هما، فالحمد لله أنهما حتى الآن دائماً منشغلان... حالما يكون لديهما وقت فراغ...

هو، (بِنَهَم): نعم، أليس كذلك؟ في الكتب؟ في المتاحف؟ في كل المعارض؟ الأسطوانات الجميلة. كتب الفن. نعم، مثلي فيما مضى... ولكن أتعلمون، أحياناً أتساءل... ولا أريد إغضابكم...

صوت : ماذا إذاً؟ عمّاذا تتساءل؟

هو : حسناً، فيما إذا لم يكن هناك مثلاً انتقاص من شيء ما... نعم... من حيوية ما... ابننا كما تعلمون حيوي. مليء بالصحة وبالقوة الفتيّة. وليس عجوزاً صغيراً كما كنتُ أنا في مثل سنّه. أما هو فصلب وقويّ. وهو محبوب... أي نعم... (ضحكة صغيرة) يجرّ وراءه

كل القلوب . . . نحن بالتأكيد لا نتدخل أبداً . . . على كلّ هو بالغ ناضج . . . وبشكل مدهش بالنسبة لسنّه . . .

هي : فكرهُ حرّ جداً . لا تأخذه الأوهام أبداً . . . لا مجال لوجود حجج السلطة معه . يغربل كل شيء دائماً .

صوت : حسناً ، مَ تشكوان إذاً ؟ ما الذي يعذّبكما ؟ فكل شيء للأفضل . كونا مسرورَيْن . كونا فخورَيْن . لكلٍّ سعادته .

هو ، (وقوراً) : نعم . أنتَ على حق . لقد أخطأنا .

هي : اعذرنا . نعم . لكلٍّ حظه .

صمت.

هو : سمعت هذه النبرة المتحنِّنة . . . كما لو كانوا يتحدثون إلى متخلّفين فكرياً . . .

هي : نعم . ولكن اعترفْ أننا لم نسرقه . هل تقدِّر هذا ؟ وكنتَ تلومني لانحطاطي ! تستطيع القول إنك أنتَ من بحثت عنهم . . . (مقلِّدة إياهم) : آه ، واحسرتاه عليكما . . . تَواصُلٌ مُخزٍ جداً . . . يرغب المرء في إخفاء كل شيء . . . كل ما له قيمة . . . ويُحكُما ، فالخجل وحده يمنع من الكلام في مثل هذه الأمور . . . يا للفظاعة لو أننا . . . لو أننا وصلنا إلى مأساة مشابهة . . . لو أن ابننا جاك . . . لو أن ابننا بيير . . . ولكنْ أمامهما (مُغَيرِّةً النبرة شيئاً فشيئاً) ، ما مِنْ خطر ، أمامهما يمكن القول : «هذا جميل» . يمكن الإغماء والركوع . . . كلنا معاً كعائلة واحدة ! إخفاض الرأس في اللحظة ذاتها . . . لا خطر في أن يرفعوها . . . لا . في الحقيقة ، لاخطر . ليس كما يحصل عندنا . . .

تَقرعُ الباب.

تعال يا حبيبي، تعال هنا قربنا هيا . . . ماذا كنتَ تفعل ؟ هل أزعجكَ ؟ ولكنْ تعال أرجوك، للحظة واحدة فقط . . .

الابن : نعم يا ماما. ماذا هناك ؟

هي : حسناً يا حبيبي، كنتُ أودّ أن أسألك فقط . . .

الابن، (منزعجاً قليلاً) : نعم، لقد انتهيت. لم يبق لي سوى الملخّص . . .

هي : ولكن لا، ليس عن هذا كنتُ أريد أن أكلّمكَ . . .

الابن : صحيح . . . عمّاذا إذاً ؟

هي : لا تتظاهر بهذا الشكل . . .

الابن : أيّ شكل ؟

هي : لا تتظاهر بالطفولة.

هو : آه أنتِ تمزحين! ماذا تعتقدين؟ أتعتقدين أن لديك عصاً سحرية لتحولّي البجعة إلى أمير جذّاب والضفدع إلى أميرة جميلة ؟ أنتِ تعرفين جيداً أنني سحرتُه.

هي، (لِـ) الابن : أتفهم ما يقوله أبوك ؟

الابن : لا يا ماما.

هي، (متوسّلة) : ولكن بلى، أنتَ تفهم . . . ولكنكَ تتغابى . . .

الابن : آه لا . . . حقّاً . . .

هو : تظنين حقاً أنك الآن تستطيعين المحاولة من جديد . . . لقد قلتُ لك قبل قليل إنني أجبرتُه على الإعادة . . . لقد سجنتُهُ. «مَنْ هي؟» كنتَ تجدين هذا جيداً، وتُعجبين بحضور ذهني وبشجاعتي . . . الآنَ تريدين أن يخرج. يجب أن تعرفي ما الذي تريدينه. أيعاود الكرّة من جديد؟

الابن، (يتظاهر بالسذاجة) : أعاود ماذا ؟

هي : ولكنْ يا حبيبي، أنتَ تعرف جيداً. . . أريدكَ أن تكون كما كنتَ قبل قليل. . . حين كنتَ تفهم كل شيء أفضل منّا، حين كنتَ تشعر بكل شيء جيداً. . . نحن الذين كنا كالأطفال. . . حين قلتَ أنتَ نفسكَ، وتذكر هذا جيداً، إننا لا نجرؤ على لفظ. . . على قول : «هذا جميل». . . فقط لأنكَ. . . لأنك كنتَ هنا. . . أنتَ حسّاس جداً وناعم جداً. . . كل تلك الأشياء، بالنسبة لكَ أيضاً، حين تريد حقاً. . . لا نستطيع إخفاء شيء عنكَ أنتَ بالذات، لا نستطيع أن ندهشكَ. . . فأنتَ تملك وضوحاً في الرؤية وحريّة في التفكير. . . أتمناهما جداً لهؤلاء. . .

الابن : ولكنّ هذا أخافكما كثيراً. ولكنّ بابا كان غاضباً. . .

هي : كان هذا مضحكاً. أنا واثقة أنه الآن قد أخذ ذلك بعين الاعتبار. . . كان من الأفضل أن تشرح ذاتكَ، وأن تثبتها. . . وهو : «مَنْ هي؟» ولكن لم يكن هذا ليسحقكَ كما تعلم. . . أنا أعرفه. . . هذا أقوى منه : إنها ردّة فعل فقط. . . « مَنْ هي؟». . . إنها عادة لديه، يمثل لها. لعبة قديمة جداً. «مَنْ هي؟» سؤال أطرحه عليكَ قليلاً. مثل تلك السفاسف. . . اذهب وابحث عن هذا. . . حين كنّا هناك ثلاثتنا خلال لحظة من تلك اللحظات النادرة حيث. . . لقد كان هذا رائعاً. . . فجأة. . . كما لو أنه انقشاع. . . كنّا سنلامس أخيراً شيئاً ما. . . بيننا. . .

هو : أوه، اسمعي، توقفي. ألم تنالي كفايتك؟ إنْ طلبتِ أكثر من ذلك. . . لن تخاصمي إلاّ نفسك. . . أحذركِ. لا تنتظري مني أن أهبّ لنجدتكِ. . .

هي ، (متحمِّسة) : لا ، لا ، لاأعتمد على ذلك . . . لن أحتاج لذلك . . .
(للابن) : اسمع ياحبيبي ، أتوسّل إليك ، قلْ لي . . . لا ترفض . . .
قلْ لي . . . فقط لماذا . . . لماذا برأيكَ ؟ قله لي ، لأنكَ هناك . . .
حتى خلف جدار . . . كما كنتَ تكررّ . . . لا نستطيع . . .

الابن ، (بخفة ، ومرتاحاً) : آه هذا صحيح ، كما ترين ، حتى الآن وضمن هذا الاسترسال تتوقفين ولا تجرؤين . . .

هي ، (متحاملة على نفسها) : بلى ، أجرؤ كما ترى : « هذا جميل » . وحتى أنني أريكَ ذلك . أنشره أمامكَ . . . هاك ، أتراه أمامك ؟ وأقول - أتسمع ؟ - هذا جميل . . . وأسألكَ أنتَ بالذات : ألا ترى ذلك ؟

صمت .

ولكن قل شيئاً !

الابن : حسناً ، لا فائدة . . . هذا أقوى مني ، إنني أستدرك الأمر . بعد لحظة (صوت مفزع لأجل الضحك) كالأخطبوط سوف أفرز . . . سيسيل حبر أسود . . . انظري إلى أبي لقد تقوقع على نفسه . . .

هي و هو ، (بأصوات باهتة) : ألا ترى هذا جميلاً ؟ أنتَ تكره هذا . . . كل هذا . . .

الابن ، (متنازلاً) : ولكن لا . . . لا أقصد هذا . . .

هما ، (بأمل) : ليس هذا . . . أوه يا حبيبي . . . ماذا إذاً ؟

الابن : إنه . . . ولكنْ يزعجني أن أقوله لكما . . . سأصدمكما . . .

هي : لا ، لا ، أرجوك ، قله . . .

الابن ، (متردِّداً) : حسناً ، إنه ذلك التعبير « هذا جميل » . . . هذا يدمّر لي كل شيء . . . يكفي إلصاقه على أي شيء وللتوّ . . . يأخذ كل شيء مظهراً . . .

هي : نعم . . . أعتقد أنني أرى . . .

الابن : نعم، أنتِ ترين . . .

هي : أفهم . . . يصبح هذا تحصيل حاصل . . . أليس كذلك ؟

الابن : نعم، إنْ أردتِ . . . حالما نطبّق هذه الأنواع من التفاهات . . .

هما، (مفعميْن بالأمل) : نعم، ما كان علينا فعل ذلك، أنتَ على حق . إنها تسهيل وامتثاليّة . . .

الابن : نعم، إنه هكذا . . . هذا مقرف . . .

هي، (ثائرة) : نعم أنتَ، تحترم تلك الأشياء أكثر من اللازم . . .

الابن، (منزعجاً) : آه هاكم . الآن إنه الاحترام . دائماً هذه الكلمات .

هي، (متواضعة) : اعذرني . . . أردتُ أنَّ الشيء ذاته . . . الذي نلصق عليه . . . والذي لا تريد أن تراه مسطحاً، أليس كذلك ؟ أو تافهاً . . . ولكنّ الشيء ذاته، هو . . . أنتَ . . . أنتَ . . . باختصار . . .

الابن : ولكن نعم يا ماما، بالتأكيد . . .

هي، (للأب) : آه، أترى كم كنّا مخطئيْن . كم كنّا لا نعرف ابننا حق المعرفة . . . هذا صحيح، إنه من الذين نعرفهم أقلّ المعرفة . إنه لا يكره على الإطلاق . . . إنه يحب، كما ترى . . . باختصار «يحب» كلمة غير مناسبة . . . سامحني . . . نحن أرعنان . . . أخيراً . . . أريد أن أقول إن هذا، ما كان يريني أبوك إياه قبل قليل، هذا الحفر . . . أنتَ أيضاً، إن كنتَ ترغب في مشاهدته دون أن نقول شيئاً، أنتَ أيضاً . . .

الابن، (مُطَمْئِناً إياها) : ولكن نعم، أنا أيضاً، بالتأكيد . . .

هو : أنتَ أيضاً ؟ هيه؟ أترى ؟ ألا ترى أنه . . .

هي : (مذعورة) : آه لا، توقف، انتبه. . . لا تعاود الكرّة. . . ليست هذه الكلمات. . . التي هي تحصيل حاصل. . . المتحجِرة. . . المفخَّمة. . . أنتَ ترى يا حبيبي، أعتقد أنني أفهم. . .

هو : طيب، طيب، اتفقنا. . . بما أنه مرهف. . . (طرِباً) رقيق جداً. . . ولكن أخيراً، هذا، هيه ؟. . . ألا ترى هذا ؟. . . (يصفِّر)

الابن : نعم. لا بأس بروعته، أوافقك الرأي.

هو، (طرِباً) : رائع. رائع. رائع. كان يجب أن أفكر بهذا. رائع. الآن عرفته. يمكن الاكتفاء بكلمة واحدة!. . .

هي، (منفعلة) : نعم، كي يتغيّر كل شيء. . . كي نتفاهم. . . كي نستطيع. . . نعم، أليس كذلك ؟

هو : انتبهي. أنتِ تستشيطين دائماً. . .

هي : ولكن لا، أنا لا أستشيط. . . (وكأنها تنفجر وتتدفق) : اسمع يا حبيبي، لقد عرفت ذلك دائماً، لقد أحسستُ به دائماً، نحن متشابهان جداً. . . لم يكن ذلك ممكناً. . . الآن، أليس كذلك ؟ أستطيع أن أقول لك، التقاسم. . . أَتَذكُرُ ؟ كما في الماضي. . . عندما كنتَ صغيراً. . . حين كنتَ بذاتكَ تأتي لتريني. . . الآن سنذهب. . . لا ؟ ألا يوحي ذلك لكَ بشيء؟ أتفضّل الذهاب وحدك. . .

الابن : الذهاب إلى أين ؟

هي : حسناً، أنت تعرف، لقد تحدثتُ بذلك أمسِ. . . شيء من. . . لا، لا تقلق، أنا منتبهة. . . شيء لا يمكن تفويته، أستميحكَ عذراً بقول هذا. . . صدمة بالنسبة لي. . . حَدَثٌ. . . هذا المعرِض. . . ولكنني أظن أنكَ رأيته ؟. . . لا، طيب، ليس هذا، ما هذه

المراقبة ؟ . . . طيب، "الحاصل له" . . . ولكني أريد أن أريكَ . . . انظر . . . لا، ليس هذا . . . ليست نسخاً . . . (مداهِنة) سترى، لا تفقد صبركَ . . . أو بالأحرى ستسمع . . .

بعض النغمات لبوكوريكلييف.

لا . . . .

هو، (بصوت خفيض) : أنتِ مجنونة.

هي : نعم، ليس هذا . . . انتظر . . .

بعض النغمات لڤيبيرن.

لا، ولا هذا أيضاً . . . ولكني أعرف ما هو . . . أعتقد أن هذه المرّة . . .

من موسيقى موزارت، طويلاً .

هو : أوه كفى . (يوقف الأسطوانة).

هي، (بصوت باكٍ) : ولكن لماذا فعلتَ هذا ؟ كنا نستمتع بالاستماع . . . هذا يخترقنا . . . ويفعمنا . . . لقد كان . . .

هو : لا شيء . هذا يضايقني .

هي : هذا يضايقكَ ؟

هو : نعم، أرى أنّ هذا يضايق . . .

هي : أنتَ ؟ ألا ترى أنّ هذا . . .

هو : أنّ هذا ماذا ؟

هي : أنّ هذا . . . نعم، لا بأس بروعته . . .

صمت.

ولكن ما الذي يحدث ؟

هو : يحدث أنّ هذا يضجرني . . . يحدث أنني لا أريد . . . ليس الآن .

هي ، (تبكي) : أوه . . .

هو : ليس الآن طالما هو هنا . . . هذا لا يخترقنا . . . لم أعد أسمع ، لا أشعر بشيء . . . كل شيء مغطّى . . . حبر أسود . . . بسرعة ، النجدة . . . ولكن ساعديني . . .

الابن ، (هادئاً جداً ومتنازلاً قليلاً) : هاكم . هاكم . بدأنا . هدوء من فضلكم . ليس كل هذا ، ولكن قبل قليل ، اتصل السيد بيرتران . وأنا الذي أجبتُ . . . سيتصل من جديد . . .

هو ، (مرتاحاً) : في أيّ ساعة ؟

الابن : قلتُ إنكَ قد تكون هنا ابتداء من الساعة الثامنة . . .

هو : أوه ، لماذا الساعة الثامنة ؟ . . . بينما كنتُ قد قلتُ بأنني قد أكون هنا على الأكثر . . .

الابن : اعذرني ، لم تقل لي أنا ذلك . . .

هي : لا . لقد قلتَه لي أنا .

هو : لا ، له هو .

هي : لا ، لي أنا .

الابن : أنتَ ترى جيداً .

هو : كي تدافع أمك عنكَ ، قد تقول أيّ شيء . . .

الابن : لا . أنتَ تعرف جيداً أنها لا تكذب أبداً .

هو : أتعطيني دروساً الآن ! ومِنْ ثمَّ ، عمَّن تتكلّم ؟ مَنْ « هي » ؟

مسرح
ناتالي سارّوت

إنهــا هنــاك

ترجمة: ريم منصور الأطرش

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية :

Elle est là

إنها هناك

رجل ١ : أعتقد أننا ومنذ وقت، نعيش تفاقماً . . . وتراجعاً محسوساً أكثر فأكثر . . .

رجل ٢ : نعم . . . نعم . . .

رجل ١ : أمسِ قرأتُ . . . كان من رأيي ذاته . . . إنها حركة لا تقاوم . . .

رجل ٢ : نعم . . . هذا صحيح تماماً . . .

رجل ١ : ماذا تريدنا أن نفعل ؟ لا نستطيع إلاّ أن نحني ظهورنا . . . لا أحد على كلٍّ . . . ألا ترى ذلك ؟

رجل ٢ : بلى . بلى، بالتأكيد . . . أرى ذلك أيضاً . . . ولكنْ لحظة فقط . . . اسمحْ لي . . . اعذرني . . . يجب أن . . . سأعود حالاً . . . (يخرج . يعود) فات الأوان، لم تعد هنا .

رجل ١ : مَنْ هي يا ترى ؟

رجل ٢ : لا يهمّ . . . كنتُ أودّ . . . ولكنها قد ذهبتْ . . . نعم، الإنسانة التي . . .

رجل ١ : أهناك شيء كان يجب أن تقوله لها ؟

رجل ٢ : نعم، تماماً . . .

رجل ١ : ألا تستطيع ترك رسالة ؟ . . . الاتصال بها في بيتها هاتفياً ؟

رجل ٢ : لا ، كما تعلم . . . هكذا . . . هذا صعب . . . ولكن لا يهمّ . . . دعنا من هذا . . . كنتَ تقول لي إذاً؟

رجل ١ : حسناً، كنتُ أظن فقط أنه ضمن الظروف الحالية . . . بما أنّ الدور الذي يأخذه . . . ولكنْ لا يبدو عليك أنك بخير . . . لستَ مرتاحاً . . . أنا أزعجكَ . . .

رجل ٢ : ولكنْ إطلاقاً، على العكس . . .

رجل ١ : قلْ ذلك بصراحة، فأنا أفهم جيداً . . .

رجل ٢ : ولكنْ لا ، أبداً . . . لا ، كنتُ أودّ فقط . . . (صمت .) هذا غريب . . . اسمع . . .

رجل ١ : نعم ؟

رجل ٢ : قبل قليل خلال مناقشتنا . . . لا يمكن طبعاً تسمية هذا نقاشاً فقد كنا من الرأي ذاته . . . أقصد أنا وأنت . . . ولكنها هي . . . كانت هنا بينما كنا نتحدث وكانت تسمع . . .

رجل ١ : مَنْ هي ؟ آه، تلك الإنسانة ؟ . . . معاونتكَ ؟

رجل ٢ : نعم . . . أقصد . . . شريكتي . . . ولكن لا أهمية لأن تكون هنا . . . ألم ترَ كيف بدتْ ؟ . . .

رجل ١ : لا والحق يقال لم . . .

رجل ٢ : ألم تلاحظ ؟ ألم تشعر بذلك ؟ لم تكن من رأينا . ولكن بتاتاً . . .

رجل ١ : أعترف بأنني لم أعرها انتباهاً . ولكنّ هذا من الممكن جداً .

رجل ٢ : آه من الممكن جداً . جداً . جداً . كثيراً جداً . ولم أفعل شيئاً . لقد تركتُ . . . لماذا لم أسألها ؟ نعم، كان يجب . . .

رجل ١ : لماذا ؟ أنا لا أفهم . . . ألهذه الدرجة يهمّكَ ما يمكن أن تفكرَ هي به ؟

رجل ٢ : لا . . . نعم . . . أقصد . . .

رجل ١ : ولكن . . . هذا غريب . بالتأكيد هي إنسانة طيبة . . . إلاّ أنه والحق يقال ، لا يبدو عليها . . .

رجل ٢ : أوه أعرف ليس هذا صاعقاً . . . ولكنْ ما كنا نقوله ، كان حقاً في متناول . . . ليس من الضروري أن يكون المرء عالماً حتى . . . هي قادرة على الحكم ، هيه ، ككلّ الناس . . . أن يُعْرَف إذاً أن الأمر هناك ، في داخلها . . . لا أعرف كيف أشرح لك . . . إنه هناك . . . هنا . . (يضع إصبعين على جبهته) لديها هنا فكرتها الصغيرة . . . ولماذا «الصغيرة» أساساً ؟ أحاول طمأنة نفسي . . . في داخلها فكرتها . فكرة هناك . مختبئة . وفكرتنا نحن الخاصة بنا ، قبل قليل . . . التُقطَتْ حال مرورها . . . إنها مسجونة هنالك ، سُلِّمَتْ دون دفاع ، خُنِقَتْ بصمت في السرّ . . . لا شيء في الخلاء . . . كان يجب أن أتدخّل . . . أن أجبرها على إخراجها ، على نشرها في وضح النهار . . . حتى نراها ، فكرتها الجميلة تلك ، التي تجرأتْ على الهجوم . . . حتى ندمرها . . .

رجل ١ : يا صديقي المسكين ، إذا كان لابد من أن تهتم . . . فلديكَ أعمالٌ كثيرة لإنجازها . أعرف تماماً ما يمكن أن يمرّ سريعاً في رأسها . . . ليس كونه في رأسها ، والحالة هذه . . . إنها فكرة سريعة . . .

رجل ٢ : سريعة ؟ نعم سريعة . . . سريعة . . . إنه هكذا . . . شيء ما سريع . . . هذا ينتشر . . . هو موجود في كل مكان . . . لدى الجميع . . .

رجل ١ : وتعلم أنه مهما بذلتَ من جهد فلن تقنعهم أبداً . . .

رجل ٢ : نعم، إنه هكذا. هذا ما أقوله. . . فلذلك قوة لا تُقْهَر. إنها هكذا تلك الأفكار. فهي تعطي هذا التأكيد لِمَنْ يحملونها مزروعة فيهم. . . وتعطي هذا الاطمئنان. . . الذي يغيظ. . . ألم ترَ؟ لقد بدا عليها أنها تبتسم ابتسامة صغيرة. كانت تشفق علينا. . . كان يجب أن أثيرها فوراً، وأن أجبرها. . . ولكني تركتُ الأمر يمرّ. . . أما الآن، فهي هناك. . . هي هناك في داخلها. . . حيوان مُؤْذٍ. . . يعيش ويزدهر. . . من المستحيل الوصول إليها. و. . .

رجل ١ : أغالباً ما يحدث لك هذا ؟ لابد وأن هناك أموراً تثيرك غالباً.

رجل ٢ : لا. . . في العادة، والحمد لله. . . لا أرى شيئاً مماثلاً. اليوم وبحضورها كان لابد من مناقشة. . . ففي داخلها للتوّ. . . قد تحرّك هذا. . . وأنا تركتُ الأمر جُبْناً وضعفاً مني. . .

رجل ١ : لحسن الحظ، أنتَ ترانا ونحن نَعِظُ. . .

رجل ٢ : نعم، أعرف. . . ولكنّي. . . (تدخل امرأة). آه، هاأنتِ، حسبتُكِ قد ذهبتِ. . . هذا صحيح، لا أعرف لماذا، فالوقت ليس متأخراً. . . آه، جيد جداً، المهم أن تكوني هنا. ابقي برهة أيضاً. لابد لي. . .

رجل ١ : أما أنا فحان الوقت كي أذهب. . . فأنا. . .

رجل٢ : نعم، أفهم ذلك. . . نعم، إلى الملتقى، إلى الملتقى القريب. . . ستهاتف. . .

يخرج رجل١.

آه أتعلمين، لابد أن أقول لكِ. . . يجب أن أكلّمكِ. . .

امرأة : نعم ؟ عمّاذا ؟

رجل ٢ : هذا غباء . . . هذا صعب جداً . . . لا أعرف كيف . . . مِنْ أين أبدأ . . .

امرأة : هيّا كما تشاء . ماذا فعلتُ أيضاً ؟

رجل ٢ : أوه لا شيء . لا شيء . لا شيء . لم تفعلي شيئاً البتّة . لم تقولي شيئاً . كنت صامتة . . .

امرأة : أكان يجب أن أتكلّم ؟

رجل ٢ : نعم ، فسيكون ذا قيمة أفضل . . .

امرأة : أن أتكلّم متى ؟ أن أتكلّم عمّاذا ؟ لا أفهم شيئاً .

رجل٢ : بلى ، بلى . . . سترين ، ستفهمين . . . قبل قليل ، حين كان هنا ، نعم ، ذلك الصديق . . . حين كنا نتكلّم أمامكِ ، أنتِ تذكرين ذلك ، لقد دخلتِ . . .

امرأة : ألم يكن من الواجب أن أفعل ؟

رجل ٢ : ولكن بلى ، بلى بالتأكيد . . لم يكن هناك أي سرّ . . . بدا لي . . . أحسستُ . . . أنكِ لم تكوني موافقة ، أليس كذلك ؟

امرأة : طيب ، من الممكن . . . وإذاً ؟

رجل ٢ : إذاً كنتِ مخطئة .

امرأة : أتعتقد هذا حقاً ؟

رجل٢ : إذا كنتُ أعتقد هذا ؟ ولكني متأكد منه . كنتِ مخطئة خطأ فادحاً . ما كنا نقوله ، كان مضحكاً للغاية بصورة بديهية جداً . . .

امرأة : لا أجد ذلك .

رجل ٢ : ألا تجدين ذلك ؟ ألا ترين أنّ ذلك بديهياً لدرجة أنه يفقأ العيون ؟ . . . كل ما يعارض هذا ضبابيّ وغير مفهوم . . .

امرأة : ولكن لا تفقدْ أعصابكَ هكذا . . . ما الفائدة ؟ لندع هذا الأمر جانباً . . .

رجل ٢ : لا ، لن ندعه . . . أبداً ، فينبغي ألاّ يحدث . . . اعذريني ، فأنا أخطأتُ إذ فقدتُ أعصابي . . . سترين ، سوف أحافظ على هدوئي . . . سوف ترين : ما تفكرين به لا أساس له . . من المستحيل أن يكون له أساس . . . هذا خطأ . . . خطأ جسيم . . . أعرف من أين يأتيك . . . لقد لُقِّنْتِ ذلك . . . لقد تجرّعته . . . ولكن كان يكفي أن تتفحصيه . . . ولكن فكري في ذلك ثانيةً واحدة . . .

امرأة : آه ، ألأني لا أفكر . . . أبداً ؟ أتجرّع كالإوزة . لا يوجد سواك . . . أنتَ الذي « تفكّر » . . أنتَ الذي «تعلم» . «حقائقكَ» ليست متَجرَّعة ، إنها تفرض نفسها ، « فيتلقاها» المرء . على كلٍّ هذا ما فعلتُه . . . لم أتدخّل . . . ولكن ألا يكفي هذا أيضاً . . . ولكنْ أين نحن ؟

رجل ٢ : نعم ، أين نحن ؟ أنا مجنون . . . هذا هو . . . حين يكون التعامل نداًّ لندّ . . . حين يتمّ النقاش . . . أوه لا ، لا تذهبي . . . أنا مخطئ . وما فائدة هذا الهجوم ؟ لا أقصد ما نحن عليه . . . لا أقصدكِ أنتِ . . .

امرأة : لا تقصدني ؟ أنتَ طيب إذاً . . . « فكّري ثانيةً واحدة» « لقد تجرّعتِ ذلك» . . . أنا غبيّة بما لا يُقاس . . . ممن تسخر ؟ . . . وأنا عليّ أنْ أتحمّل . . . ولكن مَنْ تحسبني أنتَ يا ترى ؟

رجل ٢ : أوه . . . إنسانة جيدة جداً ، صدقيني . . . والبرهان على ذلك أنني أحاول إقناعكِ . فرأيكِ بالنسبة لي ، كما ترين ذلك بوضوح . . .

امرأة : أوه ، هذا صحيح حقاً . . . أتساءل لماذا . . . وماذا يمكن أن يفيدكَ ما أفكر به ؟ لكَ فكرتكَ ولي فكرتي . أليس من حقي ؟

رجل ٢ : بلى، بلى. الحق. كل الحق. لك الحق فيها. ويمكنكِ الاحتفاظ بها ونشرها. . . (زمن بسيط) بين أمثالكِ.

امرأة : أمثالي ؟ ماذا تقصد ؟ (تلتفت إلى القاعة) أتسمعونه ؟ «أمثالك». . . هذا يعني أننا مجموعة أليس كذلك ؟ . . . وما الذي يميِّزنا ؟ . . .

رجل ٢ : ولكن لا شيء. أرجوكِ، دعي هذا. . . نحن نبتعد عن الموضوع. . . ونَضيع. . . استمعي إليَّ يا صديقتي العزيزة. . . لا ليست صيغة "فضّ مجالس" : أنتِ صديقة وحقيقية. قولي لي إذاً. أجيبيني بصراحة. . . قبل قليل، ما كنا نقوله. . . تعارض لديكِ مع قناعة ما، أريد أن أفهم : هل أيقظ لديكِ مقاومة ما. . . هذا واضح جداً مع ذلك. . .

امرأة : أنا أرى أن هذا لم يكن ليستقيم.

رجل ٢ : لم يكن ليستقيم ؟ ما كنا نقوله ؟ ألا ترين أننا كنا نجاهد لنبرهن على هذه البديهية المنفتحة ؟

امرأة : ليست بديهية منفتحة بالنسبة لي دون شك. ينقصني الانفتاح البديهي.

رجل ٢ : بالتأكيد لا ينقصك أبداً. ولكن لابدّ لكِ دائماً، لا تستطيعين، لابدّ لك دائماً من أن تعيدي كلّ شيء إلى نفسكِ. . . فهذا وحده الذي يهمّكِ.

امرأة : أوه اسمع، لقد مَلَلْتُ. غداً إذاً، أليس كذلك ؟ اتفقنا بالنسبة ليوم غد في الساعة العاشرة ؟

رجل ٢ : نعم، أعرف. . . ولكنْ لحظة واحدة فقط. . . انتظري. . .

امرأة : أنتظر ماذا ؟ ولكن ماذا تريد مني الآن ؟ ما الفائدة ؟ لن تقنعني.

رجل ٢ : ترين جيداً أنكِ لا تريدين. . .

امرأة : لا، لا أريد. لن ينفع في شيء. أعرف ما ستقوله لي، ويزعجني أن أسمعه.

رجل ٢ : أيزعجك هذا؟ هيه؟ حسناً، سأزعجك إذاً. ستستمعين إليه رغماً عنك. سأُدْخلُه شئت أم أبيْت. (يصرخ بكلمات من الصعب تمييزها. تسدّ أذنيها. يُبْعد يديها عن أذنيها) سيدخل... حتى هنا، في هذه... هذه (ويضربها على جبهتها)... من غير الممكن ألاّ يستطيع الدخول، وتخريب ما هو موجود هنا، تلك البلاهة.

امرأة : ولكنْ... ماذا جرى لكَ؟ ولكنْ ما بكَ؟ لقد فقدتَ عقلكَ.

تخرج.

رجل٢، (وحيداً) : حقاً مُتَعَنْفصة. غبيّة. لابدّ حقاً من الإذلال... الانحطاط... فكرتها... أطلبُ منكم فقط... نعم، لتحتفظ بها. لن تغيّر بها وجه العالم... لن يتغيّر... (يتوجّه مخاطباً القاعة) آه... أتصدقون؟ أهذا ممكن؟ تصدقون أن هذا يمكن له تغيير وجه العالم، فقط هذا... هذه الفكرة الصغيرة... المتجمّعة في داخلها... المختبئة... أوه لو استطعتم فقط أن تأتوا إلى هنا إلى جانبي... لتقولوا لي... لتشرحوا كيف... لماذا... أنا لا أعرف... ما أشعر به، هو أنه يجب حتماً تدمير هذا، يجب اقتلاعه، سحقه، ما هو هناك في داخلها... أليس كذلك؟ ألا تصدقون هذا؟ لقد أخطأتُ. لا تصدقون أن هذا يمكن له تغيير وجه العالم... أنه يمكن له إحداق الخطر... ماذا خُيِّل إليّ؟... هذا عبث... (صمت)

(متوجهاً للقاعة) : أعرف جيداً ما ستقولونه إن أردتم الكلام، أعرف ما كان موجوداً على رؤوس ألسنتكم... أن كلّ الناس يقولون لأنفسهم

في حالات كحالتي : حين يسيطر عليكَ. . . حين يتشبّث بكَ. . . نوع من هذا الهَوَس. . . لا يوجد سوى وسيلة وحيدة للتخلّص منه : التفكير في شيء آخر . مسمار يطرد الآخر ، أليس كذلك ؟ والمسامير ، أليسَتْ هي بالذات التي تنقصنا. لا يوجد إلاّ ورطة الاختيار : مسامير ضخمة وجيدة. . . (صمت).

(مَرِحاً) : ها أنا لديّ واحد أيضاً. واحد رائع. (يركّز تفكيره). هاكم، أنا أُدْخِلُهُ. . . هاكم. أعتقد أن الأمر قد انتهى. . . (صمت. . . ومن ثم يتلوّى، يئن). . . لا ، لا مفرّ. . . إنه هنا ، مغروس في داخلي ، إنها فكرتها. . . تنمو ، وتستند. . . هذا مؤلم. ولكن لا يوجد هنا أحد إذاً. . . لا أحد يوافق. . . أوه. . .

تظهر شخصية متنكِّرة بزي بورجوازي صغير ضَـنيك.

أوه أنتَ! . . . أتاتي لنجدتي؟ هذا حقاً. . . حين أراك فقط أهدأ. . . ولكني أتسلّى بسرعة فائقة. . . اعذرني، اسمح لي أن أسألكَ. . . ألستَ عنصراً من عناصر شرطة حفظ النظام ؟ لا ؟ ألستَ حارساً ؟ ألستَ طبيباً في الخدمة ؟ لا ، لقد أتيتَ إلى هنا كي تتسلّى، كي تُرَوِّح عن نفسكَ، كي تقضي «سهرة لطيفة». نعم، أعتذرُ. . . في الحقيقة، كتسلية، أعترفُ أنه بالإمكان فعل ما هو أفضل. . . أخيراً، ماذا تريد ؟ . . . ولكنْ من الممكن أن تكون مع ذلك دكتوراً في مهنتكَ. . . من الممكن أن تكون طبيباً نفسياً. . . لأنه لو تعلم، لقد تعذّبتُ كثيراً، ولكني لا أريد أن يحاولوا «شفائي» لأيّ سبب كان. هذا لا شكراً، القليل جداً منه لي ، ليس هذا النوع بالذات من الشفاء، لا شكراً جزيلاً. لأن مثل هذه. . . الظواهر. . . لابد حتماً من أن يعتقدوا بأنهم مُجْبَرون على تنظيمها. وأيّ نظام ! لا ، أفضّل أيضاً. . . ولكن ألستَ منهم ؟ حسناً لقد

طمأنتني. (يراقبه بصمت).

ولكن... سؤال آخر فقط. كما ترى أنا حذر. فمَنْ لدغتْه الأفعى يخاف الحبل، أليس كذلك؟ هذا لأنه يبدو عليكَ مظهراً جدًّ... جدّ، كما يجب... جدّ متوازن، لدرجة أنه حين يراكَ المرء يعتقد... أقصد لا يستطيع أن يصدق أنكَ. أنتَ أيضاً... أنكَ يمكن أن تكون من هؤلاء... مثلي... ولكني غبيّ جداً... لو كنتَ كما يبدو عليكَ من النظرة الأولى، لأطرقتَ برأسكَ بالتأكيد، هنالك وفي مأمن كبير، في الظل... ولستَ مجنوناً... إلى حدّ أن تأتي إلى هنا لعرض نفسكَ... بل لكنتَ مع الآخرين... مع أولئك الذين يرفضون ويبتعدون... لكنتَ حتى واحداً من بين الذين سيذهبون، والذين قد ملّوا حقاً. ولكنكَ أنتَ، لديك تلك الشجاعة... أنتَ... يجب ألاّ يؤخذ المرء بالمظاهر... فليس كلّ ما يلمع ذهباً. كم هذا صحيح... أوه، تعال بقربي، أقرب... قل لي... ليس بصوت مرتفع إنْ كان يخجلكَ هذا... لا، بصوت خفيض فقط، هنا في فجوة أذني... لا أطلب أكثر من ذلك. (يوشوشه الآخر في أذنه). آه، أنتَ تفهمني... أنتَ أيضاً، فكرة مخبأة عند أيّ كان... آه نعم؟ حتى عند طفل أحياناً؟... نعم، أليس كذلك؟ قد يحدث أن يضعكَ هذا في حالات... ولكن هل أحلم؟ ولكن هذا ليس صحيحاً. لا يمكن أن يحدث لي أنا هذا... لأنكَ كما تعرف ما من شخص أبداً... وها أنتَ ذا! أوه... أنتَ مثلي. تماماً مثلي. وطبيعي جداً، هيه؟ كما يجب تماماً. لا شيء من غريب أحمق. لباس لاغبار عليه. الحشمة بذاتها... حسناً إذاً... (صمت) أي نعم (متوجهاً للقاعة): كما ترون تحدث المعجزات أحياناً. في لحظة لم نكن ننتظرها. قد يكون

هذا لكي تصدقوا. . . أخيراً. . . أنا، لا فائدة، لستُ مؤمناً. . . (يصمت).

حسناً، كما ترون نحن الآن اثنان. اثنان، يعني القوة. اثنان. شخص آخر مثلي. فهذا يغيّر كل شيء. كما قال لا أعرف مَنْ، في مسرحية لا أعرف ما اسمها. . . إنه مهرِّج على ما أعتقد: «فهذا يغيّر كل شيء. فهذا يغيّر كل شيء حتماً» لم أعد وحيداً. يا لَلراحة! الآن بالإمكان تفحّص الوضع بهدوء، وبوضوح. تلك المتعنفِصة. . . لا، يجب عدم قول هذا، فهذا غش. . . هذه «الإنسانة». هذا «الكائن الإنساني». . . غريب أن أقول هذا، ولكن يجب قوله. يجب قوله وتكراره: كائن إنساني، لا يهمّ مَنْ يكون، يحمل في داخله فكرة مُدَمِّرة. . . نعم، لمجرد وجودها. . . هيه؟ نحن متفقون. . . أوه يا إلهي، يا للحظ. . . فكرتُها لمجرد وجودها تهدّد. . . نعم، لنتجرأ على قول ذلك: الحقيقة. . . هذا غير محتمل إذاً، إذاً يجب إخراجها، اقتلاعها، يجب تدميرها. . . لا يمكن لنا تركها. . . إنها بذرة خطرة. . . لابد من التطهير. . . من التنقية. . .

يوافق الآخر، ومن ثمَّ يبتعد الآخر فجأة ويتطلّع في الهواء ويبدو عليه أنه يقبض على شيء كالذبابة في كفّه. إنها ورقة مكوّرة.

رجل ٢ : ما هذا؟ أرني. ما الذي رموا به إلينا.

رجل ٣ يفتحها ويراها ثم يمررها لرجل ٢.

رجل ٢، (يقرأ ويحكّ رأسه) : تَـ - عَـ - صُّـ - ب. تعصُّب. آه، إنهم أقوياء، هنالك. كلمة واحدة معروضة هكذا. . . يترنّح منها المرء. ما نحن بصدده هنا يدعى ببساطة تعصّباً. وهذا ممنوع تماماً في قوانيننا. أوه،

انظر . . . يتعاقب هذا في رؤوسهم ، خلف عيونهم الجامدة . . .
أتراه ؟ . . . كلمات وكأنها الترجمة المكتوبة في الأفلام . . . أتستطيع القراءة ؟ « حرية الفكر »، « احترام الرأي الآخر »، « نحن نعيش في الديمقراطية » . ماذا كنا سنفعل ، هيه ، أنا وأنتَ ؟ بينما لا يوجد أحد أكثر ديمقراطية . حالما تُمَسّ حرياتنا ، أنا وأنتَ ، هيه ؟ تحمرّ الدنيا في عيوننا (يضحك) . . . أنتَ ترى تلك التعابير الجاهزة إلى أين يمكن لها أن تودي بنا ، إلى مكان لم نكن نفكر بالذهاب إليه . . .
لا ، لنقل بالأحرى بأن هذا يجعل شعر رأسنا يقف . . .
تـ - عـَ - صُّ - ب ، نعم ، لا فائدة : يجب ترك هذا .

يبقى رأسه منخفضاً ومثقلاً .

رجل ٣ ، (ينحني على رجل ٢) : هذا مزعج . . . أعتقد أننا محصورَيْن . ليس من حقنا لمس هذا السمّ . . .

رجل ٢ : نعم ، أن نراه يفعل فعله دون أن نتحرك . التسامح . نحن في مصيدته . . . أرجلنا وأيدينا مكبّلة . . . يا لها من كلمة ، هيه ؟ قميص مجانين حقيقي . . .

صمت ثقيل .

هيه . . . ولكن قل لي . . . ولكن ما بنا ؟ إلاّ أننا نفقد صوابنا . لن أترك نفسي مكبَّلاً هكذا . التسامح ؟ ولكني أكرر ذلك : لا يوجد شخص متسامح أكثر مني ومنك . حرية الفكر ؟ عظيم . احترام الآخر ؟ جيد جداً . (متوجّهاً للقاعة) : ولكن النقاش الحرّ ، ماذا تفعلون به ؟ ألا تقبلونه ؟ آه ، أنتَ ترى جيداً أنهم يقبلونه . وإذاً ؟ . . . نحن ، كما تعلمون ، لا نطالب إلاّ بهذا : النقاش الحر . حريّة . مساواة . أخوّة . بأخوّةٍ وبكل المساواة دون الأخذ بعين

الاعتبار أدنى اختلاف مهما كان وفي كامل الحرية، نريد أن نفتح نقاشاً، صراعَ أفكار . . . أنتم جاهزون لقبول هذا . . . هيه ؟ . . .

رجل ٣ : أوه حتى أنني أقول بأني لا أطلب أكثر من أن أقتنع بخطئي .

رجل ٢ : نعم، هذا غريب، أنا أيضاً، قد يريحني هذا . ذلك لأنه – وأقول لك هذا بصراحة – ما من أحد أقلّ منا تحزّباً وأقلّ منا تعصباً . . . أرأيتَ ؟ إنها هي التي ترفض النقاش . لقد حاولتُ . . . فزجرتني، أرأيتَ بأيّ طريقة فعلتْ ؟

رجل ٣ : لابد من القول إنكَ فاجأتها قليلاً . أعتقد بأنه كان يجب أن تأخذها بعذوبة أكبر .

رجل ٢ : نعم، بعذوبة . إنه هذا . بعذوبة كبيرة . وخاصة يجب عدم مداورتها، وعدم إيقاظ حذرها . . .

رجل ٣ : لابدّ من رجائها لتأتي . . . لديك الوسيلة لذلك .

رجل ٢ : أوه لا شيء أسهل من هذا . أيّ ذريعة تكفي .

يذهب ويفتح الباب ويمدّ رأسه من خلاله . تدخل المرأة وتقترب .

اسمحي لي أن أقدّم لكِ . . . إنه صديق .

امرأة : ألكَ حاجة بي ؟

رجل ٢ : آه نعم . نعم . . . كنتُ أقول لتوّي لهذا الصديق كم هو مستحيل أن أستغني عنكِ . حالما تتخلّين عني، أحسّ بنفسي ضائعاً . . .

امرأة : أهذا صحيح ؟

رجل ٣ : هذا صحيح، كان يقول لي كم يأخذ هذا بعين الاعتبار . . . كم يأخذكِ أنتِ بعين الاعتبار . . . كم يأخذ رأيكِ بعين الاعتبار .

امرأة، (حذرة) : رأيي ؟

رجل ٢ ورجل ٣ (كجوقة) : لا ، لا ، ليس هذا تماماً . . .

رجل ٢ ، (بتأكيد) : بلى بالتأكيد : يجب قول ماهيته : إنه لشيء لا يُصَدَّق إلى أيّ درجة كل ما تفكرين به . . .

رجل ٣ : أوه نعم، لو كنتِ تعلمين إلى أيّ درجة . . . يعلّق أهمية على ذلك . . .

امرأة : هذا غريب . أنا ، كما تعلمان ، كنت أفكرّ . . .

رجل ٢ ورجل ٣ ، (بنهم) : نعم ؟ كنتِ تفكرين ؟

امرأة : كنتُ أُفكر أنه ببساطة شديدة لم يكنْ ليتحمّل كائناً من كان أن يسمح لنفسه ، حتى لو كنتُ أُنا ذاتي . . .

رجل ٢ : أوه يا لَلخطأ . . . على العكس ، أنا لا أطلب إلاّ هذا ، أن تسمحي لنفسكِ . . .

امرأة : أأنتَ متأكد من ذلك ؟ هل ستتحمّل أن يكون للمرء حكمه الشخصي البسيط ؟

رجل ٢ : حكمه البسيط . . . كم هذا لطيف . حكمه البسيط . . . يا للتواضع . . . حسناً ، هذا الحكم البسيط . . . إنْ كنتِ تريدين . . .

رجل ٣ : أنا لا أقبل هذا التعبير .

رجل ٢ : إنه محق . لماذا «حكم بسيط» ؟ لماذا لا تستعملين كلمة «حكم» ؟

امرأة : طيب ، طيب . جيد جداً . ولكن ليس هذا لإعادة الكرّة ، هيه؟ ليس الآن . لديّ الكثير من الأعمال والحالة هذه . . . هناك أمور مستعجَلة . . .

رجل ٢ ورجل ٣ ، (يقفان ويسدّان عليها الطريق بعذوبة شديدة ، بعذوبة مصطنعة) : بلى ، بلى ، الآن . لم نعد نستطيع الانتظار . ولكن لا

تخافي. لن نؤذيك إطلاقاً. على العكس، تعالي. نحن نحبك كثيراً. تعالي معنا. هنا، هناك... هناك... (يُجْلِسُها رجل ٢ بينهما).

رجل ٣ : لا، ليس بينا؟ ألا تريدين؟ حسناً، اجلسي هنا بالقرب مني. (تنظر المرأة إلى رجل ٣). لا تقولي لي إني أسبّب لك الخوف.

امرأة : الخوف؟ لا. هذا لا... ولكنّ الموضوع هو أنّه...

رجل ٢ : هو أنه ماذا؟ إن كان العمل، فيمكنه الانتظار... إنه أنا الذي أقول لكِ هذا...

رجل ٣ : هيا، أنا واثق من أنكِ لن ترفضي إضاعة بعض الوقت معنا... حتى أنكِ ستستمتعين بذلك، وسوف ترين. إننا نحن مَنْ علينا إيقافكِ وتذكيركِ بأن هناك مهاماً مستعجَلة...

رجل ٢ : نعم، نعم. (مبتسماً جداً).

رجل ٣ : افعلي ذلك من أجله. إنه متعلّق به كثيراً كما تعلمين... ومنذ وقت طويل جداً... وهو متعلّق بكِ بشكل رهيب...

رجل ٢ : هذا صحيح. فمنذ متى ونحن نعمل سويّة؟

امرأة، (بدلال) : أوه أفضّل ألاّ أحسب. فهذا لن يعيد لنا شبابنا...

رجل ٢ : إذاً هاكِ : في البداية عليكِ أن تطلبي المغفرة. ستعترفين بغلطتكِ.

امرأة : آه هكذا إذاً... أتساءل كثيراً لماذا...

رجل ٢ : لأجل ما قلتهِ للتوّ: نعم، إنني ماكنتُ لأسمح لكِ برأي خاص...

امرأة : هذا صحيح.

رجل٢ورجل٣: ولكنْ متى؟ لكن قولي : متى إذاً؟

امرأة، (تصمت).

رجل ٢ورجل ٣ : هيا، ابذلي قليلاً من الجهد. . . ألم يحدث مؤخراً شيء ما ؟. . .

امرأة : لا، أرجوكما. . .

رجل ٢ : أرأيتِ، إنها حقاً القذى والخشبة *. إنك أنتِ مَنْ لا تريدين، بحرية وبهدوء. . . إنكِ أنتِ التي ترفضين. . .

امرأة : أوه لا. . . أو إنني ذاهبة إذاً.

رجل ٢ : على كلٍّ هذا شديد. . . حين أتذكر نقاشاتنا. . .

امرأة : أيّ نقاشات ؟

رجل ٢ : حسناً، لنقل. . . حول التربية. أتذكرين ؟

امرأة، (واثقة من نفسها) : أوه نعم.

رجل ٢ : كنتُ مع السلطة.

(لرجل٣) : أتعلمْ؟ لقد انتهت بأنْ أقنعتني ببراهين إثبات.

(للمرأة) : كما ترين، إنه أنا الذي كنتُ في تلك المرّة. . .

امرأة : كنتَ ماذا ؟

رجل ٣ : انتبه. (للمرأة) : حقاً إذاً قد خضع ؟ حسناً، أتعلمين أنك تستحقين التقدير. إذ يجب القول إنه لا يوجد أكثر منه عناداً. . . حين تكون لديه فكرة في رأسه. . .

---

* تذكير بقول السيد المسيح للإنسان الذي ينتقد أخاه الإنسان مع أنه يعاني من النقيصة ذاتها وأكثر :

« مالك ترى القذى الذي في عينَيْ أخيك ولا ترى الخشبة التي في عينك ».

المترجمة.

امرأة : أوه في هذا نعم . . . هيا ، ينبغي حقاً . . .

رجل ٢ : لا ، لا شيء ينبغي . . . لا شيء سوى إجابتي . فقط أن تقولي لي لماذا . . . نعم ، لماذا كل هذا الظلم ؟ وهذا النقص في التعامل بالمثل ؟

امرأة : لا أفهم . . .

رجل ٢ : ولكن بلى ، داهية مثلكِ تفهم جيداً . . . لأجل قضية كقضية التربية هذه ، حين خضعتُ بعد أن استمعتُ إلى حججكِ ، كانت على الأقل قضية مماثلة في خطورتها . . .

امرأة : مماثلة في خطورتها لماذا ؟

رجل ٢ : مماثلة في خطورتها للموضوع المطروح قبل قليل ، حين دفعتِني . . . حين كنتُ أتوسل إليكِ . . .

امرأة : آه هذا إذاً من جديد . كان يجب أن شكّ في الأمر . كان يجب أن أحذر منه . فهو يبدأ دائماً هكذا . . . من بعيد جداً ، بعذوبة كبيرة . ليصل إلى غاياته . . . لكي يجرّك من مقدمة أنفكَ . . .

رجل ٢ : أي مقدمة أنف تلك ؟ عماذا تتحدثين ؟ أنا لا أريد إلاّ التعامل بالمثل . المساواة الكاملة . كل ما أطلبه منكِ هو أن تجيبيني . . .

رجل ٣ ، (عذباً جداً) : نعم . . . أجيبي . . .

رجل ٢ ، (عذباً) : قولي لنا لماذا ترفضين القبول . . . حين تكون الحقيقة واضحة ؟ ماذا يدور في رأسكِ ؟

رجل ٣ : لتكن لديكِ شجاعة أفكاركِ .

امرأة : الشجاعة ؟ لا حاجة للشجاعة . لستُ الوحيدة . هناك أناس مؤهّلون جداً . لهم سمعتهم الجيدة في أمور أخرى . سيضحكون جداً من مناقشة هذا . . .

رجل ٢ : يضحكون ! سيضحكون من هذا. حسناً، أضحكيني معهم، لا أطلب إلاّ هذا . . . لنضحك معاً . . .

امرأة : أتسمع بأي نبرة تقول هذا ؟ إنْ سمعتُك فقط . . . بررر . . .

رجل ٢ : نعم، بررر، بررر، بررر . . . هذا كل ما تجدينه لتردّي عليّ . . . لا تتجرئين على إخراج هذا السُّخف وعدم الاستقامة ذاك . والقول إنني كنتُ أطلب منها نشرها أمامي . . . فلا بد للمرء من قلب متعلّق جداً ومعدة صلبة .

امرأة : آه أخيراً . . . الآن بدا الأمر واضحاً . . . أعتقد أنكما في هذه المرة ستسمحان لي . . .

تخرج المرأة. صمت.

رجل ٢ : هكذا إذاً . وعليّ أن أتعايش مع هذا بالقرب مني، مختبئاً هنا، رابضاً هناك . . . معرفة أن هذا هناك، دائماً هناك، في زاوية ما . . . كفكرة الموت الحاضرة في كل لحظة موجودة في الخلفية مهما فعلنا . . .

رجل ٣ : أي نعم . . . وصدقني، اعتبر نفسكَ سعيداً . ماذا سيحلّ بكَ مثلاً لو كانتْ زوجتكَ . . . هذا كعذاب إذاً . . .

رجل ٢ : أوه لا أعرف . . . لو كانتْ زوجتي، قد توجد على كلٍّ حظوظ على هذا الصعيد . . . فالأفكار كما تعلم كبيت الزوجية : حتى الآن من الطبيعي أن تتبعه النساء .

رجل ٣ : هذا صحيح . . . وغالباً حين يفعلن ذلك فبصرامة وحرارة . . . إنهن يفعلنَه بإيمان راسخ في قلوبهنّ . . .

رجل ٢ : على كلٍّ أنتَ تعلم أن هناك على ما يبدو بلاداً . . . فمثلاً لدى الأمريكيين . . . هنالك، من الممكن لتصرّفات مثل التي فعلتْها أن

تكون عاملاً للطلاق. نعم بالتأكيد : من أجل تصلّب الدماغ. هذا منصوص عليه في القانون.

رجل ٣ : كي أكون صريحاً... لا أعرف... أعتقد أنه قد يقال لكَ بأنه بالنسبة لواقعة التصلّب... إنه أنتَ بالأحرى... أما هي، المسكينة، فهي لا تفعل سوى أنها تتملّص، فهي لا تطلب إلاّ الحفاظ على الصمت...

رجل ٢ : هذا صحيح.

رجل ٣ : ومن ثمَّ فأنتَ تعلم جيداً أنه حتى في حالة الانفصال، فقد يستمر ذلك بالتأثير عن بُعْد.

رجل ٢ : آه! أليس كذلك؟ عن بُعد. يكفي معرفة أن ذلك هناك، دائماً هناك، في داخلها، لا يبارح ذهنها... وحالما تبدأ فكرة لطيفة وجميلة من أفكارنا بالتكوّن و بإضفاء المرح، وهي طازجة ونقية جداً... نشعر حالاً بما هو آتٍ من هنالك...

رجل ٣ : نعم، حتى من بعيد، يتطاول شيء ما... هيه؟ أهو هكذا تماماً؟

رجل ٢ : ستصبح فكرتنا مُتَلَقَّفة ومجرورة ومسجونة هنالك، ودَبِقَةَ من الرَّيْل ومسطَّحةَ ومسحوقة... كما لو أنّ هنالك ثعباناً قويّ العضلات يخنق فريسته بها...

رجل ٣ : أما أنا، فأرى ذلك بالأحرى كآلة صغيرة، ذات آليّة هَرّاسة وبشكل أتوماتيكي...

رجل ٢ : هو هكذا : بشكل أتوماتيكي. قوة عمياء. من الممكن القول مسبقاً والتنبؤ قبل الأوان...

رجل ٣ : هناك ميكانيكية معيّنة في هذا الدماغ . . . وبـ - شكـ - ـلٍ أ-تو - ما- تيـ - ـكي ، سيقبض، سيهرس وسيحيل إلى غبار إلى عصيدة . . .

رجل ٢ : مَنْ يتنفّس . . . مَنْ يريد الحياة . . . ولا نستطيع شيئاً حيال هذا .

رجل ٣ : لا وسيلة للحراك .

صمت .

رجل ٢ : ومع ذلك ، فمنَ الجيّد وجود حالة من عدم دعم فكرٍ في خطر . . . هيه ؟ وهذا خطير . . .

صمت.

رجل ٣ : خطير جداً . غير محتَمَل . لا يُطاق .

رجل ٢ : لسوء الحظ ، كي تنجده ، لفكرنا الذي في خطر ، لاأرى وسيلة أخرى إلاّ . . .

رجل ٣ : أعرف . إنني أفكر في ذلك أنا أيضاً . إنها الوسيلة الوحيدة الممكنة لمنع هذا الثعبان القويّ الغافي والمسجون في رأسها وبشكل نهائي . . . أو إنْ فضّلتَ أن تكون هذه الآليّة . . .

رجل ٢ : هو هكذا : لا وجود بعد الآن لاسترخاء لايقاوم .

رجل ٣ : لا وجود بعد الآن لآليّة عمل أتوماتيكية .

رجل ٢ ورجل ٣ : سيصبح كل شيء دون حراك ، محطّماً للأبد ومهدَّماً .

رجل ٢ : نعم، ولكن كيف ؟ كيف سيكون محطّماً ؟ كيف سيكون مهدَّماً للأبد ؟

رجل ٣ : بطبيعة الحال، لو كان تحت تصرّفنا . . . كما تعلم . . . ذلك الزر المشهور الذي يقتل الجهابذة . . .

رجل ٢، (منزعجاً) : بالتأكيد، ولكن لا يوجد.

رجل ٣ : إذاً ينبغي عقد العزم . . . ما قولكَ، لاشيء لدينا دون أيّ شيء . . .

رجل ٢ : وهذه المرّة في العزلة الكاملة تماماً. حقاً نحن وحيدان أنا وأنتَ. لم يعد هناك أحد كي يرمي لنا ورقة مكوّرة كما حدث قبل قليل . . . إنهم جميعاً بعيدون جداً عنّا . . . بعيدون جداً عن هذا . . .

رجل ٣، (متوجّهاً للقاعة) : أهذا صحيح ؟ أأنتم بعيدون جداً ؟ إلى مسافات بعيدة جداً ؟ حقاً ؟ ولكن كيف يمكن هذا ؟ بعد كل ما حصل ؟ كلّ ما حدث . . . من أناس لم يكن من الممكن أبداً تصديقهم . . . أناس مثلي ومثلكَ . . . ومن أيّ جماعة من الناس ! وعلى أيّ درجات عظيمة ! . . . كل الحروب الدينية . . . محاكم التفتيش، المحارق، المشانق، الأصفاد، فِرَق الإعدام، ركام الجثث ومعسكرات الاعتقال ؟ حقاً ؟ ألا تستطيعون أن تفهموا ؟

صمت.

رجل ٢ : لا، لافائدة. ليسوا من هؤلاء. كما ترى كلٌّ على حدة. أنقياء جداً. لم يكن لواحدٍ منهم أبداً . . . حتى في كوابيسه . . . ولا واحد هنا، أليس كذلك؟

حسناً إذاً. وحدنا نحن فقط. حين قلتُ لكَ بأن ظهوركَ كان بفعل معجزة . . . لا أحد سوانا : سوى أنا وأنت . . . يجب الخضوع لذلك.

رجل ٣ : وإذاً . . . ماذا تقصد ؟ ما هو الأسلوب ؟

رجل ٢ : أوه، لا شيء غير مألوف إطلاقاً، كما قد يُهيّأ لك . . .

رجل ٣ : ولكنْ مع ذلك ما هو ؟

رجل ٢ : حسناً، فتح صنبور تدفئة الغاز في مكتبها . . . أو إشعال النار . . . افتعال سرقة . . . الاقتراب منها من الخلف ممسكاً بعقال أو بمنديل . . . أو مُدية أو فأس صغيرة . . . لا أعرف .

رجل ٣ : في الواقع، كتصورّ . . .

رجل ٢ : ما بالك، نقوم بما نستطيع فعله .

رجل ٣ : على كل حال تلك تفاصيل . ما يجب التركيز عليه . . .

رجل ٢ : نعم، إنها النتيجة . فليس سواها ذا قيمة . أنا، فقط حين أفكّر بذلك أصاب بضحكات عصبية . ألا ترى هذا ؟ فكرة صغيرة وجميلة خُلقَتْ فينا، طازجة جداً ومتفتّحة . . . تحمل شرارة الحقيقة، يَعسوب، فراشة في منتهى الجمال . . . بإمكانها دون عقاب إطلاقاً، وبحضور تلك الإنسانة، أن تخرج وترفرف ثم تحطّ حيث يحلو لها . . . نعم، تحّط هنالك على تلك الرأس . . .

رجل ٣ : الميتة .

رجل ٢ : ترفرف أمام تلك العينيْن . . .

رجل ٣ : نعم، المطفأتَيْن . . . للأبد .

رجل ٢ : تدخل في تلك الأذن الصمّاء . وتدغدغ ذلك الدماغ الجامد . . .

رجل ٣ : ولا ردّة فعل بعد الآن . إطلاقاً .

رجل ٢ : ومن ثمّ الاختفاء الكامل . لا شيء البتّة . تكاد لاتترك سوى ذكرى (صمت) .

لسوء الحظ، في حالتنا . . . بتلك الوسائل الفقيرة . . . البدائية . . .

رجل ٣ : البدائية . . . قد يكون هذا جميلاً أيضاً . . . كنتُ أقول قبل قليل : يا للَعمل الفظيع غير المتقن . . .

رجل ٢ : بالتأكيد . . . دون أي مساعدة . . . دون أي نجدة من الدولة . أن يقال إن هناك كثيراً من البلاد تأخذ الدولة فيها تلك الأمور على عاتقها وبأي نجاح تفعل ذلك ! . . . ولكنْ هنا، هيه، كل واحد يعمل وحده، متحمِّلاً المخاطر والأخطار.

رجل ٣ : وأي أخطار . . .

رجل ٢ : أرانا . . . محاولَيْن تفسير ذلك لقاضي التحقيق . . .

رجل ٣ : ودفاعنا في محكمة الجنايات . . . مشيرَيْن إلى « دعم الفكر الواقع في خطر » . . .

رجل ٢ : ليس منصوصاً عليه في القانون . . .

صمت.

آه، إنه حلم، كلّ هذا . . . هذه هي ربع ساعة حالمة لنا . . .

صمت.

رجل ٣ : أتعرف ما يواسيني ؟ . . . هو أن كل هذا العمل في نهاية الأمر . . . هذه المخاطرة الجسيمة . . .

رجل ٢ : أعرف : هذا لن يفيدنا بشيء نافع : راحة زائلة فقط . الشيء الكريه . . . تلك الحقيرة الضحلة . . . ذلك الثعبان . . . قد نجده ملفوفاً على نفسه في مكان آخر . . . في رأسٍ أخرى . . . ليست الرؤوس هي التي نفتقدها . . .

رجل ٣ : أوه في هذا لا . تضيع واحدة . نجد عشرة بدلاً منها .

صمت.

رجل ٢ : ليست الرأس ما يجب تدميره، إنها الفكرة . . . وليس حاملها . . . ولكن الفكرة التي يحملها . . . الفكرة وحدها . . . يجب طردها . . . سحقها . . .

رجل ٣ : نعم، التطهير. التنظيف جيداً. جعل المكان نقياً. . .

رجل ٢ : وهكذا قد نستطيع مكانها، وفي الرأس ذاتها وضع. . . والتوسع منها. . . ونشر. . .

رجل ٣ : وتوضيح، في كل المحيط. . .

رجل ٢ ورجل ٣، (في نَفَسٍ واحد) : الحقيقة. . .

صمت.

رجل ٣ : أتعلم ؟، هذا مايدعونه هُمْ، هناك. . . لديهم كلمات لكلّ شيء، مصنوعة خصيّصاً. . . باستطاعتهم إن أرادوا محاولة تهدئتنا من جديد. . . إن أرادوا وضع الأمور في نصابها، ووضعنا في مكاننا. . . باستطاعتهم أن يقولوا لنا إنّما نريد الحصول عليه هو ببساطة «جحود» متبوع «بتوبة». لسنا أول مَنْ يفعل ذلك. . .

رجل ٢ : آه في هذا لا، حين نتذكّر. . . ولكن ليس لأتوقّف عن هذا. . . لن أتشبث أبداً بتجديد الموضوع. . . ولكن ما يمنعني بالأحرى هو أنه قبل قليل كنّا قد حاولنا، هيه. . .

رجل ٣ : قبل قليل لم نعرف كيف نتابع. لقد فقدتَ أعصابكَ. حاول هذه المرة أن تسيطر على نفسكَ وتذكّر : لا هجوم ضد الحامل. . . أقصد ضد الحاملة، بما أنها واحدة والحالة هذه. . . لا شيء ضد شخصها. ما يجب فعله هو تدمير فكرتها. تدميرها بشكل كامل. . مع فكرة أخرى. . . فكرتنا المهاجِمة لفكرتها. . .

رجل ٢ : صراع أفكار. . . وفكرتنا بقوتها فقط. . . لابد أن تستطيع. . .

رجل ٣ : نعم، الانتصار. . . في أيّ مكان كان. حتى هناك. دعها تعود.

رجل ٢ : مَنْ؟

رجل ٣ : الحاملة، بالتأكيد. فالأفكار كما تعلم جيداً بحاجة لحَمَلة كي تصبح متداولة. . .

رجل ٢ : بالطبع. اعذرني، لا أعرف فيما كنتُ أفكّر. . . ولكنّ الحاملة. . . أخشى هذه المرّة. . . حالما تتأكد من أن الأمر ليس من أجل العمل. . . أقصد، ليس من أجل ما اتُفِقَ على تسميته «بالعمل». . . بالأحرى هيا بنا لنذهب إليها، لندخل كما لو أن شيئاً لم يكن. . .

رجل ٣ : نعم، نتظاهر باللامبالاة. . . وعلى الله الاتكال. . .

يخرجان ثم يعودان.

رجل ٣ : أأنتَ سعيد إذاً؟ لقد وصلنا مع ذلك لهدفنا. . .

رجل ٢ : نعم. . .

رجل ٣ : يبدو عليك الخيبة. . . لقد قمنا مع ذلك بعمل جميل. أنا خاصة. . . لأنكَ أنتَ. . . مرّتْ لحظات في البداية خُيِّل إليّ بأنكَ كنتَ ستتراجع إلى الوراء. . .

رجل ٢ : ماذا تريد. . . لرؤيتها فقط. . . لها نظرة أحياناً، ابتسامة تجرّدني من سلاحي. . . شيء ما طيب و. . .

رجل ٣ : هذا معروف، هي شجاعة جداً. . . ولكنّنا قد قرّرنا أنها لن تدخل في الحسبان. ما كنّا نقصده هي فكرتها. . .

رجل ٢ : حسناً لابد من أن نكون مسرورَيْن، لقد جحدتُ بها، لقد طردتُ فكرتَها. . . وفي مكانها وضعتُ. . .

رجل ٣ : نعم، الوضوح. التأكيد. لقد قبلتُ به. . . وليس فقط من رؤوس الشفاه. . .

رجل ٢ : لا. . . ليس من رؤوس الشفاه. . ولكن. . .

رجل ٣ : من رؤوس ماذا إذاً ؟

رجل ٢ : حسناً . . . حين دخلنا ، أرأيتَ؟

رجل ٣ : رأيتُ رقبتها مضاءة بالمصباح . . . فذكرتني بمشاريعنا . . .

رجل ٢ : أما أنا فلا ، لقد حنَّن قلبي هذا . شيء بريء . . . دون دفاع . . .

رجل ٣ : لقد وضعتَ يدكَ على كتفها ، بهدوء . . . بحنان . . .

رجل ٢ : أرأيتَ إذاً ؟

رجل ٣ : لقد رأيتُ كيف فَزِعَتْ ، لا دهشة في ذلك ، فهي لم تكن تنتظر هذا ، فالتفتتْ ووضعتْ يدها على قلبها وقالت : «أوه ، لقد أخفتني . . . » .

رجل ٢ : أهذا كل شيء ؟ ألم ترَ شيئاً آخر ؟

رجل ٣ : لا ، لا شيء .

رجل ٢ : ولكني أنا أعرفها . لقد فهمتْ كل شيء في تلك اللحظة . نعم ، بلمح البصر ، رأتْ كل شيء ، ما كنّا نريده . . ما كان ينتظرها ، وإذاً . . .

رجل ٣ : إذاً ماذا؟

رجل ٢ : حسناً هذا سهل حَزْره : لقد اتخذتْ قرارها حالاً وفي اللحظة ذاتها . لقد قررتِ الاستسلام .

رجل ٣ : أتعتقد ذلك ؟

رجل ٢ : أنا متأكد منه .

رجل ٣ : هذا لا يبدو لي معقولاً . كانت ستستسلم بأسرع من هذا .

رجل ٢ : أترى أن هذا كان طويلاً ؟ كان يجب المماطلة قليلاً على ما أظن . . . هذه طفولة الفن . . . كان لابد من أن تُظْهِر لنا ، بجسدها المدافع

وانهزامها باندفاع حججنا الذي لا يقاوم، أنه كان عليها. . . تلك كانت الوسيلة الوحيدة للتخلّص منا ومنعنا من إعادة الكرّة. . .

رجل ٣ : لا انتظر. . . لنرَ قليلاً. . . حين بدأتَ فعلكَ في التقارب. . . منطلقاً من بعيد، خلْسةً. . . لابد من أن أقول هنا إنني أُعْجِبْتُ بكَ. . . لقد تركتُكَ تأتي. . .

رجل ٢ : نعم، وبعد ذلك، حين تقدّمتُ في الأرض المُكْتَشَفَة. . . وتقول لي إنني لم أفعل شيئاً وإنه أنتَ بشكل خاص. . . في النهاية. . . لا أقصد هذا. . . وإذاً حين بدأتُ بالفعل حقاً، كانت هي. . .

رجل ٣ : لم يبدُ عليها الاستسلام.

رجل ٢ : لا. لقد قلتُ لك ذلك منْ قبلُ: لم ترغب بالاستسلام مباشرة. لقد أخذت احتياطاتها أولاً. . . وأمسكتْ بفكرتها ثم دفعتها بسرعة وخبأتها في زاوية سرية. . . إنها خزانة حبستْ فيها صغيرتها العزيزة في منأى عن ضرباتنا. . . ثم تركتنا نأتي بإبداء تظاهر في الدفاع. . .

رجل ٣ : وللحظة مع ذلك قامتْ. . . كنتُ أتحفّز لسدّ الطريق عليها. . .

رجل ٢ : كان هذا دون نفع أبداً. فقد عادتْ وجلستْ.

رجل ٣ : نعم، هذا صحيح.

رجل ٢ : لم تكنْ تلك إلاّ انتفاضة.

رجل ٣ : نعم، من الممكن أنها حركة تمرّد. . . كانت ترى ولاشكّ أننا نبالغ. لا تغضب، ولكن كان ذلك في اللحظة التي من الممكن خلالها الاعتقاد. . . استطاعت أن تعتقد أخيراً أنه إن لم تستسلم. . . إنها تعتمد على كل حال عليكَ قليلاً. . .

رجل ٢ : أنتَ تحلم، لم تستطع الاعتقاد بذلك. . . أنا أستخدمُ مثل هذه الوسائل! . . . إنها تعرفني أكثر من اللازم. . .

رجل ٣ : أعرف، لقد قلتُ فقط إنها قد تخيّلتْ. . .

رجل ٢ : لا شيء البتّة. مرّتْ عليها لحظة. . . هذا إنساني كما تعرف. . . كان هذا أقوى منها. . . لقد أرادتْ الهرب حاملةً فكرتها العزيزة معها. فلا بد أن الصغيرة قد فقدتْ صبرها، ولابدّ أنها كانتْ تدقّ لتخرج من مخبئها. . . ولكنها أسكتتها، وجلستْ من جديد بهدوء، جاهزة لتتحمّل كل شيء حتى النهاية. في اللحظة التي كانت فيها فكرتها بأمان حيث لا يمكن لشيء أن يصيبها. . .

رجل ٣ : لابد أنك محق. بدتْ عليها التسلية حين كانت تنظر إليكَ وأنت ترفع حججكَ. والمضحك هو حين طلبتَ مني أن تستغني أنتَ عن الأحداث. . . بسرعة. . .

رجل ٢ : آه ! وأي أحداث، هيه ؟ آلة رائعة.

رجل ٣ : كنتُ أراكَ وأنتَ تدفع هذا. تضرب بقوة. . . لقد بدا لي تماماً في تلك اللحظة أيضاً أنها قد بدأتْ تستسلم. ظننتُ أنها شرّعتْ أبوابها لتَدْخُلَ الحقيقةُ. . . ولتخترقَ كل مكان. . .

رجل ٢ : كلّ مكان ؟ ولكن ليس الزاوية السرّية المحميّة جيداً حيث تختبئ فكرتها الصغيرة. . . صدقني، يمكن القول بأننا كنّا نضرب بسيفنا في الماء. ولكن حتى الماء لم يكن موجوداً. كنّا نضرب بكل قوانا في الفراغ. . . ففكرتها خاصتُّها، هناك سليمة. أنا متأكد من أنها في هذه الساعة قد خرجتْ من مخبئها. . . وهي تهاجم الآن الحقائق الكبيرة الجميلة التي راكمناها وتركناها وراءنا. . . إنها تدبق بها وتدور حولها وتحاوطها. . . (يئن) أوه انظر، ها هي. . .

رجل ٣ : مَنْ إذاً ؟

رجل ٢ : ولكنْ، الحاملة. . .

تدخل المرأة مشغولة عند الطاولة بترتيب الأوراق.

(بصوت خفيض) : مازالتْ في داخلها كما ترى.

رجل ٣، (بصوت خفيض) : أنتَ حق، إنها مازالتْ في داخلها، فكرتها تلك. . . لم تُمسّ. . . لم تتغيّر مثقال ذرّة. . . هذا واضح للعيان. . . لا شيء سوى هذا المظهر. . .

رجل ٢ : نعم، العنيد، المغلَق، المحدود والواثق من نفسه، أوه. . . (يئن).

رجل ٣ : والسرّي. هذا تماماً ما يمكن تسميته البقاء على «تحفّظها».

رجل ٢، (يئن وينهض) : أوه، أمسكني. . .

رجل ٣ : هيا هيا، تمالكْ نفسك، قليلاً من الهدوء. . . (يعود رجل ٢ ويجلس).

تخرج المرأة. صمت.

رجل ٢ : أتعلم ؟ لا أعرف ما يحصل لي. . . هذا غريب. . . (وكأنه فوجىء) : أوافق نعم. (غاضباً جداً). أوافق. (بنبرة مُثْقَلة) : أوافق. (بنبرة هادئة) : أوافق. (بنبرة حازمة ومقرِّرة) : أوافق. لتحتفظ بفكرتها في داخلها. لتحتضنها. لتهتم بها. لتغذّها. . . لا فرق عندي. . .

رجل ٣ : ليس هذا معقولاً ؟. . . لا تقل لي إنك أصبحتَ واحداً من اللامبالين. . . واحداً من الفاترين، الأفكار بالنسبة لهم. . .

رجل ٢ : ولكن ما بالكَ ! كيف تستطيع أن تفكر هكذا. . . لا، إطلاقاً.

رجل ٣ : فإذاً، كي لا تعود للعذاب، فمن الممكن أنكَ وجدتَ مسماراً قد طرد آخر؟ وجدتَ مسماراً ضخماً وجيداً ؟

رجل ٢ : أوه لا، لا وجود للمسمار. لا شيء يستطيع طرد... فكرتي أن هنا؛ «إنها تسكنني» كما يقال... ومع ذلك فأنا أوافق أن تكون الأخرى، فكرتها هنالك، حيّة...

رجل ٣ : آه، لقد رضختَ إذاً لذلك. لا يُبْلَغ المستحيل، أليس كذلك؟

رجل ٢ : لا، على الإطلاق، أنتَ مخطئ.

رجل ٣ : أنتَ تصبر على وجعكِ.

رجل ٢ : لا لا، ليس هذا.

رجل ٣ : يبدو أنكَ قد أذعنتَ.

رجل ٢ : لا، أنتَ لم تستوعب الأمر على الإطلاق. من الأفضل لكَ أنْ ترفع يديكَ عجزاً.

رجل ٣ : طيب، أرفعهما.

رجل ٢ : اعلمْ إذاً أنني مسرور، وراضٍ جداً. هذا كل ما أطلبه : فكرتها عندها وفكرتي عندي. «كلٌّ على دينه، الله يعينه». لن يُقْتَلَع شيء مِنْ أحد ولا غزوات بعد الآن.

رجل ٣ : ولكنْ قل لي، هذا ما يسمى «بالتسامح». آه أنا أعرف (يشير إلى القاعة) هناك مَنْ سيكون مسروراً. لا حاجة بعد الآن لرمي الأوراق المكوّرة حتى تذكّرنا بالمشاعر الطيبة. وأنتَ الآن مَنْ يعطي مثالاً حياً على ذلك...

رجل ٢ : ماذا؟ التسامح من جديد؟ دائماً تلك الكلمات التي تخنق والتي تشوّه... بمجرّد أنْ قلتُ إن فكرتها تستطيع جداً أن تعيش وتتغذّى، تواً ومباشرة ظننتَ أن كل شيء قد عاد إلى نصابه. هذا تسامح... بالتأكيد لا، لا أقصد هذا. إنني أفكر فقط بفكرتي أنا وحدها دون غيرها... لم أعد أريد لها التذلل بعد الآن... ولا أريد لها

الاحتكاك المباشر المقرف وجهاً لوجه. . . ليدعنا الجميع وحدنا، أنا وهي. وحدنا. . .

صمت.

اعذرني، لا أريد إغضابكَ، من المزعج أن أقول لكَ هذا، لكَ أنتَ. . . كنتَ طيباً جداً وصبوراً جداً. . . ولقد استغللْتُ الوضع كثيراً. . . ولكني الآن كما ترى لم أعد بحاجة للمساعدة. . . لم أعد بحاجة لدعمٍ من أحد. لم نعد بحاجة إلاّ لهذا: أن نكون وحدنا، وحدنا تماماً، أنا وفكرتي. وحتى. . . أنه غريب. . . كما ترى كيف يتغيّر المرء. . . وحتى هذا كان سيساعدنا لو كنتَ ضدّنا. . . نعم، إنه هكذا. . . أن يكون الجميع ضدّنا. أنتَ. والصديق الذي كان هنا قبل قليل. . . على كلّ كيف لي أن أعرف حين كان يوافقني. . . إنْ لم يكنْ هذا من قبيل التهذيب. . من قَبيل الكسل. . . وأنتَ أيضاً قد تكون كذلك. . . من قبيل اللطف. . . الله أعلم. . . ولكن انتهى الأمر. لا حاجة بعد الآن لمعرفة ما في القلوب وما في النفوس. نعم، الجميع ضدنا. هم أيضاً، هناك. . . تَصَوَّرْ ذلك فقط. . . هذا غريب. . . إنه يريحني. . . ولكني لا أتصوّره. . . أشعر أنهم قد استجابوا لي. . . على كلٍّ فإن رغبتي هي عادةً من الرغبات التي لها الحظ الأكبر في أنْ تُشْبَع. . . انظر إليهم. انظر إلى أين وصلوا، أين يمكثون، على أيّ مسافة. . . في مسافة لا يمكن للتعاطف تجاوزها، ولا لأيّ تواطؤ. نظراتهم ثابتة ومحدّقة. . .

صمت.

هذا غريب، أعتقد الآن أنني بدأت أفهم للمرة الأولى. . . شيء صغير، شيء صغير جداً ودون أهمية يقودك أحياناً إلى هناك حيث

لم تكن تعتقد أبداً أنه يمكنكَ أن تصل إليه . . . إلى الأعماق العميقة للعزلة . . . في الأقبية ، والمعتقلات والسجون والتعذيب حين تُرفَعُ البنادق على الأكتاف ، حين تضغط سبطانة المسدس على الرقبة ، حين يلتف الحبل ، حين تسقط الفأس . . . في تلك اللحظة التي ندعوها باللحظة القصوى . . . بأي عنف تنهض . . . وتتحررّ من غلافها متفجِّرة وتنتشر ، إنها هي الحقيقة ذاتها . . . الحقيقة . . . هي وحدها . . . بوجودها فقط تُصدِر الأوامر . . . كل ما حولها وبطواعية ، لا شيء يقاومها . . . ينتظم كل ما حولها . . . إنها تنير . . . (تخفت الإضاءة) . . . يا لَلضياء . . . يا لَلنظام . . . آه نعم . . . إنها اللحظة المناسبة . . . إنها النهاية . . . ولكنْ لي فقط ، ولكني لستُ شيئاً ، أنا غير موجود . . . وهي ، بأيّ قوة . . . خارج غلافها تتفجر ، تنهض ، تتحررّ ، تنتشر . . . تضيء . . . (تخفت الإضاءة) . . . لا أحد يستطيع . . . إنه هكذا . . . لا نستطيع شيئاً حيالها . . . هذا نعرفه جيداً (تخفت الإضاءة) ، أليس كذلك ، إننا نقول ذلك كثيراً : تنتصر الحقيقة دائماً . . . بالنسبة لها ، يُخشى من شيء . . . آه إنها تعرف تماماً كيف تدافع عن نفسها . . . (تنطفئ الإضاءة) بوجودها فقط . . . بحضورها فقط . . . وحدها . . . وحدها فقط . . . وحدها تماماً . . .

مسرح
ناتالي سارّوت

من أجل نعم أو من أجل لا

ترجمة: ريم منصور الأطرش

العنوان الأصلي للمسرحية بالفرنسية :

Pour un oui ou pour un non

من أجل نعم أو من أجل لا

رجل١ - رجل٢

رجل٣ - امرأة

رجل ١ : اسمع، كنتُ أريد أن أسألكَ . . . لهذا أتيتُ . . . كنتُ أريد أن أعرف . . . ماذا حدث ؟ ما الذي يجعلكَ ضدي ؟

رجل ٢ : ولكن لا شيء . . . لماذا ؟

رجل ١ : أوه، لا أعرف . . . يبدو لي أنكَ تبتعد . . . لم تعد تتصل بي أبداً . . . لابد أن أتصل أنا دائماً . . .

رجل ٢ : أنتَ تعرف جيداً أنني نادراً ما أبادر، فأنا أخاف أن أزعج أحداً .

رجل ١ : ولكنْ ليس معي ؟ أنت تعرف أنني سأقول لكَ ذلك . . . ليس هذا لبُّ الموضوع على كل حال . . . لا، أشعر أن هناك شيئاً ما . . .

رجل ٢ : ولكنْ ماذا هناك حسب اعتقادك ؟

رجل ١ : هذا بالضبط ما أتساءل عنه . لقد بحثت كثيراً . . . أبداً . . . ومنذ سنوات عديدة . . . لم يحدث بيننا شيء ما أبداً . . . لا شيء أتذكره . . .

رجل ٢ : أما أنا، فعلى العكس، هناك أشياء لا أنساها . كنتَ دائماً لبقاً جداً . . . ومرّتْ ظروف . . .

رجل ١ : أوه ما هي ؟ أنتَ أيضاً كنتَ كاملاً مكمَّلاً دائماً . . . صديقاً موثوقاً . . . أتذكر كم كنّا نحنّن قلب والدتكَ ؟ . . .

رجل ٢ : نعم، مسكينة ماما . . . كانتْ تحبّك جداً . . . وتقول لي : « آه، إنه على الأقل صديق حقيقي، باستطاعتكَ دائماً الاعتماد عليه » . وهذا ما فعلتُه على كل حال .

رجل ١ : وإذاً؟

رجل ٢ ، (رافعاً كتفيه، غير مبالٍ) : . . . وإذاً . . . ماذا تريد أن أقول لكَ !

رجل ١ : بالتأكيد، قل لي أي شيء . . . أعرفكَ أكثر من اللازم : هناك شيء ما قد تغيّر . . . كنتَ دائماً، والحالة هذه، على مسافة بعيدة نسبياً . . . عن كل الناس . . . ولكنك الآن معي . . . أمسِ أيضاً على الهاتف . . . كنتَ في الطرف الآخر من العالم . . . يؤلمني هذا لو تعلم . . .

رجل ٢ ، (باندفاع) : ولكني أنا أيضاً، تصوّر . . .

رجل ١ : آه أترى ؟ أنا محق إذاً . . .

رجل ٢ : ماذا أقول . . . أنا أحبكَ بقدر ما تحبني وأكثر كما تعلم . . . لا تصدّق هذا إنْ أردتَ . . . ولكنه أقوى مني . . .

رجل ١ : ما هو الذي أقوى منك ؟ لماذا لا تقوله لي ؟ حصل إذاً شيء ما . . .

رجل ٢ : لا . . . لا شيء حقاً . . . لا شيء يمكن قوله . . .

رجل ١ : بالرغم من هذا، حاول . . .

رجل ٢ : أوه لا . . . لا أريد . . .

رجل ١ : لماذا ؟ قل لي لماذا ؟

رجل ٢ : لا، لا تُجبرني . . .

رجل ١ : إنه إذاً أمر فظيع جداً ؟

رجل ٢ : لا ، ليس فظيعاً . . . ليس هكذا . . .

رجل ١ : ولكن ما هو إذاً ؟

رجل ٢ : إنه . . . إنه بالأحرى لاشيء . . . ما يدعى لا شيء . . . ما ندعوه هكذا . . . إن تكلمتَ فيه فقط أو أثرتَ هذا الأمر . . . يمكن أن يجرّك إلى . . . كيف سنبدو ؟ لا أحد ، والحالة هذه . . . لا أحد يجرؤ على ذلك . . . لا أحد يتكلم عن هذا البتّة . . .

رجل ١ : حسناً ، أسألكَ بحق كل ما تدّعيه بأنني أمثّله لكَ . . . بحق أمكَ . . . بحق أهلنا . . . أتوسّل إليكَ بجوارحي ، فلن تستطيع التملّص . . . ماذا حصل ؟ قله . . . أنتَ مدين لي بذلك . . .

رجل ٢ ، (بإشفاق) : قلتُ لكَ : لا شيء يمكن قوله . . . لا شيء يُسْمَح بقوله . . .

رجل ١ : هيا ، قل . . .

رجل ٢ : حسناً ، إنها كلمات فقط . . .

رجل ١ : كلمات ؟ بيننا ؟ لا تقل لي إننا تخاصمنا فيما بيننا بكلمات . . . هذا غير ممكن . . . إذاً لكنتُ تذكرت ذلك . . .

رجل ٢ : لا ، ليستْ كلمات هكذا . . . كلمات أخرى . . . ليست تلك التي نقول عنها بأننا «تخاصمنا» حولها . . . إنها بالضبط كلمات لم «نتخاصم» حولها . . . لا تدري كيف تأتيكَ . . .

رجل ١ : ما هي ؟ أيّ كلمات ؟ أنتَ تُضنيني . . . أنتَ تسخر مني . . .

رجل ٢ : ولكنْ لا ، أنا لا أسخر منكَ . . . بما أنني أقولها لكَ . . .

رجل ١ : وإذاً ؟ ما الذي سيحصل ؟ أنتَ تقول لي بأنه لا شيء . . .

رجل ٢ : تماماً، إنه لا شيء . . . وبسبب هذا اللاشيء . . .

رجل ١ : آه سنصل . . . إنه بسبب هذا اللاشيء قد ابتعدتَ ؟ وأردتَ قطع صلتكَ بي ؟

رجل ٢ ، (يتنهّد) : نعم . . . بسبب هذا . . . لن تفهم أبداً . . . لا أحد، والحالة هذه، بإمكانه أن يفهم . . .

رجل ١ : ومع ذلك حاول . . . أنا لستُ بليداً جداً . . .

رجل ٢ : أوه بلى . . . في هذا إنكَ لكذلك . أنتم كلكم هكذا، والحالة هذه .

رجل ١ : إذاً، أتحدّاكَ، قلْ . . . وسنرى . . .

رجل ٢ : حسناً . . . قلتَ لي منذ زمن ليس ببعيد . . . قلتَ لي . . . حين افتخرتُ بشيء ما لم أعد أعرف ما هو . . . بنجاح لم أعد أذكره . . . نعم . . . أمر سخيف . . . حين حدثّتكَ عن ذلك . . . قلتَ لي : « إنه لجيِّدٌ . . . هذا . . . » .

رجل ١ : أعدْ ذلك أرجوك . . . لابد أني لم أسمع جيداً .

رجل ٢ ، (مستجمعاً شجاعته) : قلتَ لي : « إنه لجيد . . . هذا . . . » . بهذا التردد تماماً . . . بهذه اللهجة . . .

رجل ١ : هذا ليس صحيحاً . لا يمكن للأمر أن يكون هكذا . . . هذا من غير المعقول . . .

رجل ٢ : أترى، لقد قلتُ لك ذلك من قبل . . . ما الفائدة ؟ . . .

رجل ١ : ولكن لا، أحقاً ليس الأمر مزاحاً ؟ أتتكلّم جِدياً ؟

رجل ٢ : نعم . جداً . جدياً جداً .

رجل ١ : اسمع وقل لي إنْ كنتُ أحلم . . . أو إنْ كنتُ مخطئاً . . من الممكن أنكَ كنتَ تُعلِمُني بنجاح ما . . . أيّ نجاح على كل الأحوال هذا؟ . . .

رجل ٢ : أوه لا يهمّ. . . أيّ نجاح . . .

رجل ١ : وإذاً من الممكن أني قلتُ لكَ : « إنه لجيد، هذا ؟ »

رجل ٢ ، (يتنهّد) : ليس تماماً هكذا . . كان بين « إنه لجيد » و «هذا» فاصل أكبر : « إنه لجيييد . . . » ومن ثمّ هناك تردّد قبل الوصول إلى « هذا » . . . ليس ذلك دون أهمية .

رجل ١ : وهذا . . . نعم، حان الوقت لقول ذلك . . . وذلك الـ « هـذا» المسبوق بتردّد دفعكَ لقطع الصلة . . .

رجل ٢ : أوه . . . لقطع الصلة . . . لا ، لم أقطع الصلة . . . أقصد ليس تماماً . . . إنه ابتعاد بسيط فقط .

رجل ١ : كانتْ مع ذلك فرصة سانحة جداً للتخلّي ، لكي لا تعود لرؤية صديق قديم . . . أخ . . . أتساءل ما الذي منعكَ . . .

رجل ٢ : لأن ذلك غير مسموح به . لم أحصل على الإذن .

رجل ١ : آه ؟ وهل طلبتَه ؟

رجل ٢ : نعم قمتُ ببعض الإجراءات . . .

رجل ١ : لدى مَنْ ؟

رجل ٢ : حسناً، لدى مَنْ يتمتعون بسلطة إعطاء هذه الأذون . هم أناس طبيعيون، أناس ذوو حسّ سليم، كهيئة المحلّفين في محكمة الجنايات؛ هم مواطنون من المؤكّد أنهم جديرون بالاحترام . . .

رجل ١ : وإذاً ؟ ماذا قالوا لكَ ؟

رجل ٢ : كان ذلك متوقعاً إذاً . . . لم تكن حالتي هي الوحيدة، والحالة هذه . كان هناك حالات أخرى من النوع ذاته : بين آباء وأبنائهم، بين أخوة وأخوات، بين أزواج وبين أصدقاء . . .

رجل ١ : سمحوا لأنفسهم بقول : « إنه لجيد . . . هذا » بتردد كبيررر ؟

رجل ٢ : لا ليست تلك الكلمات . . . ولكنها كلمات أخرى أكثر حسماً . . .
ولم يكن هنا من فائدة تُرجى : كل دعاوانا كانت مرفوضة . هناك المحكوم عليهم بمصاريف الدعوى ؛ وبعضهم ملاحقون مثلي .

رجل ١ : ملاحَق ؟ أنتَ ؟

رجل ٢ : نعم . إثر هذا الطلب ، حققوا بخصوصي واكتشفوا . . .

رجل ١ : آه ؟ ماذا ؟ ماذا ستخبرني ؟

رجل ٢ : علموا أنه حدث وأن قطعت صلاتي حقاً مع أناس مقرَّبين جداً . . .
لأسباب لم يفهمها أحد . . . حُكِمَ عليّ . . . غيابياً . . . بناء على طلبهم . . . وأنا لا أعرف شيئاً . . . لقد علمتُ أنّ لي سجّلاً في السوابق العدلية حيث أُشير إلى أني « الشخص الذي يقطع الصلات من أجل نعم أو من أجل لا . » وهذا ما دعاني إلى إعمال تفكيري . . .

رجل ١ : ولهذا أخذتَ احتياطاتك معي . . . لا شيء من العِرافة . ولا شيء من الانفتاح . . .

رجل ٢ : من الممكن فهمي . . . « يقطع الصلات من أجل نعم أو من أجل لا . . . » أتعقِل هذا ؟

رجل ١ : الآن تذكرتُ : لابد أن هذا معروفاً . . . كنتُ قد سمعتهُ قبل الآن .
لقد قيل لي عنكَ : « كما تعلم ، إنه شخص يجب الحذر منه . يبدو أنه صديق صدوق ومُحب . . . ومِنْ ثمّ ، «طج» ! من أجل نعم أو من أجل لا . . . لا يُرى أبداً . » لقد أثار هذا حنقي وحاولت الدفاع عنكَ . . . وها أنتَ حتى معي . . . لو أُنبئتُ بهذا مسبقاً . . . لقد حان الوقت حقاً لقول ذلك : من أجل نعم أو من أجل لا . . . لأنني

قلتُ : « إنه لجيد، هذا » . . . أوه عفواً، لم ألفظها كما يجب : « إنه لجيييد . . . هذا . . . »

رجل ٢ : نعم . بهذه الطريقة . . . تماماً هكذا . . . بهذه النبرة على كلمة «لجيد» . . . بهذا المطّ . . . نعم ، إني أسمعكَ ، إنّي أتخيّلكَ . . . «إنه لجييد . . . هذا . . . » وأنا لم أقل شيئاً . . . ولن أستطيع أبداً قول شيء . . .

رجل ١ : ولكنْ بلى ، قله . . . بيننا على الأقل . . . قله . . . قد يمكنني الفهم . . . سيريحنا هذا . . .

رجل ٢ : ألأنّك لا تفهم ؟

رجل ١ : لا ، أكرّر لكَ . . . من المؤكَد أني قلتُ هذا ببراءة شديدة . أما ما تبقّى ، فأقسمُ برأسي إنْ كنتُ أذكر . . . متى قلتُ هذا وبأي مناسبة !

رجل ٢ : لقد استغللتَ تهوّري . . . أعترف أنني كنتُ أبحث عنكَ . . .

رجل ١ : ولكنْ ما الذي تقوله ؟

رجل ٢ : نعم . لقد ذهبتُ إليك ، هكذا ، فارغ اليدين ، دون أيّ دفاع . انتابتني فكرة غنية بأن أفتخر بنفسي . . . أردتُ تقييم نفسي . . . فذهبتُ إليك ! . . . وأنا أتفاخر بنجاح صغير لا أدري ما هو . . . حاولتُ التسلّق إليكَ . . . أردتُ الصعود إلى أعلى حيث تسكن أنت . . . وقد رفعتني من رقبتي ، وأمسكتني بيدك ثم جعلتني أدور و أدور . . . ثم تركتني أقع أرضاً وأنتَ تقول : « إنه لجييد . . . هذا . . . »

رجل ١ : قل لي أهذا ما شرحتَه في طلبكَ ؟

رجل ٢ : نعم ، تقريباً . . . لم أعد أذكر ذلك جيداً . . .

رجل ١ : ودُهِشْتَ من رفضهم لكَ ؟

رجل ٢ : لا ، كما تعلم . . . في الواقع ، منذ زمن طويل لم يعد يدهشني شيء في مثل هذه الأمور . . .

رجل ١ : مع ذلك ، فقد حاولتَ . . .

رجل ٢ : أي نعم . . . كانت تبدو لي الحالة جليّة .

رجل ١ : أتريد أن أقول لك شيئاً ؟ خسارة أنكَ لم تستشرني ، كان من الممكن أن أنصحكَ في طريقة كتابة طلبكَ . هناك لفظ جاهز تماماً كان يجب استعماله . . .

رجل ٢ : آه ؟ أي لفظ ؟

رجل ١ : حسناً ، إنها كلمة «تكبّر» . ما شعرتَ به في تلك النبرة في كلمة «جيد» . . . في ذلك التردّد ، هذا ما يسمى تكبراً . أنا لا أقول بأنك قد تحصل على الإذن بعدم رؤيتي مطلقاً بسبب هذا ، ولكنك تكون قد تجنبتَ التهمة بطريقة ما . . فنبرة التكبّر كان من الممكن أن تُعْتَبَر ظرفاً مخففّاً . « مفهوم أنه أراد قطع الصلات مع صديق كهذا . . . ولكن بالإمكان إثارة هذا الانطباع الذي جاءه بوجود نوع من التكبّر . . . »

رجل ٢ : آه ؟ أنتَ ترى تلك النبرة إذاً ؟ أنتَ تعترف بها ؟

رجل ١ : أنا لا أعترف بشيء . في الأساس أنا لا أرى لماذا . . . كيف كنتُ أستطيع . . . معك . . . لا حقاً ، لابد أنك . . .

رجل ٢ : آه لا ، توقف . . . ليس هذا . . . ليس أني هذا أو ذاك . . . لا ، لا ، أرجوك ، بما أنك تريد أن نتوصل إلى التفاهم . . . مازلتَ تريده ، أليس كذلك ؟

رجل ١ : بالتأكيد ، لقد قلته لك ، أنا أتيتُ من أجل هذا .

رجل ٢ : إنْ أردتَ ذلك حقاً ، لنستخدم هذه الكلمة . . .

رجل ١ : أيّ كلمة ؟

رجل ٢ : كلمة « التكبّر ». اعترفْ أرجوك بأنه قد حدث، حتى لو كنتَ لا تعتقد بذلك، نعم . . . التكبّر . لم تخطر هذه الكلمة ببالي . أنا لا أجدها أبداً وقت اللزوم . . . ولكنْ الآن، بما أنها في حوزتي، اسمح لي . . . سوف أعيد الكرّة من جديد . . .

رجل ١ : هل ستقدّم طلباً جديداً ؟

رجل ٢ : نعم لأرى، وبحضورك . قد يكون هذا مسلّياً كما تعلم . . .

رجل ١ : من الممكن . . . ولكن لمن تريد تقديم الطلب ؟

رجل ٢ : أوه . . . ما من ضرورة للبحث بعيداً . . . يمكننا أن نجد أيّاً كان في كل مكان . . . هنا مثلاً، بالقرب منّا . . . جيراني . . . إنهم أناس خدومون . . . أناس طيبون . . . ملائمون تماماً لأن يكونوا محلّفين كما نطلب . . . إنهم مستقيمون . يتمتعون بالصلابة ومفعمون بالحسّ السليم . سأناديهم .

يخرج ثم يعود ومعه رجل وامرأته .

ها هو . . . أقدّم لكما . . . أرجوكما . . . لن يأخذ هذا طويلاً من وقتكما . . . بيننا خلاف . . .

هما : أوه ولكنْ نحن كما تعلم لسنا مؤهَّلَيْن أبداً لهذا .

رجل ٢ : بلى، بلى، أنتما مؤهَّلان . . . أكثر من اللازم . ها هو الأمر . صديقي هناك، هو صديق قديم . . .

امرأة : أليس هو الذي غالباً ما حدثتني عنه ؟ أذكر . . . حين كان يتألم . . . كنتَ قلقاً جداً . . .

رجل ٢ : نعم، إنه هو . . . ولهذا بالضبط أنا أتألم كثيراً . . .

امرأة : لا تقل لي إنه حدث بينكما . . . بعد كل هذه الصداقة . . . لقد قلتَ لي دائماً إنه كان في صفّكَ . . .

رجل ٢ : نعم دائماً . وأنا ممتَنّ له في هذا . . .

امرأة : ماذا إذاً ؟

رجل ١ : حسناً، سأقول لكِ ذلك : يبدو أنني كلّمته بنبرة تكبّر . . .

رجل ٢ : لماذا تقول الأمر هكذا ؟ بهذه السخرية ؟ ألا تريد إعادة المحاولة ؟

رجل ١ : ولكن بلى ، بلى بالتأكيد . . . أنا أقول هذا بجدّية ، لقد أغضبتُه . . . فشعر بنفسه مُسْتَضْعَفاً . . . ومنذ ذلك الوقت وهو يتجنبني . . .

هما ، (يصمتان . . . يحتاران . . . يهزّان رأسَيْهما . . .)

امرأة : في الواقع . . . يبدو . . . بأقل تطرّف ممكن . . . أنها ببساطة نبرة تكبّر . . .

رجل ٣ : ولكن كما تعلمون ، فالتكبّر أحياناً . . .

رجل ٢ : آه ؟ أتفهمني ؟

رجل ٣ : أقصد . . . قد لا أذهب في الأمر إلى حدّ عدم الرؤية ، ولكن . . .

رجل ٢ : ولكن ، ولكن ، ولكن . . . أوه ، أنتَ ترى أنه بإمكانكَ فهمي .

رجل ٣ : لن أذهب إلى حدّ قول هذا . . .

رجل ٢ : بلى ، بلى ، ستذهب ، سترى . . . اسمح لي أن أعرض عليكَ . . . هاكَ . . . يجب أن أقول لكَ أولاً إنني أبداً ، ولكن حقاً أبداً ، لم أقبل الذهاب إلى بيته . . .

امرأة : ألا تذهب أبداً إلى بيته ؟

رجل ١ : بلى بالتأكيد . . . ولكنْ ما به ؟ ماذا يقول ؟

رجل ٢ : إنني لا أتحدث عن هذا. كنتُ أذهب لرؤيته. لرؤيته، هذا صحيح. ولكني أبداً، أبداً لم أكن أحاول أن أحتلّ مكاناً ضمن محيطه . . . في الحيّز الذي يعيش فيه . . . أنا لا ألعب هذه اللعبة، أتفهميني ؟

رجل ١ : آه، إنه هذا الذي تريد قوله إذاً . . . نعم، هذا صحيح، أنتَ دائماً كنتَ على الهامش . . .

رجل ٣ : هامشيّ ؟

رجل ١ : نعم، إنْ أردنا قول ذلك. ولكنْ لابد لي أن أقول لقد كسب عيشه دائماً . . . لم يطلب شيئاً من أحد أبداً.

رجل ٢ : شكراً، أنتَ لطيف . . . ولكنْ أين كنّا في الحديث ؟ آه، نعم، إنه هذا، لقد قاله لكما : أنا دائماً على الهامش. هو من عنده وأنا من عندي.

امرأة : هذا طبيعي جداً. لكلٍّ حياته، أليس كذلك ؟

رجل ٢ : حسناً، تصوّري أنه لا يحتمل ذلك. فهو يريد بكل قوّة أن يجذبني . . . إلى هنالك، لعنده . . . يجب أن أكون هنالك معه، وألاّ أتملّص من ذلك . . . فنصب لي شِركاً . . . قرّر وضع فخ.

الجميع : فخ ؟

رجل ٢ : لقد انتهز فرصة . . .

امرأة، (تضحك) : فخُ فرصةٍ ؟

رجل ١ : لا، لا تضحكي. إنه يتكلّم بجديّة، أؤكد لكِ ذلك . . . أيّ فخ ؟ قل لنا . . .

رجل ٢ : حسناً، لقد هنأته بمناسبة ترقيته . . . وقال لي إنها ستعطيه . . . بالإضافة إلى منافع عديدة . . . الفرصة للقيام برحلات ممتعة . . .

رجل ١ : تابع . غدا الموضوع مهماً . . .

رجل ٢ : نعم . رحلات . . . ولقد ذهبت لأبعد ما أذهب إليه عادة . . . فعبرّتُ له عن نوع من الحنين لذلك . . . فعرض عليّ أن يحصل لي ، بفضل علاقاته . . . لقد قمتُ ببعض الأعمال الصغيرة . . . قال لي إنه قد يستطيع أن يطلب من أحدهم ، وهو شخصية لها قيمتها ، أن يقترحني لجولةِ مؤتمرات . . .

امرأة ، رجل ٣ : حسناً ، أجد هذا لطيفاً . . .

رجل ٢ ، (يئن) : أوه !

امرأة ، رجل ٣ : ألا تجد هذا لطيفاً ؟ بالنسبة لي ، فلقد اقتُرِح عليّ . . .

رجل ٢ : ما الفائدة من الاستمرار ؟ لن أصل أبداً لما أريده .

رجل ١ : بلى ، أنا متمسّك بأن تتابع . تابع أرجوك ألم يكن هذا لطيفاً ؟

رجل ٢ : يجب البدء من الأول إذاً . . .

رجل ١ : لا . لنلخّص : أنتَ تحب الرحلات . اقترحتُ عليكَ أن تنال فرصة الجولة . . .

رجل ٢ : نعم . إذاً كما ترون كان لديّ الخَيار . كنتُ أستطيع . . . وهذا ما أفعله عادة حتى دون أن أفكر فيه . . . كنتُ أستطيع التراجع والقول : « لا ، كما تعرف ، أنا والرحلات . . . وخاصة في هذه الظروف . . . لا ، هذا ليس لي » وهكذا كنتُ سأبقى خارجاً . أو أني كنتُ أستطيع الوقوع في الغواية ، والاقتراب من الطُّعم وقضمه فأقول : « حسناً ، أشكركَ ، سأكون سعيداً . . . » ومن الممكن أن أؤخذ وأساق إلى المكان المُحضرَّ لي ، هنالك عنده . . . مكاني اللائق . هذا لم يكن سيّئاً على كلّ حال . ولكني فعلتُ ما هو أفضل . . .

رجل ١ : أحقاً ؟ فعلتَ ما هو أفضل ؟

رجل ٢ : نعم. قلتُ. . . ولكن كيف أجرؤ ؟ . . . فالتفكير بهذا فقط . . .

رجل ١ : أذكر هذا الآن : قلتَ لي لو أردتَ لاستطعتَ . . . فلقد عُرِض عليك في ظروف ممتازة . . .

رجل ٢ : نعم، إنه هكذا . . . يا لَلخزي . . . لقد وضعتُ نفسي في القفص تماماً. كما لو أنني عشتُ دائماً هناك. لقد لعبتُ اللعبة التي تُلْعب في هذه الظروف ؛ بما يناسب كل القواعد. أردتُ أن أرفع من قيمتي فوراً . . . كما يفعل كل شخص هنالك . . . أما حمايته، ولا أبالي، فأنا لم أكن بحاجة إليها، فأنا لديّ أيضاً مكاني هنا، عندهم . . . مكان جيد جداً . . . وأنا أفاخر به لنفسي. كنت ألعب لعبتهم حتى النهاية. وكأني لم أفعل شيئاً إلاّ هذا في حياتي. فلم يكن لديه إلاّ أن يأخذني . . . لقد أمسك بي ووضعني في راحة كفّه وتفحصّني : أترون هذا، انظروا إلى هذا الوديع الطيب، لقد قال إنه هو أيضاً مدعوّ . . . وحتى في شروط يُحسَد عليها . . . وبما أنه فخور بهذا . . انظروا كيف ينتصب . . . آه ولكنه ليس وضيعاً بالقدر الذي اعتقدناه . . . لقد عرف كيف يستحق المعاملة وكأنه عظيم . . . إنه لجيييد . . . هذا . . . إنه لجيييد . . . هذا . . . أوه ولكن ماذا يمكنكم أن تفهموا . . .

رجل ٣ : في الواقع، ليس الشيء الكثير . . .

امرأة : ولا أنا أيضاً، لا أستطيع المتابعة والفهم . . . ليس لديّ الوقت والحالة هذه، لابد أن أذهب . . . ولكن يبدو لي أن هذا الهياج . . . يبدو عليه الاضطراب الشديد . . . وتلك الأفكار من فخ وطُعم . . . ألا يكون من الأفضل . . .

رجل ١ : لا، لا تخشيا شيئاً. اتركانا وأنا سأتدبّر الأمر.

يخرج رجل٣ والمرأة. صمت طويل.

رجل ١ ، (بهدوء) : أتعتقد حقاً إذاً أنني حين حدثتكَ عن التوصية بكَ، كان عبارة عن فخ أنصبه لكَ ؟

رجل ٢ : أنتَ تنصب لي واحداً الآن على كل حال . . . أرأيتَ، لقد وجداني معتوهاً . . . وتريد أن أعطي برهاناً آخر وأكثر وضوحاً على ذلك .

رجل ١ : ولكن لا بالتأكيد . تعرفُ جيداً أنه بيننا . . . أتذكرُ عمليات الغوص تلك ؟ حين كنتَ تدرّبني . . . كانت عظيمة، ومثيرة . . . هل عاملتُكَ مرّة في حياتي كالمعتوه ؟ كالمسلوخ، من الممكن، هذا صحيح . مضطّهد قليلاً . . . ولكن هذا جزء من جاذبيتك . . . هيا، قل لي، أتعتقد ذلك حقاً ؟ أتظنّ أني نصبتُ لك فخاً ؟

رجل ٢ : أوه، نصبتَ . . . لقد بالغتُ . من المحتمَل أنكَ لم تنصبه في البداية حين بدأت تتحدّث عن رحلاتكَ . . . ولكن بعد ذلك، حين شعرتَ بما أصابني من ارتعاش . . . وكأنه حنين . . . حسرة . . . حينها بدأتَ تنشر وتفرش . . . كما تفعل دائماً حين تفرش أمامي . . .

رجل ١ : أفرش ؟ أنا ؟ ماذا أفرش ؟ هل تفاخرتُ مرّة بأيّ شيء مهما كان ؟

رجل ٢ : أنتَ تتفاخر، أوه لا . . . يا للأخرق . . . لقد كان هذا ملائماً لي، إنه أنا مَنْ أخذ يتفاخر . أنا أخرق كبير أمامكَ .

رجل ١ : لقد أطريتَ عليّ في هذا . كنتُ أظن أنه فيما يتعلّق بالفطنة . . .

رجل ٢ : ولكن أنت أكثر فِطنة مني حتماً .

رجل ١ : آه كيف ؟ كيف أكثر فِطنة ؟ كيف، قل لي . . .

رجل ٢ : حسناً حين تقدّم معروضاتك بالضبط . الأكثر دقّة منها . الشيء الرائع هو أنّ وجوده هناك لايبدو بقصد الفرجة . إنه شيء موجود هناك بالصدفة، بشكل طبيعي جداً . إنه موجود وهذا كل ما في الأمر . كالبحيرة، كالجبل؛ فهو مفروض بالوضوح ذاته .

رجل ١ : ما هو هذا ؟ كفى استعارات ! ما هو المفروض ؟

رجل ٢ : السعادة. نعم. السعادات. ويا للسعادات ! الأكثر تقديراً، والأكثر قيمة. السعادات التي يتأملها كل الفقراء الغريبي الأطوار، وأنوفهم ملتصقة بالواجهات الزجاجية.

رجل ١ : مثال على ذلك من فضلكَ.

رجل ٢ : أوه ليس لديّ إلا ورطة الاختيار... إن كنتَ تريد واحداً، فهاكَ واحد من أكثر الأمثلة نجاحاً... حين كنتَ تقف أمامي... متربّعاً على مقعدكَ بشكل مريح، وابنكَ البكر واقفاً بين ركبتيكَ... وصورة الأبوّة كاملة... كنتَ تراه هكذا وتقدّمه...

رجل ١ : ولكنْ قلْ مباشرة بأني كنتُ أستعرض...

رجل ٢ : لم أقل هذا.

رجل ١ : آمل ذلك حقاً. كنتُ سعيداً... تصورّ أنه يحدث لي هذا... وهو واضح عليّ، هذا كل ما في الأمر.

رجل ٢ : لا، ليس هذا كل ما في الأمر إطلاقاً. كنتَ تشعر بالسعادة هذا صحيح... كما كنتما سعيدَيْن أنتَ وجانين حين تقفان أمامي : زوجين كاملين متعانقين، تضحكان بنشوة أو تنظران في عيني بعضكما بعضاً... ولكن زاوية عينكَ كانت تتجه نحوي؛ نظرة سريعة خاطفة متوجهة نحوي، كي ترى إن كنتُ أتأمّل... إنْ كنتُ أتوق إلى هذا كما يجب، كما لابد لكل شخص أن يتوق إليه... وأنا...

رجل ١ : آه لقد وصلنا للموضوع. وجدتُه. وأنتَ...

رجل ٢ : وأنا ماذا ؟ ماذا كنتُ ؟

رجل ١ : أنتَ... كنتَ...

رجل ٢ : هيا قله، كنتُ ماذا ؟

رجل ١ : كنتَ غيوراً.

رجل ٢ : آه لقد وصلنا للموضوع، هذا صحيح. إنه هذا ما تريده تماماً، وهذا ما تبحث عنه، أن أكون غيوراً. . . وكل الأمر يكمن هنا. يكمن كله هنا : لابد لكَ من أن أكون كذلك وأنا لستُ كذلك. كنتُ سعيداً من أجلكَ. من أجلكما. . . نعم، ولكن من أجلكما أنتما فقط. أما بالنسبة لي فلم أكن أريد شيئاً من هذه السعادة. لا حلوها ولا مرّها. .

لم أكن غيوراً ! لستُ، لستُ، لستُ غيوراً. لا، لم أحسدكَ. . . ولكن أمِنَ المعقول هذا ؟ إذاً لن تكون السعادة الكاملة ؟ السعادة الحقيقية المعتَرَف بها في كل مكان ؟ التي يبحث عنها الجميع ؟ السعادة التي تستحق كل الجهود وكل التضحيات ؟ لا ؟ حقاً ؟ كانت هنالك إذاً. . . مختبئة في عمق الغابة، أميرة صغيرة. . .

رجل ١ : أيّ غابة ؟ أيّ أميرة ؟ أنتَ تهذي. . .

رجل ٢ : بالتأكيد أنا أهذي. . . ماذا تنتظر كي تذكّر الناس بذلك؟ « استمعوا إليه، إنه في هذيان تام. . . أيّ غابة ؟ ». ولكن نعم يا أيها الطيّبون، غابة الخرافة حيث تسأل الملكة مرآتها : « هل أنا أجمل مَنْ عليها، قولي لي. . . » وتجيب المرآة : « نعم، أنتِ جميلة، جميلة جداً ولكنْ هنالك في كوخ في عمق الغابة أميرة صغيرة أجمل منك بكثير. . . » وأنتَ كهذه الملكة لا تتحمل احتمال وجود شيء مخبأ في مكان ما. . .

رجل ١ : سعادة أخرى. . . أكبر ؟

رجل ٢ : لا بالطبع، إنه أسوأ من ذلك. إذ اقتضى الأمر فبإمكانك قبول السعادة.

رجل ١ : أنتَ تفاجئني حقاً. . . أأنا بمثل هذا الكَرَم ؟

رجل ٢ : نعم. سعادة أخرى، قد تكون حتى أكبر من سعادتكَ. شرط أن تكون معترَفاً بها ومصنَّفة وبإمكانك أن تجدها على قوائمك. لابد أن تكون موجودة في الجدول بين السعادات الأخرى. لو كانت سعادتي هي سعادة ذلك الراهب في صَومْعته أو المتَعَبِّد على عموده. . . في باب غبطة المتصوّفين والقدّيسين. . .

رجل ١ : في هذا أنتَ على حق، إذ لا حظَّ لي في أن أجدك هناك. . .

رجل ٢ : لا. لا هناك ولا في مكان آخر. فهو غير مكتوب في أيّ مكان.

رجل ١ : سعادة دون اسم ؟

رجل ٢ : لا دون اسم ولا باسم. ليست سعادة إطلاقاً.

رجل ١ : ماذا إذاً ؟

رجل ٢ : إذاً لا شيء يدعى السعادة. ما مِنْ أحد هنا لينظر أو ليعطي اسماً. . نحن في مكان ما في الخارج. . . بعيدون عن كل هذا. . . لا نعرف أين نحن، ولكن على كل حال لسنا على قوائمكَ. . . وهذا ما لا تتحمّله أنتَ. . .

رجل ١ : مَنْ «أنتَ» ؟ لماذا تريد حشري عمداً ؟. . . إذا كنتَ تراني هكذا. . . لو علمتُ أن الموضوع هو أن أسمع هذا. . . لكان من الأفضل لو أني لم آتِ. . .

رجل ٢ : آه ولكنْ هذا لأنه لابد بالتأكيد أن تأتي هيه ؟ كي ترى. . . يجذبكَ هذا. . . يشدكَ، أليس كذلك ؟ ما هو ؟ أهو دائماً هناك في مكان ما خارج حدودنا ؟ أمازال دائماً هذا النوع من. . . الرضى. . . هكذا. . . لا لشيء. . . مكافأة مقابل لا شيء، لا شيء، لا شيء. . .

رجل ١ : هذه المرّة أظن أنه من الأفضل لي الذهاب حتماً . . .

يتجه نحو الباب . يتوقف أمام النافذة . ينظر إلى الخارج .

رجل ٢ ، (يراقبه لحظة . يقترب منه ، يضع يده على كتفه) : اعذرني . . . أنتَ ترى أنني كنت على حق : هذا هو الاندفاع في مثل هذه التفسيرات . . . نتكلّم جزافاً . . . نتطاول في الحديث أكثر مما نفكّر . . . ولكني أحبك كما تعرف . . . وأحسّ بذلك الحب قوياً في مثل تلك اللحظات . . .

رجل ١ : مثل تلك اللحظات ؟

رجل ٢ : نعم ، مثل الآن ، حين توقفتَ هناك أمام النافذة . . . لكي تنظر . . . بتلك النظرة التي قد ترتسم على وجهكَ . . . لديك أحياناً شيء يشبه الاستسلام ، وكأنك تذوب مع ما ترى وتضيع فيه . . . لهذا فقط . . . نعم ، لهذا فقط . . . تصبح قريباً مني فجأة . . . أتفهم لماذا أتمسّك كثيراً بهذا المكان ؟ قد يبدو قذراً قليلاً . . . ولكنّ التغيير قد يكون قاسياً عليّ . . . يوجد هناك . . . من الصعب قول ذلك . . . ولكنك تشعر به ، أليس كذلك؟ كقوّة تشعّ مِنْ هناك . . . مِنْ . . . مِنْ ذلك الزقاق ، مِنْ ذلك الجدار الصغير ، هناك ، إلى اليمين ، مِنْ ذلك السطح . . . شيء مُطَمْئِن ، منعش .

رجل ١ : نعم . . . أفهم . . .

رجل ٢ : لو أنني لن أرى هذا بعد الآن . . . لكان بالنسبة لي كما لو أنّ . . . لا أعرف . . . نعم ، بالنسبة لي ، كما ترى . . . الحياة هنا . . . ولكن ما بكَ ؟

رجل ١ : « الحياة هنا . . . بسيطة وهادئة . . . » « الحياة هنا ، بسيطة وهادئة . . . » هذا من شِعر ڤيرلين ، أليس كذلك ؟

رجل ٢ : نعم، من شِعر ڤيرلين . . . ولكن لماذا ؟

رجل ١ : من شِعر ڤيرلين . إنه لكذلك .

رجل ٢ : لم أفكّر بڤيرلين . . . قلتُ فقط : الحياة هنا، هذا كل ما في الأمر .

رجل ١ : ولكنّ البقية كانت ستأتي من تلقاء ذاتها، لم ينقصكَ سوى المتابعة . . . لقد تابعنا دراستنا في صفوفنا المدرسية مع ذلك . . .

رجل ٢ : ولكني لم أتابع . . . ولكن لماذا عليّ الدفاع عن نفسي هكذا ؟ ماذا هنالك ؟ ماذا حلّ بكَ فجأة ؟

رجل ١ : ماذا حلّ بي ؟ «حلّ» كلمة جيدة . نعم، ماذا حلّ بي ؟ هذا لأنك قبل قليل، لم تتكلّم سدى . . . لقد علّمتني الكثير، تصوّر ! . . . الآن هناك أشياء حتى أنا قادر على فهمها . هذه المرّة، إنه أنتَ مَنْ وضع قطعة الدهن الصغيرة .

رجل ٢ : أي قطعة دهن ؟

رجل ١ : مع ذلك هذا واضح . قبل قليل، حين رأيتني أمام النافذة . . . حين قلتَ لي : « انظر، الحياة هنا . . . » الحياة هنا . . . هذا فقط . . . الحياة . . . حين شعرتَ للحظة أنني جُذِبتُ إلى الطُعم . . .

رجل ٢ : أنتَ مجنون .

رجل ١ : لا . لستُ مجنوناً أكثر منكَ، حين قلتَ بأنني كنت أرمي لكَ الطُعم في الرحلات كي أسجنك عندي في قفصي . . . بدا هذا جنوناً كبيراً، قد لا تكون مخطئاً مع ذلك . . . ولكن هذه المرّة، إنه أنتَ مَنْ جذبني . . .

رجل ٢ : جذبتكَ إلى أين ؟ أين حاولتُ جذبكَ ؟

رجل ١ : ولكن لا تلعب معي دور البريء . . . « الحياة هنا، بسيطة وهادئة . . . » .

رجل ٢ : أنا أولاً لم أقل هذا.

رجل ١ : بلى. قلته ضمنياً. وليستْ هذه هي المرة الأولى. وتدّعي أنك في مكان آخر... خارجاً... بعيداً عن جداولنا... خارج خانتنا... لا علاقة لذلك بالمتصوّفين والقديسين...

رجل ٢ : هذا صحيح.

رجل ١ : نعم، هذا صحيح، لا علاقة لذلك بهؤلاء. لديك الأفضل... فما أكثر أهمية من محيطك، إذ أنعمتَ عليّ بجعلي أدخل فيه كي أستطيع أنا أيضاً أن أتأمل!... «الحياة هنا، بسيطة وهادئة...» فهنا تبقى في منأى عن علاقاتنا الوسخة... تحت حماية العظماء... ڤيرلين...

رجل ٢ : أكرّر لك أني لم أفكّر بڤيرلين.

رجل ١ : طيب. لنفرض، وهذا ما أريده فعلاً. لم تفكر به ولكنك تعترف أنه بالجدار الصغير والسطح والسماء من فوق السطح... كنا في رحابها...

رجل ٢ : أين، أخبرني إذاً ؟

رجل ١ : ولكن في «الشعرية» بالطبع، «الشعِر».

رجل ٢ : يا إلهي! كيف يعود كل شيء للظهور فجأة... فقط بهذا، بهذا الهلال المزدوج...

رجل ١ : أي هلال مزدوج ؟

رجل ٢ : ذلك الهلال المزدوج الذي تضعه دائماً حول هذه الكلمات، حين تلفظها أمامي... «الشعِر» «الشعِريّة» هذا البُعد، هذه السخرية... هذا الازدراء...

رجل ١ : أنا أسخر من الشعِر ؟ أتكلّم بازدراء عن الشعراء ؟

رجل ٢ : ليس عن الشعراء « الحقيقيين» بالتأكيد. ليس عن هؤلاء الذين ستُعْجَب بهم أيام الأعياد على دكاكهم أو في عُرُنِهم. . . الهلال المزدوج ليس لهم أبداً. . .

رجل ١ : ولكن لمَنْ إذاً ؟

رجل ٢ : إنه لـِ. . . إنه لـِ. . .

رجل ١ : هيا قله. . .

رجل ٢ : لا ، لا أريد. قد يجرّنا هذا إلى أبعد من ذلك بكثير. . .

رجل ١ : حسناً سأقوله أنا. إنه معكَ أنتَ أَضع هذه الكلمات بين هلالَيْن مزدوجَيْن. . . نعم، معكَ أنتَ. . . حالما أشعر بهذا في داخلك، من المستحيل أن أتمالك نفسي، فيأتي الهلال المزدوج رغماً عني.

رجل ٢ : ها هو، أظن أننا وصلنا لبيت القصيد، لقد لامستَهُ. ها هي النقطة الأساسية. المنبع هنا تماماً. الهلال المزدوج لي أنا. حالما أنظر من النافذة وحالما أسمح لنفسي بالقول « الحياة هنا»، أجد نفسي فوراً مسجوناً في شعبة « الشعراء». . . في شعبة هؤلاء الذين يوضَعون بين هلالَيْن مزدوجَيْن. . . الذين يُكبَّلون بالحديد. . .

رجل ١ : نعم، هذه المرّة لا أدري إذا تمَّ « الوصول إلى بيت القصيد»، ولكني أشعر أننا نقترب. . . على فكرة، أنا أيضاً وبما أننا وصلنا إلى هنا، هُناك مشاهد أذكرها. . . هناك مشهد بالذات. . . من الممكن أنك نسيتَه. . . حدث يوم كنا نقوم بالتسلّق على الجبال. . . في "الدوفينيه" لقد تسلّقنا حاجز "الإكران" . . . أتذكر؟

رجل ٢ : نعم بالتأكيد.

رجل ١ : كنّا خمسةً: نحن الإثنين وصديقَيْن ودليلاً. كنّا في طريقنا إلى النزول من جديد. . . وفجأة توقفتَ. وأوقفتَ كل الشلّة وقلتَ بنبرة

معيّنة . . «ماذا لو توقفنا للحظة كي نتطلّع؟ فهذا مع ذلك يستحق المشاهدة . . . »

رجل ٢ : هل قلتُ هذا ؟ هل تجرأتُ ؟

رجل ١ : نعم . واضطر الجميع للتوقف . . . كنّا هناك ننتظر . . . نراوح في مكاننا ونُكْدِفُ كالأحصنة . . . في وقت كنتَ أنتَ « تتأمل فيه» . . .

رجل ٢ : أمامكم ؟ لابد أنني قد فقدتُ عقلي . . .

رجل ١ : ولكن لا . كنتَ تُجبرنا على البقاء أمام هذا المنظر شئنا ذلك أم أبينا . . . فلم أستطع المقاومة وقتها؛ فقلتُ : « هيّا لنسرع ، فليس لدينا وقت نضيّعه . . . تستطيع أن تجد في الأسفل بطاقات جميلة عن تلك المناظر عند بائعة القرطاسية . . . » .

رجل ٢ : آه نعم تذكرتُ . . لقد رغبتُ وقتها أن أقتلكَ .

رجل ١ : وأنا أيضاً . والآخرون جميعاً ، لو استطاعوا التكلّم لاعترفوا بأنهم قد رغبوا في دفعكَ إلى الهاوية . . .

رجل ٢ : وأنا . . . نعم . . . بسبب هذه ، بسبب البطاقات تلك . . . كيف استطعتُ أن أعود وأراك ثانية ! . . .

رجل ١ : أوه لابد وأنه بعد برهة حين عاد إليك الأمل من جديد . . .

رجل ٢ : الأمل ؟ بعد هذا ؟

رجل ١ : نعم ، فأنتَ لا تفقده أبداً . لابد أنه انتابك أمل جنوني كما حدث قبل قليل أمام النافذة . . . حين ربتَّ على كتفي . . . « إنه لجيد . هذا . . . »

رجل ٢ : إنه لجيد ، هذا ؟

رجل ١ : نعم بالطبع فأنت تعرف كيف تقول ذلك أيضاً . . . وعلى كل حال فأنت تعرف كيف تلمّح إليه . . . إنه لجييد . . . هذا . . . ها هو

صغير طيب يقدِّر ثمن تلك الأشياء . . . قد لا يُصَدَّق ولكنك تعرف أنه قادر تماماً على ذلك ، بما أنه فظّ جداً . . .

رجل ٢ : يا إلهي ! وأنا الذي اعتقدتُ في تلك اللحظة . . . كيف استطعتُ أن أنسى ؟ ولكن لا ، أنا لم أنسَ . . . كنتُ أعرف ذلك ، لقد عرفتُ ذلك دوماً . . .

رجل ! : عرفتَ ماذا ؟ عرفتَ ماذا ؟ هيا قل .

رجل ٢ : عرفتُ أنه فيما بيننا ليس هناك صلح ممكن . ولا شفقة . . . إنها معركة بلا رحمة . صراع حتى الموت . نعم فللبقاء ليس هناك من خيار : إما أنا أو أنتَ .

رجل ١ : هنا أنتَ تبالغ .

رجل ٢ : ولكن لا ، لا أبالغ مطلقاً . لابد من رؤية الأمور على حقيقتها : نحن في معسكرَيْن متصارعَيْن . نحن جنديان من معسكرَينْ لأعداء يتواجهون .

رجل ١ : أيّ معسكرَيْن ؟ لهما اسم .

رجل ٢ : آه ، الأسماء ، إنها من اختصاصكَ . فأنتَ ، أنتَ مَنْ تضع الأسماء على كل شيء . أنتَ من تضع بين هلالَيْن مزدوجَيْن . . . أما أنا فلا أعرف .

رجل ١ : حسناً ، أنا أعرف . كل الناس يعرفون . من جهة ، المعسكر الذي أنا فيه ، حيث يكافح الرجال بكل قواهم . . . ويخلقون الحياة من حولهم . . . ليستْ تلك الحياة التي تتأملها من النافذة ولكنها الحياة « الحقيقية » ، التي يعيشها كل الناس . ومن جهة أخرى . . . إذاً . . .

رجل ٢ : وإذاً ؟

رجل ١ : إذاً . . .

رجل ٢ : وإذاً ؟

رجل ١ : لا . . .

رجل ٢ : بلى . «سأقول ذلك بدلاً منك . . . إذاً ، ففي الجهة الثانية هناك «الفاشلون» .

رجل ١ : لم أقل هذا . على كلٍّ ، أنتَ تعمل . . .

رجل ٢ : نعم فقط من أجل أن أتعيَّش ؛ لا أكرّس كل قواي لذلك .

رجل ١ : آه ! هل تحتفظ ببعضها ؟

رجل ٢ : أراكَ تصل إلى . . . لا ، لا ، أنا لا «أحتفظ» ببعضها . . .

رجل ١ : بلى . إنك تحتفظ ببعضها . أنتَ تحتفظ ببعض القوى لماذا ؟

رجل ٢ : وماذا يهمّكَ من ذلك ؟ لماذا لابد أن تأتي دائماً لبيتي لتفتِّش وتنقِّب ؟ كما لو أنك خائف . . .

رجل ١ : خائف ؟ خائف !

رجل ٢ : نعم ، خائف . يخيفك هذا : شيء ما مجهول ، ومن الجائز أنه يهدِّدكَ ، وهو موجود هناك في مكان ما ومختبئ في الظلام . . . إنه خلد يحفر تحت العشب المشذَّب الذي تمرح عليه . . . لابد من إخراجه بالتأكيد ، وها هو نتيجة جاهزة لكل الاختبارات : « إنه فاشل» . «فاشل» . أتراه مباشرة ؟ ها هو يظهر في الخارج مضطرباً تماماً : «فاشل ؟ أنا ؟ ماذا أسمع ؟ ماذا تقول ؟ ولكن لا ، أنا لستُ من الفاشلين ، لا تصدِّقْ هذا . . . هذا هو أنا ، هذا ماسأكونه . . . سترون ، سوف أثبت لكم ببراهين عديدة . . . » لا ، لا تعتمد على ذلك حتى هذا ، حتى « الفاشل » ، مهما يكنْ ناجعاً ، لن يجعلني أترك جحري ، فأنا في خير حال هناك .

رجل ١ : حقاً ؟ أأنتَ في خير حال كما تقول ؟

رجل ٢ : أفضل مما أكون عندكَ على عشبكَ، على كل حال. . . هناك أنقرضُ. . . أرغب بالهرب. . لم تعد الحياة تستحق. . .

رجل ١ : لم تعد الحياة تستحق أن تُعاش، إنه هكذا. إنه تماماً هذا ما أشعر به حين أحاول أن أكون مكانكَ.

رجل ٢ : ومَنْ يُجبركَ على أن تكون مكاني ؟

رجل ١ : لا أعرف. . . أريد دوماً أن أفهم. . .

رجل ٢ : هذا ما كنتُ أقوله لكَ : أنتَ تشكّ دائماً، أنتَ تخشى من أن يكون هنالك، في كوخ صغير في الغابة. . .

رجل ١ : لا، أريد أن أعرف من أين يأتيكَ هذا، هذا التنائي، فوق الطبيعي. وأعود دائماً في ذلك إلى ما يلي : يجب أن تشعر أنك مدعوم. . .

رجل ٢ : آه، ڤيرلين من جديد، هيه ؟ الشعراء. . . حسناً إذاً، أنا لستُ منهم. . . وإذا أردتَ أن تعرف، فأنا لن أكون منهم أبداً. لن تفوز بهذه الفرصة.

رجل ١ : أنا ؟ هذه الفرصة ؟ أعتقد بأنكَ لو ظهرتَ بمظهر الشاعر الحقيقي. . . لفزتَ أنتً بالأحرى بالفرصة، كما يبدو لي.

رجل ٢ : هيا، عمّاذا تتكلم ؟ أنتَ لا تعتقد بذلك. . . حتى أن لديكَ كلمة جاهزة لهذه الحالة : مُسْتَرَدّ. سأكون مستَرَداً، مُعاداً، موضوعاً هنالك، عندكَ. ما منْ هلال مزدوج بعد الآن بالتأكيد، ولكني في مكاني المناسب وتحت الرقابة دائماً. «إنه لجيد. . . هذا» ماتزال جملة جميلة جداً حين آتي لاهثاً، لأقدّم لكَ. . . لأنتظر. . . وأترقب. . . « آه نعم، أتجد ذلك ؟ نعم ؟ إنه لجيد ؟ . . . بالطبع لا أستطيع الزعم. . . وخلفي وإلى جانبي، كل هؤلاء العظماء. . . » فسوف تربتُ على كتفي. . . بحنان أليس كذلك ؟ وسوف

تبتسم . . . « آه ولكنْ مَنْ يدري ؟ هيه ؟ مَنْ يستطيع التنبؤ ؟ . . . فقد حدثتْ حالات . . . » لا . لا تعتمد على ذلك . تستطيع النظر أنّى تشاء : إفتح أدراجي ، فتّشْ في خزائني ، فلن تجد فيها قصاصة ورق . . . ولا مخطّطاً . . . ولا أدنى محاولة . . . لا شيء ستجده ليقع تحت أسنانكَ .

رجل ١ : خسارة . كان من الممكن أن يكون هذا من الذهب الخالص . من الماس .

رجل ٢ : أو حتى من الرصاص ، أليس كذلك ؟ شرط أن نرى ما هو ، شرط أن نستطيع تصنيفه ، تقييمه . . . من المؤكد ، لابد من ألاّ نكون في حيرة من أمرنا . وهكذا يعود الهدوء . فلم يعد هناك ما نخشاه .

رجل ١ : نخشاه ؟ أتعود مرة أخرى لهذا . . . نخشاه . . . نعم ، من الممكن . . . ربما لك الحق في ذلك في المحصّلة . . . صحيح أنني إلى جانبكَ أشعر أحياناً بنوع من التخوّف . . .

رجل ٢ : آه ، هاك . . .

رجل ١ : نعم . . . يبدو لي أنه هناك حيث أنتَ ، كل شيء . . . لا أعرف كيف أقول هذا . . . كل شيء غير ثابت ، متقلّب . . . هناك رمال متحركة يغرق فيها واحدنا . . . أشعر بالاضطراب . . . فكل شيء حولي يبدأ بالارتعاش والاهتزاز ، وكل شيء يتفكّك . . . لابد من أن أخرج مِنْ هنا بأسرع ما يمكن . . . مِنْ أن أذهب لبيتي حيث كل شيء ساكن ومتين .

رجل ٢ : أنتَ ترى جيداً . . . وأنا . . . حسناً ، بما أننا وصلنا إلى هنا . . . وأنا كما ترى ، حين أكون عندكَ ، أشعر برهاب الاحتجاز . . . فأنا في مبنى مغلق من كل الجهات . . . في كل مكان هناك مقاصير وحواجز

وطوابق . . . أتوق إلى الهرب . . . ولكن حتى حين أخرج وأعود إلى بيتي أشعر بصعوبة في . . . في . . .

رجل ١ : نعم، بصعوبة في ماذا ؟

رجل ٢ : بصعوبة في العودة إلى الحياة . . . أحياناً، في اليوم التالي أيضاً أشعر وكأنني جامد قليلاً . . . وحولي أيضاً . . . يلزمني وقت كي يعود هذا، كي أشعر به من جديد، بهذا النَّبْض، بالنَّبْض الذي يعود لضرباته . . . أترى إذاً . . .

رجل ١ : نعم، أرى .

صمت.

وما فائدة المعاندة ؟

رجل ٢ : سيكون من الأسلم بكثير . . .

رجل ١ : لكلَيْنا . . . من الأكثر نفعاً . . .

رجل ٢ : الحلّ الأفضل . . .

رجل ١ : ولكنكَ تعرف جيداً كيف نكون . حتى أنتَ، لم تستطع أخذ هذا الأمر على عاتقكَ .

رجل ٢ : لا . أحتاج لِمَنْ يسمح لي بذلك .

رجل ١ : وأنا إذاً، أنتَ تعرفني جيداً . . .

صمت .

ماذا تظن . . . لو أننا قدمنا إليهم طلباً . . . لكلينا هذه المرّة . . . ربما نستطيع شرح هذا بشكل أفضل . . . قد تكون لدينا فرصٌ أكثر . . .

رجل ٢ : لا . . . وما الفائدة ؟ أستطيع أن أقول لكَ كل شيء مسبقاً . . . أرى كيف سيبدون . . . « حسناً، ماذا هناك أيضاً ؟ ماذا هناك ؟ عماذا

يتكلمان ؟ أيّ خُلدان ؟ أيّ عشب ؟ أيّ رمال متحركة ؟ أيّ معسكرات للعدو ؟ لنر قليلاً إضبارتَيْهما . . . لا شيء . . . لقد بحثنا كثيراً . . . وتفحصنا النقاط الأكثر سخونة في العادة . . . لا شيء في أيٍّ منها سوى ما يشير إلى صداقة كاملة . . . » .

رجل ۱ : هذا صحيح .

رجل ۲ : « ويطلبان قطع صلاتهما . لا يريدان العودة إلى رؤية بعضهما بعضاً . . . يا لَلخزِي . . . » .

رجل ۱ : نعم، دون أدنى شك، دون أي تردّد : الرفض لكليهما .

رجل ۲ : « حتى أنهما يجب أن يحذرا . . . يجب أن يتنبّها . نحن نعرف تماماً ما هي العقوبات التي يستحقها أمثالهما من المتعجرفين الذين تسوّل لهم أنفسهم هكذا ودون سبب . . . سيشار إليهما بالبنان . . . لن يقترب منهما أحد إلاّ ببالغ الحيطة، وبأشدّ حذر ممكن . . . سيعلم الجميع ما باستطاعتهما فعله، وكيف يتبادلان الاتهامات : من الممكن أن يقطعا صلاتهما من أجل نعم أو من أجل لا . »

رجل ۱ : من أجل نعم . . . أو من أجل لا ؟

صمت.

رجل ۲ : نعم أو لا ؟ . . .

رجل ۱ : مع ذلك ليس هذا هو الشيء ذاته . . .

رجل ۲ : في الواقع : نعم . أو لا .

رجل ۱ : نعم .

رجل ۲ : لا !

الفهرس

عاصفة صمتنا	٣
الصمت	٥
الكذب	٣٣
يتّا: أو مايدعى «لاشيء»	٦٣
هذا جميل	١٠٧
إنها هناك	١٣٥
من أجل نعم أو من أجل لا	١٦٩

٢٠٠٠ ط ١٩٩٩/١٠/١

الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٩

سعر النسخة داخل القطر

١٥٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٣٠٠ ل.س